سيباستيان فيتزيك

محطم الأرواح

"كل مشهد في مكانه، ولا حبكة تخطر على البال."

دير شبيغل

محطم الأرواح

THE SOUL BREAKER

تُرجم هذا الكتاب بدعم من مبادرة ترجم

مبادرة ترجم

Tarjim Initiative

هيئة الأدب والنشر والترجمة

Literature, Publishing & Translation Commission

Translation funded by the Tarjim Initiative

سيباستيان فيتزيك

SEBASTIAN FITZEK

محطم الأرواح

THE SOUL BREAKER

ترجمة / كاميليا

واحد وسبعين يومًا قبل حلول «الخوف»

من سجل المريضة رقم VL/131071، الصفحة الأولى وما يليها.

لحسن الحظ، لم يكن الأمر برمته سوى حلم عابر. لم تكن عارية، ولم تكن ساقاها مقيدتين بالأحزمة إلى ذلك الكرسي النسائي عتيق الطراز، بينما ذلك المهووس يرتب أدواته على طاولة جانبية علاها الصدأ. وحين استدار نحوها، لم تتبين في البداية ما الذي كان يقبض عليه بيده التي تيبست عليها الدماء.

ولكن، عندما أدركت ماهية الشيء، حاولت إغلاق عينيها عبثًا؛ إذ لم تستطع تحويل بصرها عن مكواة اللحام المتوهجة حمرةً وهي تقترب ببطء من مركز جسدها. كان ذلك الغريب، بوجهه المشوه المليء بالندوب وآثار الحروق، قد ثنى جفنيها للخلف وثبتهما في حواف محجري عينيها باستخدام دباسة هوائية. ظنت حينها أنها لن تختبر ألمًا أشد من هذا فيما تبقى من حياتها القصيرة. غير أن مكواة اللحام حين غابت عن مجال رؤيتها، وازدادت الحرارة بين فخذيها اشتعالًا، أيقنت أن عذابات الساعات القليلة الماضية لم تكن سوى مقدمة.

ثم، وفي اللحظة التي خُيِّل إليها أنها تشم رائحة لحمها المحترق، تلاشى كل شيء وشفّ. القبو الرطب الذي سُحلت إليه، ومصباح الهالوجين الوامض فوق رأسها، وكرسي التعذيب، والطاولة المعدنية الجانبية... كلها ذابت في العدم، ولم يبقَ سوى فراغ مظلم.

الحمد لله، همست في سرها، مجرد حلم. فتحت عينيها، لكن الحيرة عقدت لسانها.

فالكابوس الذي كانت للتو حبيسة جدرانه لم يتلاشَ، بل تبدل شكله فحسب.

أين أنا؟

بالنظر إلى الأثاث، يبدو أنها في غرفة نوم بفندق رخيص موبوء. مفرش السرير الملطخ فوق السرير المزدوج المتهالك كان قذرًا وتغطيه آثار حروق السجائر، تمامًا كالسجاد ذي اللون الكاكي الباهت. وحقيقة أنها كانت تشعر بملمس وبره الخشن تحت قدميها زادت من توترها وهي جالسة على ذلك الكرسي الخشبي غير المريح.

قدماي حافيتان. لِمَ لا أرتدي حذاءً؟ ولماذا أجلس في فندق رخيص كهذا، أحدق في تلك الصورة المشوشة على تلفاز أبيض وأسود؟

تقاذفت الأسئلة داخل جمجمتها كرات بلياردو طائشة. انتفضت فجأة كأن يدًا صفعتها، ثم التفتت تبحث عن مصدر الصوت. باب الغرفة. اهتز مرة، مرتين، ثم انخلع من مكانه.

اقتحم شرطيان الغرفة مسرعين. كلاهما يرتدي الزي الرسمي، وكلاهما مسلح — هذا ما استطاعت تمييزه. صوبا سلاحيهما نحو صدرها في البداية، ثم خفضاهما ببطء، وحل الرعب وعدم الاستيعاب محل التوتر العصبي الذي كان يكسو وجهيهما.

سمعت الأقصر قامة بينهما — ذاك الذي ركل الباب واقتحم المكان أولًا — يصيح:

— "ما الذي حدث هنا بحق الجحيم؟"

وصرخ الآخر:

– "المسعفون... طبيب. نحتاج إلى مساعدة فورية!"

الحمد لله، فكرت للمرة الثانية في غضون نبضات قليلة. كانت بالكاد تتنفس من فرط الرعب. جسدها يؤلمها بالكامل، ورائحة البول والبراز تفوح منها. هذا الأمر، مضافًا إليه جهلها بكيفية وصولها إلى هنا، كان يدفعها نحو حافة الجنون. ومع ذلك، هي الآن أمام شرطيين يطلبان المساعدة الطبية بلهفة. لم يكن الوضع جيدًا، لكنه بالتأكيد أفضل بكثير من مهووس يحمل مكواة لحام.

بعد لحظات، هرع طبيب – رجل أصلع يضع قرطًا في أذنه – إلى الغرفة وجثا بجوارها. بدا واضحًا أن خدمات الطوارئ كانت متواجدة بالفعل مع سيارة إسعاف. وهذه أيضًا لم تكن علامة جيدة.

سألها:

– "هل تسمعينني؟"

أجابت:

– "نعم..."

بدت الهالات السوداء حول عيني الطبيب وكأنها وشمت على وجهه للأبد.

قال الطبيب:

– "يبدو أنها لا تفهمني."

حاولت هي رفع ذراعها قائلة:

– "بلى، بلى."

لكن عضلاتها أبت أن تستجيب.

أخرج الطبيب مصباحًا طبيًا صغيرًا من جيب قميصه وسلطه في عينيها متسائلًا:

– "ما اسمك؟"

قالت بصوت أجش:

– "فانيسا."

ثم أضافت:

– "فانيسا ستراسمان."

سمعتْ أحد الشرطيين يسأل في الخلفية:

– "هل هي ميتة؟"

رد الطبيب:

– "اللعنة، حدقتاها بالكاد تستجيبان للضوء، ولا يبدو أنها تسمعنا أو ترانا. إنها في حالة تخشب، وربما غيبوبة."

صرخت فانيسا:

– "لكن هذا هراء!"

حاولت الوقوف، لكنها عجزت حتى عن رفع ذراعها.

ما الذي يحدث هنا؟

كررت السؤال بصوت عالٍ، باذلة قصارى جهدها لنطق الكلمات بوضوح، لكن لم يبدُ أحد مستعدًا للاستماع. بل استداروا جميعًا وبدأوا الحديث مع شخص لم تره بعد.

سأل أحدهم:

– "منذ متى قلتِ إنها لم تغادر هذه الغرفة؟"

كان رأس الطبيب يحجب رؤيتها للباب. جاء صوت امرأة شابة من ذلك الاتجاه:

– "ثلاثة أيام على الأقل، وربما أكثر. شعرتُ أن هناك خطبًا ما عندما سجلت دخولها، لكنها طلبت ألا يزعجها أحد."

هزت فانيسا رأسها نافية. إنها تهذي! ما كنت لأبقى هنا بمحض إرادتي، ولا حتى لليلة واحدة!

تابعت المرأة:

– "لم أكن لأناديها حتى تلك اللحظة، لولا أن صوت تنفسها الأجش والمرعب بدأ يعلو أكثر فأكثر، و..."

قاطعها صوت الشرطي القصير بالقرب من أذن فانيسا:

– "انظر!"

– "ماذا؟"

– "هناك شيء ما. هناك!"

شعرت فانيسا بالطبيب يفتح أصابع يدها اليسرى عنوة ويلتقط شيئًا بملقط.

سأل الشرطي:

– "ما هذا؟"

– "قصاصة ورق."

فتح الطبيب الورقة التي كانت مطوية نصفين. حاولت فانيسا النظر إليها بطرف عينها، لكن كل ما رأته كان رموزًا مبهمة. كانت الكتابة بلغة مجهولة تمامًا.

سأل الشرطي الآخر الواقف عند الباب:

– "ما المكتوب فيها؟"

قطب الطبيب جبينه وقال:

– "غريب... قرأ بصوت عالٍ: «تشتريه، فقط لترمي به فورًا»."

يا إلهي... حقيقة أن الطبيب قرأ تلك الكلمات القليلة بصوت عالٍ ودون تردد جعلتها تدرك حجم الكابوس الذي يأسرها. لسبب ما، فقدت القدرة تمامًا على التواصل. في هذه اللحظة، لم تعد قادرة على الكلام أو القراءة. والأسوأ من ذلك، ساورتها شكوك بأنها عاجزة حتى عن الكتابة.

سلط الطبيب الضوء في عينيها مجددًا، وفجأة خمدت بقية حواسها كأنما انطفأت. لم تعد تشم نتانة جسدها أو تشعر بالسجاد تحت قدميها الحافيتين. كل ما لاحظته هو أن الخوف بداخلها يتصاعد بانتظام، وهمهمة الأصوات حولها تتلاشى تدريجيًا؛ فما إن قرأ الطبيب تلك الجملة القصيرة حتى استحوذت عليها قوة خفية.

تشتريه، فقط لترمي به فورًا...

قوة تمتد يدها الجليدية لتنتزعها وتسحبها بعيدًا. عائدة بها إلى المكان الذي لم تكن ترغب في رؤيته ما حييت – المكان الذي غادرته قبل دقائق معدودة.

إذن لم يكن حلمًا. أم كان كذلك؟

حاولت إعطاء إشارة للطبيب، لكن الحقيقة بدأت تتكشف أمامها بينما يتلاشى طيفه ببطء. اجتاحها رعب خالص. إنهم لم يسمعوا صوتها حقًا. لا الطبيب، ولا موظفة الاستقبال، ولا الشرطيان كانوا قادرين على

التواصل معها. لماذا؟ لأنها لم تستيقظ أصلًا في ذلك الفندق الرخيص — بل كانت أبعد ما يكون عن ذلك.

وبينما بدأ مصباح الهالوجين فوق رأسها يومض من جديد، أدركت ما حدث: لقد فقدت وعيها عندما بدأ التعذيب. غرفة الفندق، لا المهووس، كانت هي الجزء الحالم الذي ينسحب الآن أمام سطوة الواقع الوحشي.

أم أنني مخطئة مرة أخرى؟ النجدة! ساعدوني! لم أعد أميز الحقيقة من الوهم. ما هو الحقيقي؟ وما هو الخيال؟

وعندئذ، عاد كل شيء كما كان. القبو الرطب، الطاولة المعدنية، الكرسي النسائي الذي قُيدت إليه. عارية. عارية تمامًا لدرجة أنها شعرت بأنفاس المهووس تلفح فخذيها. كان يتنفس فوقها — فوق أكثر مناطق جسدها حساسية. ظهر وجهه المشوه بالندوب للحظة خاطفة، مباشرة أمام عينيها، وقال فمه الخالي من الشفاه:

— "لقد حددتُ المكان فحسب. والآن، يمكننا أن نبدأ."

ثم امتدت يده نحو مكواة اللحام.

الوقت الحاضر

بعد وقت طويل جدًا، وبعد سنوات عديدة من «الخوف»

10:14 صباحًا

وقف البروفيسور من خلف الطاولة الخشبية الطويلة المصنوعة من السنديان، وجال ببصره في وجوه طلابه القلقة، ثم قال:

— "حسنًا، أيها السيدات والسادة، ما رأيكم في هذه المقدمة؟ امرأة تستيقظ من كابوس لتجد نفسها — بين لحظة وأخرى — في خضم كابوس آخر. أمر مثير للاهتمام، أليس كذلك؟"

لم يلحظ إلا الآن أن جمهوره كان أكثر عناية في اختيار هندامه منه؛ فقد سحب هو — كعادته — أي بدلة قديمة ومجعدة من خزانة ملابسه دون أن ينظر إليها. تذكر كيف أقنعه بائع الملابس ذات مرة بدفع مبلغ باهظ مقابل هذه السترة الداكنة مزدوجة الصدر، بحجة أنها تليق تمامًا بشعره الأسود، الذي كان يطيله قليلًا في ذلك الوقت، في نوبة مضحكة من تمرد ما بعد البلوغ.

لو أراد شراء بدلة تليق بشعره اليوم، بعد مرور كل تلك السنوات، لكان عليه اختيار لون رمادي كلون رماد السجائر، ليناسب شعره الذي بدأ يخف في مواضع عدة، كاشفًا عن صلعة خلفية تشبه إكليل الرهبان.

تابع سؤاله:

— "حسنًا، ما قولكم؟"

خَطا خطوة غير محسوبة إلى الجانب، فشعر بوخزة ألم في ركبته.

لم يتطوع سوى ستة طلاب. أربع إناث وطالبان. أمر متوقع؛ فالنساء دائمًا يشكّلن الأغلبية عندما يتعلق الأمر بمثل هذه التجارب. إما لأنهن أكثر شجاعة، أو لأنهن في حاجة ماسة للمبلغ الذي عرضه مقابل المشاركة في هذه التجربة النفسية التي أعلن عنها على السبورة.

قال طالب يجلس في المقعد الثاني من اليسار:

— "عذرًا، ولكن هل فهمت الأمر بشكل صحيح؟"

راجع البروفيسور القائمة أمامه ليعرف اسم «فأر التجارب» الذي تحدث للتو. فلوريان فيسل، الفصل الدراسي الثالث.

أثناء قراءة المقدمة، كان فلوريان فيسل يمرر سن قلمه الرصاصي المبري بعناية فائقة فوق السطور. كانت هناك ندبة صغيرة هلالية الشكل تحت عينه اليمنى، تشير إلى عضويته في إحدى أخويات المبارزة. وضع القلم بين الصفحات وأغلق المجلد، ثم سأل:

— "هل يُفترض أن يكون هذا سجلًا طبيًا؟"

ابتسم البروفيسور بلطف ليوحي بأنه يتفهم تمامًا حيرة الشاب، وقال:

— "إنه كذلك بالفعل."

كان ذلك كله جزءًا من التجربة، إذا جاز التعبير.

تابع فلوريان:

— "مكواة لحام؟ تعذيب؟ شرطة؟ مع كامل احترامي، هذا يبدو وكأنه بداية رواية إثارة أكثر منه سجلًا طبيًا."

«مع كامل احترامي»؟ مر وقت طويل لم يسمع فيه البروفيسور هذا التعبير الذي عفا عليه الزمن. تساءل في نفسه إن كان هذا الشاب ذو

قصة الشعر الحادة يتحدث هكذا دائمًا، أم أن كآبة المكان غير المألوف قد أثرت على أسلوبه في الكلام. كان يعلم أن التاريخ المروع للمبنى قد ردع بعض الطلاب عن المشاركة، سواء بوجود المائتي يورو أو عدمها.

لكن هذا كان جوهر سحر التجربة: أن تُجرى هنا وليس في أي مكان آخر. لم يكن هناك مكان أنسب، رغم أن رائحة العفن كانت تفوح من المجمع بأكمله، والبرد كان قارسًا لدرجة أنهم ناقشوا لفترة وجيزة إمكانية تنظيف الموقد من القمامة وإشعال النار فيه. ففي النهاية، كان التاريخ يشير إلى الثالث والعشرين من ديسمبر، ودرجة الحرارة في الخارج انخفضت إلى ما دون الصفر بكثير. وفي النهاية، استأجروا مدفأتين تعملان بالزيت، لكنهما كانتا عاجزتين عن تدفئة غرفة بهذا السقف الشاهق.

كرر البروفيسور:

– "تقول إنها تبدو كرواية إثارة؟ حسنًا، أنت لم تبتعد كثيرًا عن الحقيقة."

شبك كفيه معًا كرجل يصلي واستنشق رائحة أصابعه الذابلة. ذكرته يداه بكفي جده الخرقاوين، مع فارق أن جده اضطر لقضاء حياته يعمل في الهواء الطلق، عكسه تمامًا.

أكمل قائلًا:

– "الوثيقة التي بين أيديكم عُثر عليها ضمن أوراق زميل لي. فيكتور لارينز، طبيب نفسي. ربما صادفكم اسمه أثناء دراستكم."

سأل طالب آخر، كان قد تطوع للتجربة بالأمس فقط:

– "لارينز؟ أليس ميتًا؟"

راجع البروفيسور قائمته مرة أخرى وعرف أن الشاب ذو الشعر المصبوغ بالأسود هو باتريك هايدن. كان يجلس ملتصقًا بصديقته ليديا. كانت المسافة بين جسديهما ضيقة للغاية لدرجة أن خيط الأسنان سيجد صعوبة في المرور بينهما. وكان السبب الرئيسي في ذلك هو باتريك؛ فكلما حاولت ليديا الحصول على مساحة صغيرة لتتحرك، كان يشد ذراعه المطوقة لكتفيها ويضمها إليه في عناق تملّك. كان يرتدي قميصًا ثقيلًا يحمل شعارًا "فكريًا" يقول: «يسوع يحبك». وتحته مباشرة، وبخط يكاد لا يُقرأ، كُتبت عبارة: «أما البقية فيعتقدون أنك وغد». كان باتريك يرتديه في مرة سابقة حين جاء ليشتكي من الدرجات المتدنية التي منحه إياها البروفيسور.

قال البروفيسور بلا مبالاة:

— "فيكتور لارينز لا علاقة له بالأمر هنا. قصته ليست ذات صلة باختبار اليوم."

سأل باتريك بفضول:

— "إذن، عمّ يدور الأمر؟"

ثم ضم ساقيه ببراعة تحت الطاولة. كانت أربطة حذائه الجلدي محلولة بحيث لا يغطي بنطاله الجينز الممزق باحتراف لسان الحذاء المثني للخلف؛ وإلا لما تمكن أحد من رؤية العلامة التجارية الفاخرة على كاحله.

لم يتمالك البروفيسور نفسه من الابتسام. أربطة أحذية متدلية، جينز ممزق، وقمصان تحمل عبارات تجديفية. لا بد أن شخصًا ما في

صناعة الأزياء قد جعل مهمته تحويل كوابيس الآباء المحافظين إلى أموال طائلة.

عاد البروفيسور إلى مكانه على رأس الطاولة وفتح حقيبة جلدية مهترئة بدت وكأن حيوانًا أليفًا قد استخدمها لسن مخالبه، وقال:

— "حسنًا، دعوني أخبركم..."

تابع موضحًا:

— "ما قرأتموه للتو حدث بالفعل. الملفات التي وزعتها عليكم هي مجرد نصوص منقولة عن رواية واقعية وحقيقية."

أخرج كتابًا قديمًا ذا غلاف ورقي ووضعه على الطاولة.

— "هذه هي النسخة الأصلية."

كانت الكلمات المطبوعة بحروف حمراء على الغلاف المخضر تقول: «مُحطّم الأرواح». وفوقها رسم ظلي لرجل يهرول عبر عاصفة ثلجية ليحتمي بمبنى مظلم.

أضاف البروفيسور:

— "لا تنخدعوا بالمظهر الخارجي. قد يبدو للوهلة الأولى مجرد رواية عادية، لكن الأمر أعمق من ذلك بكثير."

قلّب صفحات الكتاب الثلاثمائة ونيف بين أصابعه، بادئًا من الخلف.

— "يعتقد الكثيرون أن هذه الرواية كُتبت بواسطة أحد مرضى لارينز. فقد اعتاد علاج الكثير من الفنانين، وكان من بينهم كُتّاب."

رمش البروفيسور بعينيه، ثم أضاف بصوت خافت:

— "لكن، هناك نظرية أخرى."

تطلّع إليه الطلاب جميعًا بترقب.

– "تعتقد قلة من الناس أن فيكتور لارينز نفسه هو من كتبها."

سألت ليديا هذه المرة:

– "ولكن لماذا؟"

كانت الفتاة ذات الشعر البني الفاتح والقميص الصوفي الرمادي بياقة عالية هي تلميذته الواعدة. لم يستطع فهم ما الذي رأته في الطالب غير الحليق بجوارها، الذي رسب أكثر من مرة، كما لم يستطع استيعاب سبب رفض منحها منحة دراسية رغم درجاتها الممتازة عند التخرج من المدرسة.

تابعت ليديا:

– "أتعني أن المدعو لارينز حوّل ملاحظاته إلى رواية إثارة؟ ولماذا قد يتكبّد كل هذا العناء؟"

أجاب البروفيسور:

– "هذا ما جئنا لاكتشافه بعد ظهر اليوم. تلك هي الغاية من هذه التجربة."

دوّن البروفيسور ملاحظة في الدفتر بجوار قائمة المشاركين، ثم التفت إلى الفتيات الثلاث عن يمينه، اللواتي لم ينطقن بكلمة حتى الآن.

– "سأتفهم تمامًا إذا ساورتكم الشكوك، أيتها السيدات."

رفعت الفتاة ذات الشعر الأحمر رأسها، بينما استمرت الأخريان في التحديق في الوثائق أمامهما.

— "لكم مطلق الحرية في تغيير آرائكم. التجربة الفعلية لم تبدأ بعد. يمكنكم حزم أمتعتكم والعودة إلى منازلكم الآن. لا يزال هناك وقت."

أومأت الفتيات برؤوسهن في تردد.

مال فلوريان بجسده للأمام، ممررًا سبابته المتوترة على فرق شعره الجانبي، وسأل:

— "ماذا عن المائتي يورو؟"

— "تحصلون عليها فقط إذا شاركتم بفعالية. وفقط إذا التزمتم بالإجراءات المحددة في الإعلان الأصلي. يجب عليكم قراءة الوثيقة بالكامل ولا يُسمح إلا باستراحات قصيرة."

— "وماذا بعد؟ ماذا يحدث عندما ننتهي؟"

— "ذلك أيضًا جزء من التجربة."

انحنى الطبيب النفسي والتقط حزمة من الاستمارات المزيّنة بشعار الجامعة المستقلة، ثم اعتدل قائلًا:

— "أرجو من كل من سيبقى منكم توقيع هذه الأوراق."

وزع إقرارات الموافقة، التي تُخلي بموجبها «فئران التجارب» مسؤولية الجامعة عن أي آثار نفسية أو جسدية سلبية قد تنجم عن مشاركتهم الطوعية.

أخذ فلوريان فيسل الاستمارة، ورفعها نحو الضوء، ثم هز رأسه بقوة عند رؤية العلامة المائية لكلية الطب.

— "هذا أمر محفوف بالمخاطر بالنسبة لي."

استعاد قلمه من المجلد، وحمل حقيبة ظهره، ونهض واقفًا.

– "أعتقد أنني أعرف ما يكمن خلف هذا. وإذا كان افتراضي صحيحًا، فأنا خائف جدًا من المضي قدمًا."

قال البروفيسور وهو يستعيد استمارة ومجلد فلوريان:

– "صراحتك تُحسب لك."

ثم نظر إلى الطالبات الثلاث اللواتي كن يتهامسن فيما بينهن.

قالت الفتاة ذات الشعر الأحمر، التي كانت الوحيدة التي تتواصل معه مرة أخرى:

– "لا نعرف ما ينطوي عليه الأمر، ولكن إذا انسحب فلوريان، فنحن نفضل الانسحاب أيضًا."

– "كما تشأن. لا مشكلة."

جمع المجلدات البلاستيكية من الفتيات بينما كن يلتقطن معاطفهن من على ظهور الكراسي. كان فلوريان ينتظر بالفعل بجوار الباب مرتديًا معطفه ذا القبعة وقفازاته.

نظر البروفيسور إلى ليديا وباتريك، اللذين كانا لا يزالان يقلبان صفحات مجلديهما بتردد، وسأل:

– "ماذا عنكما؟"

بعد لحظات، هز كلاهما كتفيه في وقت واحد تقريبًا.

قال باتريك:

– "ليكن ما يكون. طالما لن يغرس أحد إبرة في جسدي."

قالت ليديا، التي نجحت أخيرًا في تخليص نفسها من صديقها:

– "نعم، ليكن. هل ستكون معنا طوال الوقت؟"

– "نعم."

– "وكل ما علينا فعله هو قراءة هذا الكلام؟ لا شيء آخر؟"

– "هذا كل شيء."

أُغلق الباب خلف الآخرين الذين غادروا دون كلمة.

قالت ليديا:

– "حسنًا، احسبني معكم. أنا بحاجة للمال."

رمقت ليديا البروفيسور بنظرة جددت عهدهما الصامت غير المعلن.

أعرف، قال لها في عقله، وأومأ لها برأسه إيماءة خفيفة ومقتضبة.

كانت عطلة نهاية أسبوع خانقة في شهر أبريل عندما جرفته موجة من رثاء الذات إلى شواطئ حياتها الخاصة.

نصحه صديقه الوحيد بأنه إذا أراد إغلاق صفحة الماضي نهائيًا، فعليه كسر قيود نمطه السلوكي المعتاد والقيام بشيء لم يفعله في حياته قط. بعد ثلاثة كؤوس، توجها إلى تلك الحانة التي كانت تعمل أيضًا كنادٍ للتعري. لم يكن هناك شيء مثير حقًا، مجرد عرض ممل وبريء. باستثناء حقيقة أن الفتيات كن يرقصن عاريات الصدر، كانت حركاتهن لا تختلف كثيرًا عن حركات المراهقين في المراقص. وعلى حد علمه، لم تكن هناك غرفة خلفية.

لكن ذلك لم يمنعه من الشعور بأنه عجوز قذر عندما ظهرت ليديا أمامه فجأة تحمل قائمة الكوكتيلات. بدون قميصها الصوفي ذي الياقة العالية وعصابة رأسها، بل كانت ترتدي تنورة زي مدرسي. وعدا ذلك، لم تكن ترتدي شيئًا.

دفع ثمن الكوكتيل لكنه لم يشربه، وترك صديقه وغادر المكان، وابتهج لرؤية ليديا في مقعدها المعتاد في الصف الأمامي في محاضرته التالية. لم ينطقا بكلمة واحدة عن تلك الحادثة، وكان واثقًا أن باتريك لا يعلم شيئًا عن عمل صديقته الجانبي. فرغم أنه يبدو كشخص تربطه علاقة وثيقة بالسقاة في مثل هذه الأماكن، إلا أنه بدا غير متسامح أبدًا عندما يتعلق الأمر بمصالحه الخاصة.

تنهدت ليديا تنهيدة خفيفة ووقّعت على استمارة الموافقة.

قالت وهي تكتب اسمها:

– "في النهاية، ما الذي يمكن أن يسوء؟"

نظف البروفيسور حلقه لكنه لم يقل شيئًا. بدلًا من ذلك، تحقق من التوقيعين ونظر إلى ساعته.

ابتسم رغم أنه لم يكن يشعر برغبة في الابتسام، وقال:

– "جيد، إذن نحن جاهزون."

ثم أضاف:

– "التجربة تبدأ الآن. الرجاء الانتقال إلى الصفحة الثامنة من سجل المريض."

اليوم السابق لعشية عيد الميلاد

قبل حلول «الخوف» بتسع ساعات وتسع وأربعين دقيقة

5:49 مساءً

من سجل المريض رقم VL/131071، الصفحة الثامنة وما يليها.

للقراءة تحت إشراف طبي فقط.

قالت السيدة العجوز:

— "تخيل الموقف التالي..."

من موقعه حيث كان جاثيًا عند قدميها، بدا صوتها مكتومًا وكأنه يسمعها من وراء باب مغلق.

تابعت:

— "أب وابنه يقودان سيارتهما عبر غابة ليلًا. الطريق مظلم وتغطيه الثلوج الكثيفة. يفقد الأب السيطرة على السيارة فتصطدم بشجرة. يموت الأب على الفور، وينجو الابن لكنه يُصاب بجروح بالغة ويُنقل إلى المستشفى، حيث يتم إدخاله فورًا لغرفة العمليات لإجراء جراحة طارئة. «يا إلهي!» يصرخ الجراح عند رؤيته، وقد تجمّد من الذعر. «لا أستطيع إجراء العملية لهذا الصبي، إنه ابني!»."

توقفت السيدة العجوز على السرير للحظة، ثم سألت بانتصار:

— "كيف يعقل ذلك ما لم يكن للصبي أبوان؟"

أجاب كاسبر:

– "ليس لدي أدنى فكرة."

أبقى كاسبر عينيه مغلقتين معتمدًا كليًا على حاسة اللمس وهو يحاول إصلاح التلفاز، لذا لم يستطع سوى تخيل ابتسامتها الماكرة خلف ظهره.

قالت:

– "أوه، هيا. لغز كهذا لا ينبغي أن يصعب على رجل بذكائك."

سحب يده من خلف التلفاز القديم الضخم الذي يعمل بالصمامات، واستدار نحو جريتا كامينسكي هازًا رأسه.

كانت أرملة المصرفي البالغة من العمر تسعة وسبعين عامًا قد طرقت بابه قبل خمس دقائق وطلبت منه إلقاء نظرة على «صندوق الغباء» خاصتها. هكذا كانت تسمي الجهاز الضخم الذي كان أكبر بكثير مما تحتمله غرفتها الصغيرة في الطابق العلوي من عيادة تويفلسبرج. وافق بطبيعة الحال، رغم أن المدير الطبي، البروفيسور راسفيلد، منعه منعًا باتًا من مغادرة غرفته دون إشراف.

قال كاسبر وقد استنشق بعض الغبار المتراكم خلف التلفاز فسعل:

– "أخشى أن الألغاز ليست من اختصاصي يا جريتا. ثم إنني لست امرأة، فلا يمكنني القيام بأمرين في آن واحد."

عاد ليضع جانب رأسه ملاصقًا للتلفاز مرة أخرى، محاولًا العثور باللمس على المقبس الصغير لكابل الهوائي. الجهاز الضخم أبى أن يتزحزح مليمترًا واحدًا عن الجدار.

صاحت جريتا وهي تضرب المرتبة مرتين براحة يدها:

– "هراء! لا تكن سخيفًا يا كاسبر!"

كاسبر...

أطلقت عليه الممرضات هذا الاسم. ففي النهاية، كان عليهن مناداته بشيء ما حتى يكتشفن اسمه الحقيقي.

تابعت جريتا:

– "هيا، حاول! ربما يتضح أنك عبقري في حل الألغاز. أنت لا تتذكر شيئًا، فمن يدري؟"

تأوه وهو يدفع يده أعمق قليلًا في الفجوة بين التلفاز وورق الحائط الخشن:

– "مخطئة. أنا أعرف كيف أعقد ربطة العنق، وأقرأ كتابًا، وأركب دراجة. تاريخي السابق فقط هو الصفحة البيضاء."

تذكر ما قالته له الدكتورة صوفيا دورن، الطبيبة النفسية المسؤولة عن حالته، في بداية جلستهما الأولى: «معرفتك بالحقائق سليمة إلى حد كبير، لكن كل ما يحدد هويتك العاطفية – أي كل ما يشكّل شخصيتك بعبارة أخرى – قد اختفى للأسف.»

فقدان الذاكرة الرجعي. ضياع الذاكرة.

لم يكن لديه أي ذكرى عن اسمه أو عائلته أو مهنته. حتى أنه لم يعرف كيف وصل إلى هذا المستشفى الخاص الفاخر. كانت عيادة تويفلسبرج تقع على مشارف برلين وفي أعلى نقطة فيها – وبالتحديد، على تلة صناعية شُيدت من أنقاض المباني التي دمرتها قنابل الحرب العالمية الثانية. أصبحت تويفلسبرج الآن تلة عشبية نصبت القوات الأمريكية على قمتها أجهزة التنصت الخاصة بها في أيام الحرب الباردة. المبنى المكون من أربعة طوابق الذي يخضع فيه كاسبر للعلاج كان

بمثابة قاعة طعام لضباط المخابرات الأمريكية حتى سقوط الجدار في عام 1989، حين اشتراه البروفيسور صموئيل راسفيلد في مزاد علني. قام راسفيلد، وهو طبيب نفسي وطبيب أعصاب مشهور، بتحديث المبنى وتحويله إلى واحد من أهم المستشفيات المتخصصة في الاضطرابات النفسية الجسدية. كانت العيادة تتربع عاليًا فوق غابة جرونفالد كقلعة يحميها جسر متحرك، ولا يمكن الوصول إليها إلا عبر طريق خاص ضيق، وهو المكان الذي عُثر فيه على كاسبر ملقًى قبل أقل من عشرة أيام. فاقدًا للوعي، مصابًا بانخفاض حاد في حرارة الجسم، ومغطى بطبقة رقيقة من الثلج.

كان ديرك باخمان، حارس العيادة والمسؤول عن شؤونها، قد أوصل راسفيلد إلى موعد في مستشفى ويست إند ببرلين في تلك الليلة. ولو تأخر في عودته ساعة واحدة فقط، لمات كاسبر متجمدًا بجانب الطريق. أحيانًا كان يتساءل إن كان ذلك ليُحدث فرقًا. ففي النهاية، ما الفرق بين حياة بلا هوية وبين الموت؟

قالت جريتا كامينسكي بنبرة لوم خفيفة، وكأنها قرأت أفكاره السوداوية:

– "لا ينبغي لك تعذيب نفسك هكذا."

بدت كطبيبة نفسية أكثر منها مريضة زميلة تعاني من نوبات ذهان القلق إذا تُركت وحدها لفترة طويلة.

واصلت حديثها بينما استمر هو في البحث عن مقبس الهوائي المراوغ:

– "الذاكرة مثل امرأة جميلة. طاردها وستشعر بالملل وتدير ظهرها لك. ركز على شيء آخر وستشعر بالغيرة وتعود إليك بمحض إرادتها."

أطلقت قهقهة عالية النبرة.

– "تمامًا مثل معالجتنا النفسية الجميلة، التي تعتني بك بكل حب واهتمام."

نظر إليها كاسبر بدهشة وسأل:

– "ما الذي تعنينه بحق السماء؟"

– "قد أكون عجوزًا شمطاء، لكنني لست عمياء. أعتقد أنك وصوفيا مناسبان لبعضكما تمامًا، يا كاسباار."

كاسباار.

حرف الألف الممدود والراء المرتجفة ذكّرته بنجمات السينما الألمانية في سنوات ما بعد الحرب. قضت جريتا كل عطلة عيد ميلاد في هذه العيادة الخاصة منذ وفاة زوجها بسكتة دماغية في ملعب الجولف قبل سبع سنوات. كان المكان يوفر لها الرفقة عندما يهاجمها اكتئاب العيد، ولهذا كان تعطل تلفازها كارثة حقيقية. كانت تترك «صندوق الغباء» يعمل طوال الوقت كترياق للوحدة.

قالت وهي تقهقه:

– "لو كنتُ أصغر قليلًا، لسعدتُ بأن ترافقني إلى حفل شاي راقص."

ضحك قائلًا:

– "هذا إطراء كبير."

– "لا، أنا أعني ذلك. عندما كان زوجي في مثل سنك – أوائل الأربعينيات، على ما أظن – كان شعره الداكن ينسدل على جبهته بجاذبية تمامًا مثلك. وكان يملك نفس اليدين المتناسقتين أيضًا. والأهم من ذلك..." – لم تستطع إلا أن تقهقه مرة أخرى – "... كان يشاركني شغفي بالألغاز!"

صفقت بيديها مرتين كمعلمة تشير لانتهاء الفسحة.

– "ولهذا سنحاول مرة أخرى..."

تأوه كاسبر بتذمر مصطنع بينما شرعت جريتا في تكرار لغزها:

– "أب وابن يتعرضان لحادث سيارة. يموت الأب، وينجو الابن."

تصبب عرقًا رغم أن النافذة المحورية كانت مفتوحة. تساقط المطر الثلجي طوال الصباح، ولكن بحلول الغداء انخفضت الحرارة إلى ما دون الصفر. هنا في جرونفالد، لا بد أن الجو أبرد بدرجتين مما هو عليه في وسط المدينة، لكن كاسبر لم يكن ليشعر بذلك في هذه اللحظة.

آه! لامست سبابته حلقة معدنية دائرية في الغلاف البلاستيكي. كل ما عليّ فعله الآن هو توصيل الكابل و...

تابعت جريتا:

– "الصبي، المصاب بجروح خطيرة، يُنقل إلى غرفة العمليات لجراحة طارئة، لكنه ابن الجراح الذي يرفض إجراء العملية له."

زحف كاسبر خارجًا من خلف الجهاز الضخم ووقف على قدميه. التقط جهاز التحكم عن بعد.

سألته جريتا بمكر:

– "حسنًا؟ ما الإجابة؟"

قال كاسبر:

– "هذه هي."

ثم شغّل الجهاز.

ومضت الشاشة وامتلأت الغرفة بالصوت الجهوري لمذيع الأخبار. وعندما ظهرت الصورة المقابلة أخيرًا، صفقت جريتا بيديها في غبطة عارمة.

– "إنه يعمل مجددًا. رائع! أنت عبقري."

فكر كاسبر وهو ينفض الغبار عن بنطاله الجينز: لا أعرف ما أنا.

بدأ يقول:

– "من الأفضل أن أعود لغرفتي قبل أن تغضب الممرضة..."

لكن جريتا رفعت يدها طالبة الصمت.

– "... المزيد من التقارير المقلقة عن ما يسمى بـ «مُحطّم الأرواح»، الذي بات يرهب الإناث من السكان لعدة أسابيع الآن..."

رفعت جريتا الصوت.

5:56 مساءً

– "وردنا للتو تقرير يفيد بأن ضحيته الأولى، طالبة الدراما البالغة من العمر 26 عامًا فانيسا ستراسمان، توفيت بعد ظهر اليوم في وحدة العناية المركزة بمستشفى ويست إند. كانت قد اختفت دون أثر بعد حصة دراسية قبل شهرين ونصف، وعُثر عليها بعد أسبوع بالضبط في فندق رخيص على الطريق السريع. عارية، مشلولة، وفي حالة مزرية."

ظهرت صورة لفتاة فاتنة الجمال على الشاشة، وكأن كلمات المذيع الدرامية لم تكن كافية لنقل حجم المأساة. تلت تلك الصورة صورتان أخريان. مرة أخرى، تكبّد أحدهم عناء الحصول على صور جذابة بشكل خاص من ألبوم عائلة ستراسمان.

— "مثل الضحيتين التاليتين — دورين براندت، المحامية الناجحة، وكاتيا أديسي، معلمة المدرسة الابتدائية — كانت فانيسا ستراسمان سليمة جسديًا تقريبًا. ووفقًا لتصريحات الأطباء الذين فحصوها، لم تتعرض للاغتصاب أو الضرب أو التعذيب. لكنها عقليًا كانت حطامًا. وحتى وفاتها اليوم، لم تكن تستجيب إلا للضوء الشديد والصوت العالي. وفي غير ذلك، ظلت في غيبوبة يقظة."

اختفت الصور لتحل محلها لقطة خارجية لمجمع مستشفى حديث.

— "سبب الوفاة يضع الأطباء أمام لغز إضافي، لأنه من المستحيل تحديد ما حدث بالضبط لتلك الشابات أثناء وقوعهن في قبضة الجاني. قد توفر القصاصات الورقية الصغيرة التي عُثر عليها في أيدي الضحايا الثلاث دليلًا، رغم أن الشرطة تتكتم تمامًا عما كُتب فيها. لحسن الحظ، لم ترد تقارير أخرى عن مفقودين، ولا يسعنا إلا أن نأمل أن تكون هذه نهاية سلسلة الاختطافات المروعة، وليست مجرد استراحة خلال عطلة عيد الميلاد. أجمل هدية عيد ميلاد على الإطلاق ستكون خبر القبض على «مُحطّم الأرواح» — أليس كذلك يا ساندرا؟"

التفت المذيع إلى زميلته بابتسامة مهنية وانتقل للحديث عن الطقس.

– "أنت محق يا بول. لنشبك أصابعنا أملًا في أن تصل هدايانا الأخرى إلى أسفل شجرة عيد الميلاد بسلام وفي الوقت المناسب، لأن أشد تساقط للثلوج في العشرين عامًا الماضية قد أعقبه تجمد مفاجئ أدى إلى شل حركة المرور في العديد من المدن. وعلاوة على ذلك، من المتوقع هبوب عواصف ثلجية عنيفة..."

فكر كاسبر حين رأى خريطة طقس برلين مرشوشة برموز التحذير البيانية: تجمد مفاجئ.

وعندئذ حدث الأمر لأول مرة. هاجمته الذاكرة فجأة وبعنف، وبالكاد استطاع التماسك.

استرجاع (فلاش باك)

قال:

– "ستعود قريبًا، أليس كذلك؟"

– "أجل، لا تقلق."

ملّس شعرها المبلل بالعرق، والذي انسدل على عينيها أثناء التشنجات.

– "لن تتركني وحدي طويلًا، أليس كذلك؟"

– "كلا."

لم يكن يسمع الفتاة الصغيرة تتحدث بالطبع؛ فقد كانت عاجزة عن تحريك لسانها منذ بعض الوقت، لكنه استشعر توسلًا صامتًا في الضغط الخافت لأصابعها. قمع الفكرة المؤلمة بأن ذلك قد يكون مجرد رد فعل لاإرادي مثل الارتعاش غير المنضبط في جفنها الأيمن، وليس حركة مقصودة.

– "أنا خائفة جدًا. أرجوك ساعدني."

كان جسدها الضئيل ذو الأحد عشر عامًا يصرخ طلبًا للمساعدة بكل جوارحه، ووجد صعوبة بالغة في كبح دموعه. ولصرف انتباهه، حدق في الشامة الصغيرة المستديرة التي تحوم فوق عظم وجنتها اليمنى كأنها نقطة علامة تعجب.

همس قائلًا:

– "سأخرجكِ من هناك. ثقي بي."

ثم قبل جبهتها، داعيًا ألا يكون الأوان قد فات.

همست دون أن تحرك شفتيها:

– "حسنًا."

– "أنتِ شجاعة جدًا يا حبيبتي. أشجع بكثير مما يتطلبه سنك."

– "أعرف."

انفصلت أصابعها عن يده.

أنّت بصمت:

– "لكن أسرع."

– "بالطبع. أعدك. سأحرركِ."

– "أنا خائفة يا أبي. ستعود قريبًا، أليس كذلك؟"

– "سأفعل. سأعود قريبًا يا حبيبتي، وحينها سيكون كل شيء على ما يرام – سيعود كل شيء كما كان. لا تقلقي، حسنًا؟ لقد ارتكبتُ خطأً لكنني سأخرجكِ من هناك، وبعد ذلك..."

***

صاحت جريتا بصوت عالٍ:

– "حسنًا، ما رأيك؟"

منتزعةً كاسبر من أحلام يقظته المرعبة. رمش بشكل محموم، وابتلع اللعاب المتجمع في فمه، وفتح عينيه. بدأت عيناه تدمعان فورًا حين ضرب وهج التلفاز حدقتيه. كان واضحًا أن جريتا لم تلاحظ شروده العابر على الإطلاق.

سأل:

– "عفوًا؟"

علقت رائحة احتراق في أنفه، وكأن ارتطام تلك الشظية الأولى من الذاكرة قد أشعل شيئًا ما.

ماذا كان ذلك؟ ذكرى حقيقية؟ أم حلم؟

لا يزال تحت تأثير صدمة الصور التي تكشفت أمام عين عقله، أمسك بصدره غريزيًا في المكان الذي يخفي فيه قميصه الحروق التي التأمت حديثًا، والتي اكتشفها في المرة الأولى التي استحم فيها بالعيادة. حروق كان مصدرها لغزًا بالنسبة له بقدر ما كان ماضيه بشكل عام.

قالت جريتا بحماس:

– "مثير للاهتمام. ماذا يمكن أن يكون عليها؟"

خفضت الصوت، وتلاشت الرائحة الكريهة من أنفه.

– "على ماذا؟"

– "تلك القصاصات الورقية بالطبع. التي وجدوها مع ضحايا «مُحطّم الأرواح». ماذا يمكن أن تعني؟"

قال شاردًا:

– "لا فكرة لدي."

كان عليه الخروج من هناك. أن يجمع شتات أفكاره. أن يفهم معنى كل هذا ويناقشه مع طبيبته النفسية.

هل لدي ابنة؟ هل تنتظرني في الخارج في مكان ما؟ مريضة وخائفة ووحيدة تمامًا؟

– "ربما من الأفضل أن تطفئي التلفاز. لن تنامي أبدًا وأنتِ تستمعين لقصص رعب كهذه."

بذل كاسبر جهده لإخفاء حيرته وهو يتجه ببطء نحو الباب.

ابتسمت له جريتا بمكر ووضعت نظارات القراءة المعضوضة بشدة على المنضدة الجانبية:

– "هيا، «مُحطّم الأرواح» لن يستهدفني أنا. لا أتناسب مع نمطه، حتى بدون مشاية العجائز، أليس كذلك؟ سمعتَ بنفسك: كل ضحاياه كن بين العشرين والأربعين، رشيقات، شقراوات، وعازبات. كل الصفات التي ربما كانت تنطبق عليّ قبل خمسين عامًا."

ضحكت.

– "لا تقلق يا عزيزي. الليلة سأنام على فيلم حيوانات لطيف ومحبوب. يعرضون «صمت الحملان»..."

بدأ كاسبر يقول:

– "هذا ليس فيلـ..."

ثم رأى من تعبير وجهها أنها تمازحه.

– "أصبتِ."

قالها ولم يستطع منع نفسه من الابتسام رغم تشوشه الذهني.

– "هذا يجعلنا متعادلين."

مد يده لمقبض الباب.

نادت جريتا خلفه وقد بدا عليها الارتباك:

– "متعادلين؟ ماذا تعني؟"

– "حسنًا، لقد خدعتِني للتو، لكنني حللتُ لغزك."

– "كذاب. لم تفعل!"

ابتسم كاسبر قائلًا:

— "بلى، فعلت: الجراح كان امرأة. الجراح في المستشفى كان والدة الصبي. ولهذا رفضت إجراء العملية له."

قهقهت جريتا وصفقت بيديها مرة أخرى كفتاة مدرسة:

— "يا إلهي! كيف عرفت؟"

فكر في نفسه: لا فكرة لدي، وابتسم بارتباك، ثم تمنى لها ليلة سعيدة.

اختفت ابتسامته في اللحظة التي أغلق فيها الباب خلفه وخرج إلى الرواق. فكر للحظة في الاندفاع عائدًا للداخل قبل أن يلمحه الطبيبان النفسيان اللذان خرجا لتوّهما من غرفته وبدا عليهما الغضب. ثم سمع اسمه يُذكر، فقرر تتبعهما خلسة.

6:07 مساءً

كان راسفيلد وصوفيا مستغرقين في جدالهما لدرجة أنهما لم يلحظا كاسبر رغم أنه كان على بعد بضعة أمتار خلفهما.

قال راسفيلد بصوته الأجش:

— "أعتقد أن الوقت مبكر جدًا. قد يكون الأمر صادمًا للغاية."

توقف المدير الطبي وكان يعبث بالوشاح الصوفي حول عنقه. كالعادة، كان مظهره تناقضًا كبيرًا. يرتدي وشاحًا سميكًا حتى في عز الصيف خوفًا من نزلات البرد، لكن ذلك لم يمنعه من الخروج في الشتاء بقدمين حافيتين داخل صندل جلدي. كان يهتم بأظافره المشذبة بعناية وشعره المصفف، لكنه أهمل شعر وجهه. لحيته وشاربه أظهرا نفس الميل للنمو العشوائي كالشعيرات التي نبتت من أنفه وأذنيه. ورغم

حصوله على الدكتوراه بأطروحة عن السمنة المرضية، كان مكتبه مليئًا بعلب الوجبات السريعة الفارغة وأكوام الكتب والأوراق. ومع أنه لم يكن ببدانة مسؤوله الإداري، ديرك باخمان، إلا أنه كان يملك "كرشًا" يكفي لجعل صوفيا تبدو بجانبه كمريضة بفقدان الشهية.

أمرها بحزم:

— "لا يجب أن تريه إياه!"

أمسك بذراعها وقادها عبر الرواق مبتعدًا عن الغرفة التي غادراها للتو.

— "تحت أي ظرف من الظروف، هل هذا واضح؟ أنا أمنع ذلك."

تبعهما كاسبر على رؤوس أصابعه.

همست صوفيا بحدة أقل قليلًا وهي ترفع ملفًا رقيقًا:

— "أنا لا أوافقك الرأي. لديه الحق في رؤية هذا."

توقف المدير الطبي فجأة، وللحظة بدا وكأنه قد يستدير. جثا كاسبر بسرعة وفك رباط حذائه. لكن راسفيلد فتح باب مطبخ الممرضات الصغير وسحب صوفيا للداخل. بقي الباب مواربًا، وتمكن كاسبر، وهو جاثٍ في الرواق، من الرؤية عبر الشق. كان راسفيلد خارج مجال رؤيته.

سمع البروفيسور يقول:

— "حسنًا، أنا آسف يا صوفيا. أعتذر إن كنت بالغت في رد فعلي، لكننا حقًا لا نعرف حجم الضرر الذي قد تلحقه به هذه المعلومات."

— "أو ما هي الذكريات التي قد تثيرها."

كانت صوفيا تستند على سطح العمل بجوار الحوض. خالية من المكياج كعادتها، بدت كطالبة طب في سنتها الأولى أكثر منها طبيبة نفسية كبيرة. تساءل كاسبر لماذا يشعر بانجذاب كافٍ نحو صوفيا ليتلصص عليها هكذا. لم يكن فيها شيء مثالي. كل جانب من مظهرها بدا وكأنه يعاني من عيب بسيط: عينان واسعتان جدًا، بشرة شاحبة جدًا، أذنان بارزتان قليلًا، وأنف لم يكن ليظهر أبدًا في كتالوج جراح تجميل. ومع ذلك، لم يستطع كاسبر الاكتفاء من النظر إليها. كل جلسة علاجية كانت تكشف تفصيلًا جديدًا يفتنه. في هذه اللحظة، كانت تلك الخصلة الشاردة من الشعر التي شكلت علامة استفهام مقلوبة أسفل صدغها.

سمع راسفيلد يقول بصوت منخفض:

— "أنتِ غير صبورة يا صوفيا."

جفل كاسبر وهو يرى يد المدير الطبي المليئة بقع التقدم في العمر تزحف ببطء نحو يدها. لا شك أن البروفيسور قصد أن تبدو نبرته مغوية وسرية في آن واحد.

— "كل شيء في وقته، كل شيءفي..."

وفي اللحظة التي مسد فيها راسفيلد معصم صوفيا بظهر سبابته المشعرة، تصرف كاسبر بغريزته.

قفز واقفًا، ودفع الباب، ثم تراجع فورًا إلى الرواق بنظرة دهشة مصطنعة.

زمجر راسفيلد:

— "ما... ما الذي تفعله هنا؟"

استغرق الأمر منه لحظة فقط لاستعادة رباطة جأشه.

أوضح كاسبر مشيرًا إلى إبريق القهوة المعدني بجوار صوفيا:

– "جئتُ لأحصل على كوب من القهوة."

– "ألم أمنعك من مغادرة غرفتك دون إشراف؟"

أمسك كاسبر برأسه:

– "إمم، نعم. لا بد أنني نسيت. آسف، يحدث هذا كثيرًا مؤخرًا."

– "فهمت، إذن تجد الأمر مضحكًا، هاه؟ ماذا لو عانيت من انتكاسة وتسللت خارج العيادة دون أن يراك أحد؟ هل ألقيت نظرة على الخارج؟"

تتبع كاسبر إشارة يد راسفيلد. نافذة المطبخ كانت مغطاة بالبخار.

– "تراكمات الثلوج بارتفاع مترين في الخارج. لن يتمكن باخمان من إنقاذك مرة ثانية."

ولدهشة كاسبر، وقفت صوفيا في صفه.

قالت بحزم وهي تلتقط الملف وتخرج للرواق:

– "إنه خطئي يا بروفيسور. أنا أخبرته أنه يستطيع."

حاول كاسبر إخفاء دهشته. في الواقع، كانت صوفيا قد قالت العكس تمامًا. كان عليه دائمًا إبلاغ ممرضة، حتى لو أراد الذهاب للمرحاض.

أخرج راسفيلد منديلًا كتانيًا من معطفه الطبي ومسح جبينه بغضب:

– "إذا كان الأمر كذلك... فأنا ألغي ذلك القرار من الآن."

وبجفاء، اندفع متجاوزًا إياهما ومضى دون كلمة أخرى. عبارة «لم ينتهِ الحديث عن هذا بعد» ظلت معلقة في الهواء دون أن تُقال.

استرخى تعبير صوفيا تدريجيًا كلما ابتعد. وحين انعطف أخيرًا عند الزاوية، تنهدت بعمق.

قالت بعد صمت قصير:

– "هيا، علينا الإسراع."

تبعها كاسبر عبر الرواق إلى غرفته:

– "لماذا؟ لقد أنهينا جلستنا اليوم."

– "نعم، لكن لديك زائر."

– "من هو؟"

التفتت صوفيا لتواجهه.

– "شخص قد يعرف من أنت حقًا."

تصلب جسد كاسبر وتوقف فجأة.

– "من هو؟"

– "سترى."

كان قلبه لا يزال يخفق، وإن لم يكن بنفس السرعة السابقة.

– "هل يعرف راسفيلد؟"

قطبت جبينها بدهشة ورمقته بشك. ذكرته نظرتها الفاحصة بلحظات وعيه الأولى في العناية المركزة، حين استيقظ ووجد نفسه يحدق في صورة غريب منعكسة في عينيها الزرقاوين بلون زهرة «لا تنسني». كان قد شتت انتباهه في البداية الوميض الكهرماني الذي أضفى عليهما عمقًا إضافيًا، كالحصى في قاع بحر شفاف.

سألته حينها بصوت دافئ، رغم نبرته المهنية، كان يشي بالاهتمام:

– "من أنت؟"

تلك كانت أقدم ذكرى لديه. منذ ذلك الحين، عاش حصريًا في الحاضر.

قال:

– "ظننتُ أن البروفيسور لا يريدكِ مواجهتي بالحقيقة مبكرًا جدًا؟"

رمقته صوفيا بتمعن وقد أمالت رأسها قليلًا لجانب.

قالت أخيرًا وهي تحاول عدم الابتسام:

– "أعتقد أنك نسيت قهوتك يا كاسبر."

وحين فشلت في كبت الابتسامة، استدارت مرة أخرى وفتحت باب غرفته.

6:17 مساءً

– "حسنًا؟"

مال كاسبر بجسده للأمام في الكرسي المريح. كان الكرسي، مثله مثل السرير والسجاد الفاخر والستائر زاهية الألوان، ليبدو في مكانه الطبيعي في فندق ريفي إنجليزي أكثر منه في غرفة مريض بمستشفى للأمراض العقلية.

– "هل تعرفه؟"

تمنى كاسبر لو كان الأمر كذلك. تمنى ذلك لدرجة أنه كاد يكذب ويقول نعم، فقط لكي لا يبقى وحيدًا بعد الآن. حاول يائسًا استدعاء أي تجربة شاركها مع زائره غير العادي وهو ينظر في عينه – عينه اليمنى.

العين اليسرى لم تكن موجودة. لقد قُلعت بطريقة ما، إذا كان قد فسر الندبة بشكل صحيح.

على عكسه، بدا الكلب بلا شك على الإطلاق. كان الهجين الأشعث يلهث حتى كاد يختنق من شدة سعادته برؤيته مرة أخرى.

تنهد كاسبر وهو يمسك بمخلب الكلب الكبير الذي كان مستقرًا على ركبته:

— "لا أتذكره."

كانت كرة الفراء الرملي الشعثاء تواجه صعوبة كبيرة في التوازن على ساقيها الخلفيتين من شدة هز ذيلها.

— "حقًا لا؟"

وقفت صوفيا أمامه مباشرة ممسكة بملفه بكلتا يديها، ونظرت بتساؤل إليه وإلى الكلب بالتناوب. انفك الزر العلوي لقميصها، ولمعت قلادة بحجم العملة المعدنية في سلسلة فضية عند فتحة عنقها.

كرر كاسبر وهو يحاول عدم التحديق في تميمة عرق اللؤلؤ خشية أن تسيء فهم نظرته:

— "حقًا لا."

ثم تنهد مرة أخرى.

كانت تواجهه بشظايا جديدة من ماضيه كل يوم. قالت إنهم حريصون على عدم استعجال الأمور، خشية أن يرسلوا أفكاره في مسار خاطئ وتعلق هناك. سماها هو «علاج أحجية الصور المقطوعة». قطعة تلو الأخرى سُلّمت له، وكان يشعر بالفشل أكثر فأكثر لأنه عجز عن تجميعها في صورة متماسكة.

كانت ملابسه المتسخة أول شيء أروه إياه.

تلاها تذكرة قطار درجة أولى مجعدة، ذهاب وعودة هامبورغ ـ برلين، بتاريخ 13 أكتوبر الماضي. الدليل الوثائقي الوحيد في حقيبته الفارغة بخلاف ذلك. هذا بالإضافة للكدمة فوق عينه اليمنى، التي تلاشت منذ ذلك الحين، مما أشار إلى أنه كان ضحية سرقة بالإكراه.

سأل كاسبر:

— "أين وُجد الكلب؟"

— "في الممر الخاص. ربما تدين له بحياتك. باخمان يستمتع بالقيادة بسرعة في سيارة الجيب حين لا يكون راسفيلد في المنزل. لولا أن الحيوان اعترض طريقه نابحًا بجنون، لما نزل بالتأكيد ولربما لم يرك. كان الظلام قد حل، وكنت أنت ملقى على الحافة."

جثت صوفيا وداعبت الكلب، الذي لعق بطاقة هويتها على معطفها الطبي.

— "أين كان طوال الأيام الماضية؟"

ضحكت قائلة:

— "باخمان كان يعتني به. يقول إنه لا يهمه إن استعدت ذاكرتك أم لا، فهو لن يتخلى عن مستر إد. يمكنك أن تأخذ زوجته للمنزل بدلًا منه."

— "مستر إد؟"

هزت كتفيها:

— "كان هناك حصان ناطق بهذا الاسم في التلفاز قديمًا. يعتقد باخمان أن الكلب يملك نفس التعبير البائس — وهو أذكى حتى."

وقفت مرة أخرى.

– "ألا يثير مستر إد أي مشاعر بداخلك؟"

– "بالتأكيد، أظنه لطيفًا، لكن ربما أنا محب للحيوانات بشكل عام. لست متأكدًا."

قلبت صوفيا صفحات سجل مريضه.

– "حسنًا... ماذا عن هذا؟"

عندما مدت الصورة نحوه، شعر وكأنها صفعته على وجهه. اشتعلت وجنتاه وفقد الجانب الأيمن من وجهه الإحساس فجأة.

– "من أين لكِ..."

رمش، لكنه لم يستطع منع دمعة صغيرة من التدحرج على أنفه.

– "هل كانت... أعني..."

توقف عن الكلام واستنشق بقوة.

استبقت صوفيا سؤاله وقالت:

– "نعم، لم يعثر عليها باخمان إلا هذا الصباح، حين كان يزيل الثلج. لا بد أنها سقطت من جيبك ولم نلحظها حينها."

سلمته الصورة الملونة المكبرة.

– "حسنًا، هل تعرفها؟"

ارتجفت الصورة بين يديه.

همس دون أن يرفع بصره:

– "نعم، للأسف."

– "من هي؟"

– "أنا... لست متأكدًا."

مرر كاسبر طرف إصبعه على الشامة الموجودة على خد الفتاة الصغيرة.

رفع رأسه وأجبر نفسه على النظر في عيني صوفيا:

– "لا أعرف اسمها."

ثم أضاف:

– "لكنني أعتقد أنها في مكان ما بالخارج، تنتظرني."

6:23 مساءً

وضع مستر إد الكلب رأسه بين مخلبيه الكبيرين وتسطح على بطنه كأنه سجادة أمام المدفأة. جعلته أذناه المنتصبتان يبدو كمستمع منتبه.

سألت صوفيا كاسبر بحدة بعد أن أنهى إخبارها عن الرؤية الغامضة التي طاردته في غرفة جريتا:

– "ابنتك؟ لماذا لم تخبرني من قبل؟"

الفتاة الصغيرة. جفنها المرتعش. نظرة التوسل الصامتة.

– "كانت المرة الأولى، ولست متأكدًا على الإطلاق ما إذا كانت ذكرى حقيقية، أم... أم مجرد كابوس."

ستعود قريبًا، أليس كذلك؟

فرك كاسبر عينيه المتعبتين.

سألت صوفيا:

– "وهل بدت مريضة؟"

لا، أسوأ من ذلك.

قال بلا أمل كبير:

– "ربما كانت نائمة فقط؟ حركاتها كانت تشنجية وغير منسقة، مثل شخص يحلم. لكن..."

– "لكن ماذا؟"

– "شعرتُ أنه كان يجب عليّ احتضان الفتاة بقوة لمنعها من الطفو للسقف كبالون هيليوم، بدت خفيفة الوزن للغاية. وكأن شخصًا ما انتزع ما يمنحها ثقلها وترك قشرة بلا روح. هل تفهمين؟"

قالت صوفيا:

– "أنت تقول ذلك كثيرًا."

– "ماذا؟"

– "«هل تفهمين؟» تستخدم هذه العبارة كثيرًا حين نتحدث. مهنتك ربما تتطلب شرح أمور معقدة لغير المتخصصين، كمعلم مثلًا، أو مستشار، أو محامٍ أو ما شابه. لكنني لم أقصد مقاطعتك. هل تتذكر بالضبط ما كانت الفتاة تستلقي عليه؟"

– "سرير أو نقالة. شيء من هذا القبيل."

– "كيف بدت الغرفة؟"

– "مشرقة. كان هناك نافذتان كبيرتان والشمس تسطع للداخل."

– "هل كنتما وحدكما؟"

– "من الصعب القول. لم أشعر بوجود أي شخص..."

أي شخص ماذا؟ عذبها، أو اغتصبها، أو سممها؟

سألت صوفيا:

– "إذن كنتما أنت والفتاة فقط؟"

– "نعم. كانت تستلقي أمامي، تتنفس بشكل غير منتظم. شعرها بدا مبللًا بالعرق وجفناها يرفرفان."

– "ربما آثار نوبة صرع؟"

– "ربما."

أو سم، أو صدمة، أو تعذيب...

– "لكنها تحدثت إليك؟"

– "لا، لم يكن هناك تواصل مباشر. لم أستطع سماع ما قالت، فقط شعرت به."

– "تخاطر؟"

هز كاسبر رأسه بقوة.

– "أعرف ما تلمحين إليه. لكنه لم يكن حلمًا بعناصر خارقة للطبيعة، إلا إذا اعتبرتِ حب الأبوين كذلك. أمسكتُ بيد ابنتي وشعرتُ بما كانت تحاول قوله لي."

أنا خائفة جدًا. أرجوك ساعدني...

– "أشعر أنها في مكان ما بالخارج، محتجزة لدى شخص فعل بها شيئًا سيئًا، ويجب عليّ طلب المساعدة قبل أن تتدهور حالتها أكثر."

أربكه سؤال صوفيا قليلًا:

– "هل كانت هناك قضبان؟"

– "عفوًا؟"

– "قضبان؟ على النوافذ؟ قلتَ إن الشمس كانت تسطع للداخل."

أغمض كاسبر عينيه وحاول استعادة المشهد.

أنا خائفة جدًا. أرجوك ساعدني...

الغرفة المشرقة، عند التفكير فيها الآن، لم تبدُ كسجن أو مخبأ محصن.

هز كتفيه:

— "من الصعب القول."

قالت صوفيا بهدوء ولكن بحزم:

— "حسنًا، أيًا كانت هذه الفتاة يا كاسبر، لا ينبغي أن تقلق بشأنها كثيرًا."

— "ولمَ لا؟"

— "أرسلنا صورتها للمحققين العاملين على قضيتك. يقولون إنه لم يتم الإبلاغ عن فقدان أي شخص في مثل عمرها أو هيئتها."

أزاحت صوفيا خصلة الشعر التي تشبه علامة الاستفهام خلف أذنها. أطلق كاسبر ضحكة خالية من المرح.

— "وماذا يثبت ذلك؟ لم يبلغ أحد عن فقداني أنا أيضًا، إذا صدقنا الشرطة، ومع ذلك ها أنا ذا. لذا لا يمكنكِ ضمان أن ابنتي..." — تردد باحثًا عن الكلمات المناسبة — "... أن هذه الفتاة ليست في خطر. أعني، لقد وعدتها بأنني سأعود إلى هناك."

توقف للحظة، ثم أضاف بصوت أخفت:

— "أينما كان «هناك»."

قلبت صوفيا المجلد بين يديها وقالت:

— "حسنًا. في هذه الحالة، يجب علينا أن نعلن الأمر للعموم."

— "تعنين الصحافة؟"

أومأت برأسها.

– "نعم، حتى لو أقام راسفيلد الدنيا ولم يقعدها. لم يكن يريدني حتى أن أريك صورة الفتاة. شخصيًا، أعتقد أن الوقت قد حان."

قال كاسبر بلا تردد:

– "أنا أوافق."

على أية حال، كان يجد أسلوب التقطير هذا وعزل راسفيلد السريري مريبًا بشكل متزايد. بالنسبة للبروفيسور، كان هو فأر تجارب مرحبًا به، لأن صوفيا أخبرته أن حالات فقدان الذاكرة الكلي نادرة جدًا في الواقع. وكان ذلك السبب الوحيد للسماح له بالبقاء في هذه العيادة الحصرية أصلًا. أراد راسفيلد توثيق حالته علميًا. وهذا يقتضي، حسب زعمه، أن تحدث العملية الإدراكية داخله ولا يتم التلاعب بها عبر مؤثرات خارجية. حتى أنه منع مقابلة الشرطة لهذا السبب.

قال كاسبر:

– "يمكن للمراسلين المجيء في أي وقت، بالنسبة لي."

رغم إدراكه أنه سيتم نقله فورًا إذا انتشرت صورته في الصحف. المرضى البارزون الذين لجؤوا لعيادة تويفلسبرج بسبب مشاكل المخدرات أو الاكتئاب الهوسي كانوا يولون أهمية قصوى لعدم الكشف عن هويتهم وللعزلة الهادئة. وطواقم التصوير خارج المدخل الرئيسي لا تتماشى مع ذلك.

– "حسنًا، سأرتب الأمر. شيء آخر..."

تحاشت صوفيا النظر في عينيه.

– "نعم؟"

– "لن أتمكن من التواجد معك حين يبدأ السيرك الإعلامي. اعتبارًا من الغد، سيتولى راسفيلد رعايتك بنفسه."

استوعب كاسبر الأمر للحظة. ثم ابتسم.

– "بالطبع، أنا أتفهم. أتمنى لكِ عيد ميلاد سعيدًا يا صوفيا."

رفعت نظرها وهزت رأسها بحزن.

– "لا، ليس بسبب العطلة. هذا هو يومي الأخير هنا."

– "فهمت."

– "سأرحل."

– "أوه."

شعر فجأة وكأنه أبله عاجز عن تكوين جملة مفيدة. إذن لهذا السبب استطاعت تجاهل تعليمات المدير الطبي. إنها تتخلى عنه.

– "هل لي أن أسأل لماذا؟"

ضغطت على يده وقالت:

– "لا، أرجوك لا تسأل."

مما جعل الأمر أسوأ بكثير.

أدرك الآن فقط أنها كانت السبب الحقيقي لعدم حزمه لأمتعته وانطلاقه في رحلة فردية للبحث عن هويته. في الجلسات القليلة التي جمعتهما، أصبحت صوفيا بمثابة مرساة النجاة في محيط وعيه. والآن هي بصدد قطع سلسلة المرساة.

سأل رغم علمه أنه بذلك يغادر علاقتهما العلاجية ويدخل منطقة خاصة:

– "هل للأمر علاقة بالبروفيسور راسفيلد؟"

– "لا، لا."

أعادت صورة الفتاة إلى ملفها وجلست إلى مكتب صغير أسفل النافذة العلوية.

– "حسنًا."

بعد إدراج أحدث ملاحظاتها العلاجية في المجلد، أغلقته صوفيا بتنهيدة خافتة ووقفت. شعر كاسبر بترددها وهي تفكر ما إذا كانت ستودعه بمصافحة أم عناق. عبثت بسبابتها اليمنى في حرج، ثم تنحت جانبًا ووقفت تنظر إلى المنضدة بجوار سريره.

– "لكن يجب أن تعدني بالاستمرار في استخدام قطرات عينيك بانتظام حين لا أكون هنا لأتفقدك. ستفعل، أليس كذلك؟"

التقطت الزجاجة البلاستيكية الصغيرة وهزتها. كان كاسبر يضع عدسات لاصقة. حين عثروا عليه، كانت العدسات ملتصقة بمقلتي عينيه كأقراص من العلكة المجففة – مؤشر آخر، بالإضافة لانخفاض حرارته، على أنه لا بد قد بقي في العراء لفترة طويلة.

احتج قائلًا:

– "لا أعتقد أنني أحتاجها بعد الآن."

– "بلى، تحتاجها. ونفس الشيء بالنسبة للمراهم. لا يجب أن تتوقف عن استخدامها لمجرد أن الحكة هدأت."

ربتت على حافة السرير. جلس كاسبر بطاعة بجوارها. حافظ على مسافة لائقة، لكنها اقتربت أكثر. الآن جاء دوره ليتحاشى نظرها. لم يعتد بعد على رؤية وجه الغريب المنعكس في عينيها منذ ولادته الجديدة قبل بضعة أيام.

سأل بينما كانت تفك غطاء زجاجة القطرة:

– "ما رأيكِ؟ هل يمكن أن تكون ابنتي؟ هل تشبهني على الإطلاق؟"

حبست صوفيا أنفاسها للحظة، ثم تنهدت.

– "من الصعب القول في هذا العمر."

استشعر كاسبر الجهد الذي تبذله لئلا تحرمه من ذكراه الأولى وأمله الأخير.

تابعت:

– "لا أعرف ما أقول. أي شخص سيسعد بكونه والد طفلة جميلة كهذه. لكن كأم، أجد أنه من المفجع أنها قد تكون بانتظار عودة والدها في هذه اللحظة بالذات."

نظر إلى يدها اليسرى.

– "كأم؟"

لم يرَ أي خاتم زواج. المجوهرات الوحيدة التي ارتدتها كانت تميمة عرق اللؤلؤ في السلسلة الرفيعة حول عنقها النحيل.

– "حسنًا، لنقل إنني تقدمتُ لتلك الوظيفة في حالة ابنتي وفشلتُ فشلًا ذريعًا."

استشعر كاسبر أكثر من مرة الكآبة الكامنة في نبرتها أثناء جلساتهما، لكن ليس بوضوح كما الآن.

– "عملتُ بجد وأهملتُ ماري. ولهذا وجد من السهل جدًا أخذها مني."

إذن هذا هو الأمر، فكر. لهذا أشعر برابط بيننا. لدينا شيء مشترك.

سأل بنعومة:

– "من أخذها منكِ؟"

– "زوجي السابق. تمكن من الحصول على الحضانة الكاملة."

– "كيف؟"

عض شفته، لكن الأوان كان قد فات. سؤاله كان فجًا جدًا، ملحًا ومتطلبًا. ذكرها بأنه لا يحق له التطفل على حياتها الخاصة.

قالت بحدة وهي تمسح خدها بكمها:

– "لديه طرقه، لنقل ذلك. تباً!"

نظفت حلقها.

– "لقد قلتُ الكثير بالفعل."

حاول مرة أخرى:

– "لكِ مطلق الحرية في الحديث عن الأمر."

سحبت القطارة.

– "لا. الحديث لا يصلح الأخطاء، الفعل فقط يفعل. لهذا سأرحل: لأستعد."

– "ما الذي تنوين فعله؟"

– "سأحاربه. لدي موعد مهم في المحكمة قريبًا. تمنى لي الحظ."

نظر إليها كاسبر بتشجيع:

– "سأفعل. وعلاوة على ذلك، من يدري؟ قد يتضح أنني محامٍ متخصص في قضايا الحضانة. حينها يمكنني رد الجميل لكِ على علاجك الممتاز."

أطلقت ضحكة حزينة صغيرة:

– "نعم، من يدري؟ لكن الآن، أرجوك أرجع رأسك للخلف."

أطاع. أفلتت خصلة الشعر خلف أذنها وهي تنحني فوقه. تمنى كاسبر لو تلامس خده بنفس الإثارة التي كان عطرها الخفيف يداعب بها أنفه.

لم نكن قريبين هكذا من قبل، فكر وهي تحدق فيه والقطرة الأولى تتشكل في طرف الأداة.

في تلك اللحظة، استشعر مستر إد الخطر. أطلق نباحًا حادًا، وقفز فوق السرير ونبح باتجاه النافذة المفتوحة. غريزته نبهته قبل وصول الموجات الصوتية. والآن، هم أيضًا سمعوا الصوت: صوت تحطم وتهشم، تلاه صرير معدن. وللحظة وجيزة ورهيبة، خُيّل لـ كاسبر أن شيئًا ما في الممر بالأسفل قد قُطع نصفين. شيء حي.

6:31 مساءً

فكر للحظة إن كان عليه اتباع صوفيا، التي هرعت خارج الغرفة ومعها مستر إد مقودًا. حدث شيء في الخارج. حادث، على الأرجح.

ذهب مباشرة إلى النافذة العلوية، لكن لم يكن هناك الكثير ليرى من هناك. في النهار، كان الطابق العلوي للعيادة يطل على منظر خلاب للمحمية الطبيعية المشجرة الممتدة حتى ضواحي برلين الراقية، لكن الظلام والمطر الثلجي قد ابتلعا ظهيرة الشتاء الرمادية منذ فترة. مما جعل مصدر الضوء غير الطبيعي يبدو أكثر شؤمًا. أضواء طوارئ حمراء وزرقاء كانت تومض بانتظام وسط الصنوبريات المثقلة بالثلوج

والمحيطة بالطريق المتعرج صعودًا من الوادي إلى مدخل عيادة تويفلسبرج.

دفع كاسبر النافذة ليفتحها أكثر وأخرج رأسه. كانت الثلوج تتساقط بكثافة أكبر. على مسافة ما، سمع أزيزًا رتيبًا. ثم، على بعد أربعة طوابق تحته، انفتح الباب الأمامي الضخم وخرج رجلان إلى البرد.

سمع راسفيلد يسأل:

— "هل رأيت ما حدث؟"

رغم أن المدير الطبي كان يقف خارج الوهج الخافت المنبعث من منطقة الاستقبال، إلا أن صوته الأجش كان لا تخطئه الأذن.

أجاب باخمان:

— "لا، كنتُ في استراحة، في المكتبة. تعلم، كنتُ أعيد ذلك الكتاب عن الخطابة العامة الذي أوصيت به."

خطابة عامة؟ استغرب كاسبر.

كان باخمان معروفًا عادة بمحاولة التخفيف عن المرضى بمجموعة من النكات السخيفة. في حضرة راسفيلد، بدا كتلميذ متوتر وصل متأخرًا للفصل دون عذر من والديه.

تذمر البروفيسور:

— "هذا التجمد المفاجئ اللعين. هل أصيب أحد؟"

— "من الصعب القول. المركبة ملقاة بعرض المدخل. كاميرات المراقبة لا تعطي رؤية كاملة لها."

هبت الرياح سحابة من ندف الثلج الرطبة إلى الغرفة، حاجبة رؤية كاسبر تمامًا.

– "كيف بحق الجحيم سننزل إلى هناك؟"

في تلك اللحظة، انصفقت النافذة مغلقة بصوت عالٍ.

استدار كاسبر ليرى لينوس واقفًا في المدخل. بدا زميله المريض مفزوعًا ومحتارًا وفضوليًا في آن واحد، وكأنه اكتشف للتو أنه يستطيع إغلاق النوافذ بقوة العقل.

طمأنه كاسبر:

– "كانت الرياح فقط. ماذا حدث؟"

همس لينوس بصوت خافت:

– "حادسيء. انقلا."

المغني المحترف، المريض الدائم، لم يكن يعيش في عالمه الخاص فحسب، بل كان يتواصل بلغة من اختراعه.

لسنوات، أخطأ لينوس واعتبر رأسه وعاء خلط يجب ملؤه عن طريق فمه أو أنفه بمخزون لا ينضب من الحبوب والجرعات والمساحيق. لم يستطع أحد تحديد أي مخدر بالضبط أدار الخلاط لأقصى سرعة في النهاية، لكن بعد أن أنعشه المسعفون خلف الكواليس بعد حفلة موسيقية، لم يعد قادرًا على ترتيب الكلمات بشكل صحيح. حتى الحروف أصبحت مختلطة.

صاح بابتسامة:

– "سقوطيت يسلم!"

رغم أن كاسبر فسر «حادسيء» على أنها «حادث سيء»، إلا أن هذه المصطلحات الجديدة استعصت عليه.

بدت ابتسامة لينوس تشير إلى ترحيبه بهذا التشتيت غير المتوقع. من ناحية أخرى، كان من غير الحكمة استنتاج حالته الذهنية من تعبيرات وجهه. آخر مرة سمع فيها كاسبر ضحكه، كان قد قُيد للتو إلى سريره لمنعه من اقتلاع شعره وأكله في نوبة ذهانية أخرى.

سأل كاسبر:

– "هل نذهب لنرى؟"

للحظة بدا لينوس وكأنه تعرض لأكبر إهانة في حياته. ثم ضحك مرة أخرى وهرول خارج الغرفة كتلميذ مفعم بالحيوية. هز كاسبر كتفيه وتبعه.

6:39 مساءً

خطف لينوس المصعد من أمام أنفه، فقرر النزول عبر الدرج الخشبي القديم الملتف حول بئر المصعد كالكرمة. صرّت الدرجات البالية مع كل خطوة، وبما أن كاسبر كان يرتدي جواربه فقط، شعر وكأنه مراهق يتسلل من منزل والديه ليلاً.

هل فعلتُ ذلك في زمن ما؟ أم كنتُ الفتى المطيع الذي يعود للمنزل دائمًا في الموعد المحدد؟

لأيام، قضى كل دقيقة فراغ يمشط الفراغ الشاسع لذاكرته بحثًا عن إجابات لأتفه الأسئلة. ما اسم دميته الأولى؟ ما نوع السيارة في مرآبه؟ ما هو كتابه المفضل؟ هل كانت هناك أغنية يستمع إليها في المناسبات الخاصة فقط؟ من كانت حبه الأول؟ عدوه اللدود؟ لم يستطع الإجابة. كانت ذكرياته كقطع أثاث في منزل فارغ غطى مالكه السابق كل شيء

فيه بأغطية الغبار. حتى الأمس، كان يحاول تمزيق تلك الأغطية. اليوم، خاف أن تكون تخفي حقيقة مروعة.

أنا خائفة جدًا. هل ستعود قريبًا يا أبي؟

كان لينوس قد اختفى بحلول وصول كاسبر للطابق الأرضي، ولا يزال غارقًا في أفكاره الكئيبة. بدلًا منه، رأى ياسمين شيلر قادمة نحوه.

قالت الممرضة النفسية الشابة بانزعاج:

— "نعم، نعم، سأفعل. من غيري؟"

كانت ترد بوضوح على طلب من راسفيلد، الواقف على بعد أمتار في مكتب باخمان.

انزعاج ياسمين من تخفيض رتبتها مرة أخرى لمجرد مرسال كان مكتوبًا بوضوح على وجهها، الذي اختفى ثلثا نصفه السفلي تحت بالون أزرق باهت من العلكة وهي تخطو متجاوزة كاسبر دون الاعتراف بوجوده.

قالت له في يومه الثاني في تويفلسبرج:

— "أنا أقوم بهذا مؤقتًا فقط — أنا في الحقيقة مغنية، ولست مربية مجانين."

وكانت مرتاحة بوضوح لأنه يستطيع التبول دون مساعدة. بدت بالتأكيد في غير مكانها هنا، بغرتها الحمراء الأكريليكية، وإبهامها المزين بخاتم سلك شائك، ومزاجها السيئ الدائم، لكن كاسبر استنتج لاحقًا سبب سماح راسفيلد لها بالتواجد في مداره النخبوي رغم قرط لسانها ووشومها: ياسمين تحب عملها. وكانت جيدة فيه أيضًا، لكنها لم تُرِد أن يلاحظ أحد ذلك.

في طريقه لمنطقة الاستقبال، غاصت قدما كاسبر في الوبر الكثيف للسجاد الذي يغطي قاعة المدخل بأكملها. أعطت هذه الأرضية انطباعًا منزليًا ومطمئنًا للوافدين الجدد، عكس المشمع المعقم الشائع في المستشفيات. الأمر نفسه انطبق على مكتب الحارس. كان ديرك باخمان من عشاق عيد الميلاد. ورغم أن زواجه لم يثمر أطفالًا حتى الآن، إلا أنه كان يحتفل بالعيد العائلي باهتمام مهووس بالتفاصيل، وكأن هناك جائزة لأكثر الزينات تعقيدًا. عرينه بجوار المدخل الرئيسي، المحاط جزئيًا بالزجاج، عرض فوضى من تماثيل "بابا نويل"، وملائكة مذهبة، وسلاسل مصابيح ملونة، وتماثيل المهد، وبيوت خبز الزنجبيل، لدرجة أن المرء كاد لا يرى شجرة عيد الميلاد المزينة بأشرطة الزينة والمحشورة بين مكتبه المعدني والخزنة.

رغم أن كاسبر تحدث بهدوء لئلا يفزعه، قفز المدير الطبي:

— "بروفيسور؟"

— "أنت مجددًا؟"

كان هناك شيء يشبه الشعور بالذنب في تعبير راسفيلد، لكنه تبخر سريعًا.

— "ظننتُ أنني كنت واضحًا. يجب أن تكون في السرير."

وأنت أيضًا، فكر كاسبر، محاولًا عدم التحديق في الهالات السوداء حول عيني المدير الطبي.

كذب قائلًا:

— "الآخرون مضطربون جدًا."

في الواقع، المرضى الوحيدون المقيمون غيره هم جريتا ولينوس. السيدة العجوز كانت تشاهد برنامج المساء المبكر بصوت عالٍ على تلفازها الذي عاد للحياة. أما لينوس، فيبدو أنه فقد اهتمامه بالأحداث الأخيرة. على أية حال، لم يكن له أثر.

— "ماذا يحدث في الخارج؟"

تردد راسفيلد. ثم، على مضض، أشار برأسه نحو الشاشة. بدا أنه يأمل في التخلص من كاسبر عاجلًا بالإجابة على أحد أسئلته على الأقل.

— "انزلقت سيارة إسعاف عن الطريق خارج مدخل طريقنا الخاص. اصطدمت بكابينة هاتف وانقلبت."

ألقى كاسبر نظرة على الشاشة الوامضة. إذن تلك كانت الأضواء الوامضة التي رآها عبر الأشجار. الضوء الأزرق لسيارة الإسعاف كان لا يزال يدور على سقفها.

فكر: إذا كان المدخل مغطى بكاميرات المراقبة، فلا بد من وجود لقطة تظهر كيف وصلتُ إلى هنا، لكنه قرر أن الوقت غير مناسب لسؤال راسفيلد عن ذلك.

سأل بدلًا من ذلك:

— "هل يمكنني المساعدة بشيء؟"

العيادة كانت تعاني نقصًا في الموظفين الليلة. بما أنه لم يكن هناك سوى ثلاثة مرضى، أخذ جميع الطاقم الطبي إجازة باستثناء صوفيا. لم يكن التدفق الرئيسي لمرضى اكتئاب العطلات متوقعًا قبل ظهر الغد، حين يتحول خوف اللحظة الأخيرة من قضاء عيد ميلاد وحيد آخر إلى يقين لا يطاق.

ابتسم راسفيلد بسخرية:

– "لا شكرًا، سنتدبر أمرنا."

– "الدكتورة دورن والسيد باخمان ذهبا لأسفل بمركبة الثلج."

وكأن الشاشة تؤكد كلامه، ظهرت صوفيا في كاميرا المراقبة، يتبعها الحارس عن كثب.

قال راسفيلد:

– "إنها الطريقة الوحيدة للنزول عبر المنحدر الجليدي، ناهيك عن الصعود."

طرقع جهاز لاسلكي بجوار الشاشة وصدح صوت باخمان:

– "أعتقد أن السائق كان بمفرده."

أخذ راسفيلد الجهاز الوامض من حامله:

– "هل هو مصاب؟"

كانت تلك صوفيا:

– "من الصعب القول. أظن أنه في حالة صدمة. إنه جالس في الثلج بجوار كابينة الهاتف المحطمة. لحظة..."

كان ظهر راسفيلد يحجب رؤية كاسبر للشاشة تمامًا.

قالت صوفيا بصوت مشوش:

– "اللعنة، هناك شخص بالداخل. الإسعاف كانت تقل مريضًا."

وقف كاسبر على أطراف أصابعه.

الزجاج الجانبي المعتم للمركبة كان مهشمًا. إذا لم تخدعه عيناه، فقد رأى للتو يدًا ملطخة بالدماء تخرج منه وتلوح بطريقة يائسة.

تراجع راسفيلد خطوة للوراء فزعًا.

قال في الجهاز:

– "أحضريهما كلاهما إلى هنا."

– "همم، لا أعرف. ألن يكون من الأفضل..."

نباح راسفيلد:

– "الأفضل ماذا؟ استدعاء مروحية؟ الاتصال بالإطفاء؟ الإسعاف حطمت كابينة الهاتف، وأنتِ تعرفين ذلك مثلي تمامًا."

والهواتف المحمولة لا تعمل في العيادة أو في محيطها.

جف فم كاسبر. سعل فجأة وبشكل لا إرادي وكأنه اختنق بالفكرة. كانت هذه واحدة من المناطق القليلة المتبقية دون تغطية للهاتف المحمول – ميزة جغرافية في نظر راسفيلد، نظرًا لأن جانبًا مهمًا من علاجه النفسي يكمن في عزل المرضى عن التأثيرات الخارجية السلبية.

بدأ الجهاز يومض مجددًا.

– "فتح ديرك الأبواب وأنا الآن مع المريض. أوه لا! يا إلهي!"

حدق راسفيلد في الشاشة محاولًا تبيّن ما يحدث:

– "ماذا؟ ما الأمر؟"

– "آسفة، لكن المريض لديه سكين مغروس في حنجرته."

– "هل مات؟"

– "لا، القصبة الهوائية ثُقبت لكنه واعٍ ويتنفس بانتظام. ولكن..."

سأل راسفيلد وقد فقد أعصابه تمامًا، مشيرًا لـ كاسبر بحدة ليغادر:

– "ولكن ماذا؟"

– "لن تصدق أبدًا من هو."

6:56 مساءً

تلقت ياسمين، التي عادت، تعليمات مقتضبة من راسفيلد لمرافقة كاسبر لغرفته، حيث كانت صينية العشاء بانتظاره على مكتبه. الطاهية، سيبيل باتزوالك، أولت كعادتها اهتمامًا بمظهر الوجبة يكاد يفوق الاهتمام بالوجبة نفسها. أدوات المائدة الفضية الصلبة كانت محاطة بمنديل كتاني مطوي ببراعة على شكل بجعة، وزينت وعاء الحساء بأعواد البقدونس، ووضعت زهرة أوركيد بيضاء بجوار الكوب الكريستالي. حين رفع كاسبر الغطاء عن سلة الخبز، هاجمه الجوع ككلب حراسة يشم رائحة فريسة. لم يأكل شيئًا منذ ساعات.

لم يكد يضع لقمة خبز في فمه حتى سمع أزيزًا ميكانيكيًا خارج النافذة. بدا وكأنه جزازة عشب، وطغى هديره المتصاعد على قرقرة معدته. أعاد الخبز للسلة وذهب للنافذة العلوية. ندف الثلج الكثيفة كانت تتراكم بالفعل على حافتها السفلى وقريبًا ستحجب الزجاج تمامًا. بالكاد استطاع تمييز مركبة الثلج التي تنقل فيها صوفيا وباخمان ضحايا الحادث للعيادة.

فتح النافذة قليلًا. البرد الذي صدمه كان شديدًا لدرجة أنه خشي أن تتجمد الدموع في عينيه. تساءل: ما الذي أفعله هنا بحق السماء؟ ذكّرته أنفاسه، التي كانت تخرج من شفتيه كدخان التبغ، بالدخان الذي ظن أنه شمه في غرفة جريتا حين فرضت رؤية الفتاة المريضة نفسها فجأة على مخيلته.

ستعود قريبًا، أليس كذلك؟

أغلق كاسبر النافذة المحورية. عاد لوسط الغرفة، ودار حول نفسه، مستشعرًا أن قلقه الداخلي يبلغ ذروته. أخبره هذا بشيء عن نفسه يكاد يكون أهم من ذكرى محددة: ليس من طبيعته الوقوف مكتوف الأيدي. كان هذا الإدراك أهم من العديد من السمات الشخصية الصغيرة التي اكتشفها في الأيام القليلة الماضية. مثل أنه يرتدي ساعته في معصمه الأيمن، وأنه يملح طعامه كعادة، حتى قبل تذوقه، أو أنه يجد صعوبة في قراءة خط يده.

حقيقة أن كل شيء بداخله يصرخ لمغادرة هذه العيادة فورًا تعني أيضًا أنه عرضة لخداع الذات. لقد اختار انتظار معجزة علاجية بدلًا من تولي الأمور بنفسه. الحقيقة هي أنه أخفى نفسه، ليس في هذه العيادة، بل في مكان لا يمكن لأحد العثور عليه فيه: داخل نفسه.

فتح خزانة ملابسه. أربع فقط من الشماعات الثماني كانت مستخدمة، وفقط لأنه علق سترة وبنطال بدلته بشكل منفصل. لن يضطر لحمل الكثير من الأمتعة إذا هرب الليلة.

تنهد كاسبر وهو ينشر ممتلكاته القليلة على السرير. معظمها كان إما مستعارًا من العيادة أو اشترته له صوفيا من المدينة ليكون لديه غيار ملابس على الأقل: ستة أزواج من الجوارب والملابس الداخلية، زوجان من البيجامات، بدلة رياضية وخف، أدوات نظافة، ورواية تاريخية كان ينبغي عليه حقًا إعادتها لمكتبة العيادة.

فكر بعد أن حزم كل ما لا ينوي ارتداؤه: حياتي تتسع في كيس بلاستيكي. وبما أنه لا يملك حقيبة ظهر أو أي شكل آخر من الأمتعة، اضطر لاستخدام الكيس البلاستيكي المتين الذي يبطن سلة مهملاته.

ثم ارتدى البدلة الداكنة التي كان يرتديها يوم وصوله. علق معطفه المبطن بالفرو على الذراع التي تحمل الكيس البلاستيكي. وفي يده الأخرى حمل حذاءه الثقيل ذا الأربطة. لن يرتديه حتى يتجاوز الدرج الخشبي.

حسنًا، هذا هو.

أحجم كاسبر عن إلقاء نظرة أخيرة على غرفته المريحة. أطفأ النور وتسلل إلى الممر الصامت، عازمًا على ألا يعود أبدًا.

7:06 مساءً

تسلل ببطء أسفل الدرج، مرتاحًا لكون العيادة تعاني نقصًا في الموظفين الليلة لدرجة أنه من غير المرجح أن يصادف أحدًا. لكن حين وصل للطابق الأول، أدرك أنه لم يكن ليختار وقتًا أسوأ لمحاولة عبور منطقة الاستقبال والخروج دون أن يراه أحد. مال فوق الدرابزين. من الأسفل جاء صوت عالٍ لم يتعرف عليه — بوضوح صوت المسعف الذي كان يقود سيارة الإسعاف. وعلى عكس افتراض صوفيا الأولي، الرجل لم يكن في صدمة بالتأكيد؛ كان يتحدث بوضوح شديد.

— "جوناثان بروك، العمر سبعة وأربعون، الطول متر وخمسة وثمانون، الوزن حوالي تسعين كيلوغرامًا."

سرد هذه التفاصيل بصوت باريتون لطيف كان سيبدو عاديًا كمذيع أخبار، لولا الأصوات المحيرة التي رافقتها، والتي ذكرت كاسبر بآلة إسبريسو ترغي الحليب.

– "على الأرجح تحت تأثير الكحول أو المخدرات. مالك فندق تويفلسي استدعى الإسعاف بعد أن وجده أحد عمال النظافة فاقدًا للوعي في غرفته."

سمع كاسبر خشخشة نقالة معدنية ربما كانت عجلاتها تترك آثارًا في السجاد الكريمي، وفجأة أدرك معنى صوت الفقاعات: كان يصدر من حنجرة المريض.

سأل راسفيلد وكأنه يؤكد:

– "وثقب القصبة الهوائية؟"

– "تشويه ذاتي. ظننتُ أنه فاقد للوعي، كما ترى. كانت رحلتي الأخيرة الليلة – كل ما أردته هو إيصاله لمستشفى ويست إند بأسرع ما يمكن. لكن، تمامًا ونحن نمر بمدخل طريقكم الخاص، نظرتُ في المرآة الخلفية وظننتُ أن عينيّ تخدعانني. نهض هذا المجنون، وأطلق صرخة، وغرس سكين الجيب في حنجرته. ضغطتُ على المكابح وانزلقتُ نحو ذلك المحول، أو أيًا كان. والباقي تعرفونه."

كان راسفيلد والمسعف قد دفعا النقالة نحو المصعد أثناء هذا السرد وكانا يقفان الآن مباشرة أسفل كاسبر. كان قريبًا منهما لدرجة أنه استطاع سماع تنفس بروك بوضوح، والذي كان يذكر الآن بشخص يشفط بقايا القهوة عبر قشة.

قال راسفيلد وكأنه أهين شخصيًا:

– "أرجو ألا تشير للمريض كمجنون."

جفل كاسبر. لقد لمح حركة في محيطه المباشر.

ثم أدرك أنه مجرد انعكاس في النافذة الكبيرة في الجدار الخارجي أسفله ببضع خطوات. العاصفة بالخارج استغرقت بضع دقائق فقط لتتحول إلى عاصفة ثلجية عاتية. أشعة مصابيح الحديقة الضعيفة في أراضي المستشفى لم تكن ندًا لرقاقات الثلج بحجم العملات المعدنية. ارتد وهجها عن الدوامات المتطايرة، مذكرًا كاسبر للحظة وجيزة ومزعجة بسرب من النحل الأبيض يتكتل في كتلة صلبة أمام عينيه. ثم، وبينما يركز على الانعكاس في زجاج النافذة، التقط لمحة خاطفة لصورة جماعية غريبة: رجلان ضخمان يحيطان بعربة تحمل جسدًا ساكنًا يبرز سكين جيب سويسري من حنجرته. انفتحت أبواب المصعد بصرير ساخط واختفت الصورة بسرعة كما غزت الرائحة أنف كاسبر. رائحة حريق. احتراق. دخان.

هل ستبتشر بذكرى أخرى؟

غريزيًا، انكمش بعيدًا عن بئر المصعد وكأن الذكرى قد تصعد داخل المقصورة وتقفز عليه فجأة. ارتجف، ثم أطلق صرخة لا إرادية حين اصطدم بظهره بالشخصية الهزيلة التي كانت تراقبه خلسة من الظلال طوال الوقت.

7:10 مساءً

كان الرجل يمضغ علكة ويرتدي قفازات جلدية رقيقة، لكن شعره المغسول حديثًا فضحه. ولم يساعد في الأمر أنه لا بد قد دخن سيجارته عند نافذة مفتوحة. علق دخان التبغ في شعيراته القليلة المتبقية، وحين هز رأسه عطر الهواء حوله برائحته العفنة.

– "لا بأس، لن أشي بك."

كان هناك حظر صارم للتدخين في العيادة، وكان من السخرية أن يختار لينوس إشعال سيجارة في الطابق المخصص للياقة البدنية.

إذن لم تبشر بذكرى أخرى...

تمتم لينوس:

– "تعامعي أريكشي!"

اختلجت زوايا فم لينوس. بدا خائفًا أكثر مما يستدعيه خرق بسيط للقواعد. رفرف بيديه بقلق وكأنه يجرب لغة الإشارة – فكرة ليست سيئة، فكر كاسبر، بالنظر لقدرته المحدودة على التواصل.

سأله:

– "ما الأمر؟"

بدلًا من الرد، أمسك لينوس باليد التي تحمل الكيس البلاستيكي وسحب كاسبر خلفه. فتح الباب المواجه لهما، والذي يحمل لافتة كُتب عليها «مركز اللياقة البدنية». في أي مؤسسة أخرى كان سيُسمى ببساطة صالة الألعاب الرياضية.

لم يدخل كاسبر هناك من قبل، لذا فوجئ قليلًا برؤية كل المعدات الحديثة عالية التقنية الموزعة حول الصالة المبطنة بالمرايا. جالت عيناه على أجهزة المشي، وآلات التجديف، ومقاعد الضغط، وكان يتساءل عن الغرض من جهاز الخطوات المطاطي الذي يومض في الزاوية حين وضع لينوس إصبعًا على شفتيه وأطفأ الأنوار، ثم فتح بابًا زجاجيًا يؤدي لشرفة صغيرة. بدا فجأة أن المكان أصبح أكثر إشراقًا،

لكنه كان وهمًا بصريًا خلقته ندف الثلج التي تدور حول أرجلهما وأضواء معدات الصالة الرياضية الوامضة.

حسنًا، إذن هنا دخنت سيجارتك السريعة، فكر كاسبر. توقف عند العتبة، لكن لينوس شد ذراعه مرة أخرى. كان يريد بوضوح أن يتبعه كاسبر للخارج إلى الشرفة، التي كانت أرضيتها الخشبية مغطاة بطبقة من الثلج المهروس المتجمد.

أشار كاسبر لقدميه وهز رأسه:

— "هيه، أتر هذا؟ لن أخرج لهناك بلا حذاء."

هسّ لينوس، بتوتر ونفاد صبر أكبر هذه المرة:

— "تعامعي أريكشي."

تراجع للخلف إلى الشرفة وأومأ لـ كاسبر. بعد لحظة اختفى في الظلام.

نادى كاسبر:

— "عد."

ستتجمد حتى الموت. ارتجف من الفكرة قبل أن يتمكن من نطقها.

ماذا الآن؟

لم يكن لديه وقت ليضيعه. في هذه اللحظة، سيكون راسفيلد وبقية الطاقم مشغولين بالوافد الجديد. لحظة مثالية للتسلل خارج العيادة دون أن يلاحظه أحد. من ناحية أخرى، ظن فجأة أنه فسر رطانة لينوس.

تعامعي أريكشي: تعال معي، يجب أن أريك شيئًا.

تبًا. إذا لم يطاوعه، قد يركض لينوس خلفه صارخًا، وهو في غنى عن هذا النوع من الانتباه.

دس قدميه في حذائه وارتدى معطفه. كانت مصاريع النوافذ والأبواب الفولاذية الدوارة قد أُنزلت لثلث المسافة تقريبًا، وبما أنه أطول برأسين من لينوس، اضطر للانحناء ليتتبعه للخارج. صفعته الرياح الجليدية كحارس غير مرئي يحاول صد دخيل غير مصرح به لمملكته الجليدية. انحنى كاسبر أكثر، محتضنًا صدره. وفر جدار بارز على يساره بعض الحماية من الثلج المتطاير، لكن ليس من درجة الحرارة السيبيرية. وضع لينوس، الذي كان يقف أيضًا في حماه، إصبعًا على شفتيه مجددًا.

همس مشيرًا للمركبة الحمراء المتوقفة بزاوية خارج المدخل:

— "نظهناك."

كان معظم المركبة تحت مظلة منطقة الاستقبال الواقية. فقط مقدمتها المدببة برزت في الممر المغطى بالثلج. كانت لا تزال دافئة، لذا ذابت ندف الثلج فور هبوطها عليها.

انحنى كاسبر للأمام، لكنه لم يرَ سوى القليل لأنه كان أكثر تعرضًا للرياح:

— "حسنًا، ماذا بشأنها؟"

هب الثلج مباشرة في عينيه. رمش، وحنى رأسه، ولعن نفسه لكونه أحمق. بدلًا من التسلل متجاوزًا باخمان وخارج العيادة، كان يقف بجوار مريض ذهاني على شرفة مظلمة وجليدية.

تمامًا حين هم بالانسحاب، انحرفت الرياح وأعادت له رؤيته. وفجأة لمحها.

بقعة في الثلج. نشأت مباشرة بجوار مؤخرة المسار الأيمن للمركبة وكانت تنتشر باتجاه المدخل. في الضوء الخافت المنبعث من غرفة الحارس بدت كبركة بول أصفر ذهبي، لكن كاسبر عرف فورًا ما هي حقًا.

بنزين.

إما أن خرطوم وقود الخزان قد انفصل من تلقاء نفسه، أو أن شخصًا ما مد له يد العون.

ولكن لماذا؟ لماذا قد يعطل أي شخص وسيلة النقل الوحيدة القادرة على شق طريقها عبر هذه العاصفة الثلجية؟

كان على وشك سؤال لينوس إن كان يعرف من عبث بالمركبة حين سحبه الموسيقيّ للخلف إلى حماية الجدار. في الوقت المناسب تمامًا، وإلا لكان باخمان قد رفع نظره ورآهما وهو يخرج من خلف المركبة.

7:18 مساءً

كان كاسبر قد عاد لغرفته فقط للانتظار حتى يغادر الحارس منطقة الاستقبال ويبدأ جولته، لكن لا شيء يبدو أنه يسير وفق نمطه المعتاد الليلة. أدرك أن هروبه، إذا كان يستحق هذا الوصف أصلًا، يزداد صعوبة. كان عالقًا هنا، مقطوعًا عن كل وسائل الاتصال، والآن، لسبب مجهول، يبدو أن الحارس قد خرب المركبة التي كان ينوي استعارتها

للنزول عبر العاصفة. لا يهم. سينزل التل حتى لو اضطر للانزلاق على كيسه البلاستيكي.

لن يقضي ليلة أخرى هنا تحت أي ظرف، وليس فقط لأن احتمال تخليه عن ابنة تحتاج مساعدته بإلحاح يطارده. شعر أيضًا أن الوافد الجديد الغامض قد رافقه للعيادة شيء من الأفضل له تجنبه: تهديد غير مرئي كالفيروس. كان ينتشر، معطلًا روتين المستشفى الصغير المسائي المستقر، واكتشف الآن أنه يبدو وقد وجد طريقه حتى لغرفته.

ما الذي يحدث هنا؟

كلما اقترب من الباب، أبطأ خطواته. كان مفتوحًا، والضوء مضاء رغم أنه أطفأه قبل دقائق قليلة.

ماذا بحق...؟

انسكب صوتان مرتفعان للممر. أحدهما يعود لـ صوفيا، التي أخذت الكلمات من فمه بسؤالها:

— "ما الذي تفعله؟"

كان هو الآخر محتارًا بنفس القدر من المشهد الذي قابله حين وصل لباب غرفته. لماذا يقف شاب بحذاء موحل على مكتبه ويده ممدودة نحو النافذة؟

قال الشاب بضحكة:

— "أعتقد أنني التقطت إشارة للتو."

عرف كاسبر أنه المسعف من صوته، الذي لم يتناسب مع مظهره الخارجي. بطريقة ما، كان لديه صورة مختلفة لسائق الإسعاف. خشن المظهر، بعينين متعبتين ومنتفختين من الاستجابة لنداءات الطوارئ

ليلًا. بدلًا من ذلك، واجه نموذجًا لليبيز (المحترفون الشباب) كان ليبدو في مكانه الطبيعي خلف مقود سيارة رياضية فاخرة أكثر من سيارة إسعاف.

سألت صوفيا:

– "إشارة ماذا؟"

قفز المسعف من المكتب وأراها هاتفًا محمولًا صغيرًا.

– "شرطة واحدة على الشاشة. ظننتُ أنني قد أحصل على إشارة هنا في الطابق العلوي. آسف."

منح كاسبر ابتسامة ودية، لكن عينيه عادتا لـ صوفيا فورًا.

– "كان الباب مفتوحًا. كنت أتحقق إن كان بإمكاني الحصول على إشارة، هذا كل شيء."

طقطقت صوفيا بلسانها بصوت غير مسموع تقريبًا ونفضت بعض الطين عن سطح المكتب باستياء.

– "الهواتف المحمولة لن تعمل في أي مكان في الأراضي، مهما حاولت."

فضح لغة جسد صوفيا رأيها في المسعف.

رمقه كاسبر هو الآخر كخصم محتمل في حلبة الملاكمة، رغم أنه بدا غير مؤذٍ تمامًا ببنيته النحيلة، وذقنه الخالية من الشعر، وشعره المصفف بالجل. لم يكن ليعير الشاب اهتمامًا في العادة، لكنه لم يعجبه الطريقة المغازلة التي كان ينظر بها لـ صوفيا.

قالت:

– "من فضلك انزل واطلب من السيد باخمان أن يريك غرفتك."

ابتسم الشاب:

– "هل تريدين حقًا أن أقضي الليلة معك يا دكتورة؟"

قلبت صوفيا عينيها بشكل غير ملحوظ تقريبًا:

– "الإرادة لا علاقة لها بالأمر يا سيد شاديك. أنت عالق هنا، للأسف."

لسعادة كاسبر، تجاهلت طلبه بأن تناديه توم.

– "ألن يرسل المرسل شخصًا للبحث عن الإسعاف إذا لم تبلغ عن عودتك الليلة؟"

هز شاديك رأسه:

– "مستحيل. كانت هذه رحلتي الأخيرة – كان من المفترض أن أستقل الحافلة للمنزل بعد تسليم المريض. المقر لا يتوقع عودتي حتى ظهر الغد."

هزت صوفيا كتفيها:

– "حسنًا، ليكن ما يكون، يبدو من العبث محاولة شق طريقك عبر عاصفة ثلجية في الظلام وحدك. وفقًا لتوقعات الطقس، ستتحسن الظروف بحلول صباح الغد وسيتم تنظيف الطرق ورش الملح قريبًا. يمكننا جميعًا النزول معًا حين يطلع النهار."

فكر كاسبر وهو يرمي الكيس البلاستيكي بجوار سريره: النزول. على شفتي صوفيا، بدت الكلمة وكأنهم على قمة جرف شاهق ودوّار، وأمواج محيط مظلم وعظيم تتكسر عند سفحه.

– "إذن أنتِ لا تمزحين؟ هل عليّ حقًا قضاء الليلة في هذا..."

كان واضحًا مدى صعوبة ابتلاعه للكلمات التي على طرف لسانه. كلمة «مستشفى المجانين» ظلت غير منطوقة.

ردت صوفيا:

— "لست مضطرًا لفعل أي شيء. نحن على بعد أقل من نصف ساعة مشيًا من أقرب منزل. يمكنك المحاولة دائمًا، لكنني أقدر أنك ستضطر للخوض في ثلوج تصل للخصر. الحرارة سبعة تحت الصفر وتنخفض."

— "وإذا حدث شيء؟"

— "ماذا تعني؟"

— "ماذا لو تدهورت حالة بروك؟ كيف نحصل على المساعدة؟"

بدا سؤال شاديك معقولًا، لكن كاسبر خمن أنه يرمي لشيء آخر.

أجابت صوفيا:

— "لا تقلق، نحن مجهزون جيدًا هنا. السكين لم يسبب أي إصابة مهددة للحياة، حسبما يبدو، فقط أضر بالأحبال الصوتية على الأكثر. البروفيسور يتعامل مع الجرح في هذه اللحظة، وسيتم إعطاء الدكتور بروك أدوية لمنع انسداد قصبته الهوائية. سيتألم حين يستعيد وعيه، وعلى الأرجح لن يتمكن من الكلام، لكنه سيعيش."

الدكتور بروك؟

أشارت صوفيا برأسها للباب:

— "والآن، إذا لم تمانع..."

ابتسم شاديك وكأنها دعته لموعد غرامي.

– "بكل سرور. لكن قد أستعير مركبتكم الثلجية على الأقل وأرى إن كان بإمكاني الوصول للراديو الخاص بي."

وأدى تحية عسكرية ساخرة.

قال كاسبر:

– "حظًا موفقًا."

كان ينوي ذكر بركة البنزين التي أراه إياها لينوس، لكن اللحظة مرت.

ضغطت صوفيا، التي كانت تتبع شاديك للخارج، على يد كاسبر وهي تمر بجانبه.

همست بابتسامة آسفة:

– "آسفة على الإزعاج."

تلاشى مزاجه الكئيب، لكن للحظة فقط. عاد فجأة حين توقف شاديك في المدخل.

– "أو ربما يمكنني الانتقال للعيش معك يا دكتورة؟ أنا أخاف من البقاء وحدي في الظلام."

ضحك ورفع كلتا يديه مستسلمًا.

– "هيه، أنا أمزح فقط."

كان كاسبر على وشك الرد ردًا مناسبًا حين لفتت انتباهه بعض الندوب على باطن معصم شاديك. كانت تشبه الحروق على الجزء العلوي من جسده هو، باستثناء أنها، وعلى عكس تلك التشوهات العشوائية للجلد، شكلت نمطًا هندسيًا.

لم يكن متأكدًا، لكن بدا وكأن توم شاديك قد حرق وشم صليب معقوف لإزالته بطريقة غير احترافية.

7:24 مساءً

لم تمضِ دقيقة واحدة على بقائه وحيدًا حين أطلت صوفيا برأسها من الباب.

– "الشيء نفسه ينطبق عليك، بالمناسبة."

سأل وهو يدفع الكيس البلاستيكي تحت السرير بقدمه:

– "ماذا تعنين؟"

فات الأوان. دخلت.

أشارت لحذائه ومعطفه اللذين نسي إعادتهما للخزانة:

– "أرجوك لا تفعل أي شيء غبي الليلة."

لم يحاول حتى إنكار نواياه.

– "يجب عليّ يا صوفيا. لقد بقيت هنا طويلًا جدًا."

– "إلى أين ستذهب؟ ببدلة رسمية؟ في هذا الطقس؟ وبدون أي مال؟"

– "سأذهب للشرطة."

كانت خطة فكر فيها للتو. كان عليه الاعتراف أن بعد النظر لم يكن من أبرز خصائصه.

– "لكننا ناقشنا ذلك سابقًا. وافق راسفيلد على تحدثك للشرطة والصحافة."

نهض كاسبر عن السرير، يحك الندوب تحت قميصه:

– "نعم، ولكن متى؟ غداً؟ بعد غد؟ بعد العطلة؟ كل هذا يستغرق وقتًا طويلًا جدًا. قد لا أملك كل هذا الوقت."

هزت صوفيا رأسها بقوة لدرجة أن خصلة شعر سقطت على عينيها. أزاحتها جانبًا.

– "اسمع، أنا لست مع تكتيكات المماطلة التي يتبعها راسفيلد أيضًا، لكنني أشاركه الرأي في نقطة واحدة: في حالتك الحالية، لا يزال من الخطر جدًا عليك مغادرة العيادة دون إشراف."

– "ربما، لكن لا يمكنني التفكير في نفسي فقط."

– "تتحدث عن الفتاة؟"

أومأ كاسبر:

– "أنا آسف، لكن منذ رأيت تلك الرؤية لها وأنا أشعر بالاختناق هنا. عليّ الذهاب فورًا وحسب."

– "لكن ليس لدينا أدنى فكرة إن كانت ابنتك حقًا. قد لا تكون موجودة أصلًا."

– "ربما، ولكن..."

تساءل للحظة إن كانت كلماته التالية ستتجاوز الحدود.

– "لكن إذا رحلتِ غدًا سأكون وحدي على أية حال. لن يكون لدي أحد لأثق به."

رمقته صوفيا بنظرة طويلة. ثم ابتسمت بحزن.

رن الهاتف في جيب معطفها، لكنها تجاهلته. من الواضح أن الهواتف الداخلية لا تزال تعمل.

قالت بعد توقف الرنين:

– "أنا أتفهم. رغم ذلك يا كاسبر، أود أن أطلب منك معروفًا."

– "نعم؟"

– "فكر في الأمر لليلة واحدة. سنتحدث مرة أخرى قبل رحيلي."

– "ما الفائدة من ذلك؟"

– "صباح الغد، إذا كنت لا تزال مصرًا تمامًا على الذهاب، لن أحاول إثناءك."

– "ولكن...؟"

– "سأعطيك بعض المعلومات أولًا. لا يجب أن تغادر العيادة بدونها تحت أي ظرف، خاصة إذا كنت ذاهبًا للشرطة."

فتح كاسبر فمه ليتحدث لكنه فشل. امتلأ رأسه فجأة بصوت صفير، وكأن وعاء دمويًا صغيرًا انفجر داخل أذنه. شعر بالعجز التام، كمريض أُخبر للتو أن أيامه معدودة.

همس:

– "أي نوع من المعلومات؟"

هزت رأسها، ثم نظرت للهاتف الذي رن مرة أخرى.

– "صباح الغد يا كاسبر. ليس الآن."

ازداد الصفير في أذنه، وكذلك صوته.

– "أريد أن أعرف الآن!"

– "أدرك ذلك، لكن لا يمكنني إخبارك."

– "لماذا؟"

– "عليّ التأكد أولًا."

جاء صوت من المدخل:

– "من ماذا؟"

قفز كلاهما. رنين الهاتف كان قد غطى على خطوات راسفيلد.

سأل المدير الطبي بشك وهو يمد هاتفًا لاسلكيًا ويفصله:

– "مما عليكِ التأكد؟"

ابتلع كاسبر ريقه بصعوبة، لكن صوفيا بدت وكأنها استعادت رباطة جأشها.

– "كان المريض يطلب مهدئًا، لكنني قلتُ إن عليّ التحقق منك أولًا."

أومأ راسفيلد، راضيًا بوضوح عن أن سلطته لم تُنتقص.

قال بصوت لا يقبل الجدال وهو يقود الطريق للممر:

– "جيد، لكن ذلك يمكن أن ينتظر يا آنسة دورن."

سمعه كاسبر يقول:

– "كنت أحاول الوصول إليكِ منذ فترة. نحتاجكِ في غرفة العمليات."

●

لفترة طويلة بعد أن تبعت صوفيا راسفيلد للخارج، تاركة كاسبر وحيدًا مع شكوكه الملحّة، ظل وعدها الغامض يتردد في أذنيه: «سأعطيك بعض المعلومات. لا يجب أن تغادر العيادة بدونها تحت أي ظرف.»

كان صوتها لا يزال بنفس الإلحاح بعد ساعتين، حين استلقى على السرير وأغمض عينيه، محاولًا ترتيب أفكاره. ما الذي يمكن أن يكون في ملفه ويتردد راسفيلد في كشفه؟

«عليّ التأكد أولًا.»

كان على وشك النهوض والبحث عن صوفيا حين وجد أنه لا يستطيع فتح عينيه.

بذل جهدًا أخيرًا، مستجمعًا كل قوة إرادته، لكن بلا جدوى. أحداث اليوم كانت أكثر مما يحتمله عقله المنهك أصلًا. لقد غلبه النوم.

عشية عيد الميلاد

قبل حلول «الخوف» بثلاث ساعات واثنتي عشرة دقيقة

12:26 صباحًا

كان الدخان كائنًا حيًا، سربًا من خلايا مجهرية صغيرة تغلغلت في مسامه وراحت تأكله من الداخل. ركزت الجسيمات هجومها على رئتيه، شاقة طريقها عبر القصبة الهوائية لتستقر في شُعبه التنفسية. سعل بشدة.

كانت هذه هي اللحظة المعتادة التي يستيقظ فيها من ذلك الكابوس — كابوس لا تتجاوز حدود ذاكرته فيه الأيام العشرة الأخيرة — ولكن الليلة استمر في النوم، وكأن السيارة المحترقة التي احتُجز داخلها تأبى إطلاق سراحه. ليس هذه الليلة.

ليس قبل أن يلقي نظرة على الصورة الملقاة على مقعد الراكب. كانت الحرارة قد أصبحت لا تطاق، لدرجة أن حواف الصورة بدأت تلتف لأعلى، مما زاد من صعوبة التعرف على وجه الرجل فيها.

ركل كاسبر بقدميه في تململ. كان يمر بتلك الحالة المزعجة المعلقة بين النوم واليقظة، حيث يعود الوعي ببطء شديد إلى الواقع. كافح لتسريع هذا التحول وكسر قيود الكابوس.

لهذا السبب فك حزام الأمان. كانت ألسنة اللهب تندفع أمامه مباشرة من لوحة القيادة، مرتفعة حتى مستوى صدره، وبدأت تلامس قميصه. التقطت عين عقله لمحة خاطفة لمعصم شاديك المليء

بالندوب وهو يغرس يده في النار، آملًا أن ينتزعه الألم المتخيَّل أخيرًا من أحضان النوم المتشبثة.

ولكن في النهاية، كان ضغط حقيقي — هز عنيف — هو ما أيقظه.

فتح عينيه. اختفت السيارة المحترقة، وحل محلها وجه لينوس القلق وعيناه الجاحظتان. كان ينحني فوقه، قريبًا جدًا لدرجة أن كاسبر كان بإمكانه مد لسانه ولعق أنف المغني الضئيل.

— "فوسيا!"

قالها بصوت لم يكد يتجاوز النعيق — ذلك الصوت الذي يصدره شخص يحاول الهمس بينما يود حقًا أن يصرخ.

تثاءب كاسبر بتعب:

— "ليس مجددًا."

كان لينوس، الذي يعاني من الأرق، يميل للتجول في الممرات ليلًا عندما يعجز عن النوم.

— "فوسياباتيكيل."

كان لينوس الآن يشد ذراعه ويحاول سحبه من السرير. زاد من عبثية الموقف أنه كان نصف عارٍ، يرتدي فقط بنطال بيجامة ملطخ يكاد ينزلق عن وركيه النحيلين.

— "اسمع، لا يمكنك فقط..."

توقف كاسبر عن الكلام. لقد سمعه هو أيضًا: صوت تحطم مكتوم قادم من الطابق الأسفل، وكأن شخصًا رفع طرف طاولة ثقيلة ثم تركها تسقط. تكرر الصوت. نظر كاسبر إلى ساعته. الثانية عشرة وسبع وعشرون دقيقة. وقت غير مناسب أبدًا لتحريك الأثاث.

سأل وهو يتساءل عمن أو ماذا يوجد في الطابق السفلي:

– "ما الذي يحدث بالأسفل؟"

– "فوسيالپ... فوسيالپ..."

كرر لينوس الكلمة عدة مرات، لكنه أفلت ذراع كاسبر عندما رآه يخلص نفسه من أغطية السرير المجعدة وينهض واقفًا.

– "كامبليس!"

– "نعم، نعم، أنا قادم."

بحث كاسبر عن خفه. تحولت أصوات التحطم أسفله إلى صوت كشط ثقيل، كشخص يجر بصعوبة سجادة مبللة من غرفة لأخرى، فقرر ألا يضيع المزيد من الوقت. وخلافًا لـ لينوس الذي نزل الدرج كالإعصار، حاول كاسبر ألا يحدث ضجيجًا، تحسبًا لوجود تفسير بريء لتلك الأصوات الليلية – وإن لم يكن يصدق ذلك حقًا بعد أحداث الساعات القليلة الماضية، خاصة عندما ومض نداء لينوس الأول في ذهنه وهو يصل إلى بسطة الدرج.

فوسيالپ!

هرول هو الآخر نازلًا الدرج. صوفيا... المساعدة...

عندما انعطف عند الزاوية إلى ممر مظلم، تساءل لماذا لا تعمل المستشعرات. عادةً ما تضيء مصابيح السقف تلقائيًا عند مرور شخص ما، لكن الضوء الوحيد الآن كان ينبعث من إحدى الغرف في أقصى الممر. كان لينوس يقف خارج الباب المفتوح، واضعًا يديه فوق رأسه، ويرتجف بعنف.

وعندئذ، وبينما كان يشعر بالبرد القارس يتسرب إلى الممر، فسر بقية رطانة لينوس الغامضة:

فوسيالپ. باتيكيل... مريض. قـتل.

حدق داخل الغرفة. بالطبع! الطابق الثالث، الذي ظن لينوس أنه فارغ الليلة، هو المكان المخصص للحالات «الصعبة». العناية الطبية المركزة. غرف قابلة للقفل بأسرة هيدروليكية وأجهزة قياس إلكترونية بجوارها.

صوفيا. المساعدة. مريض. قـتل.

ارتجف كاسبر عندما رأى الأنبوب يتدلى مفصولًا من حامل المحاليل الواقف بجانب السرير الفارغ كنادل صامت. أدرك أن أنفاسه تتكاثف بخارًا. وفجأة، بدا وكأن الزمن قد تباطأ. شعر وكأنه مراقب غير معني ولكنه مهتم، يقلب صفحات ألبوم صور، حيث يجب قلب كل صفحة قبل أن تتمكن عيناه من نقل صورة مروعة أخرى إلى دماغه:

النافذة المفتوحة... الرجل الذي يضع قدمًا على المدفأة والقدم الأخرى بالخارج بالفعل... لينوس يحاول دفعه... الرجل، ووجهه ملتوٍ بابتسامة متألمة... يلتفت مرة أخرى... يشير إلى الضمادة حول عنقه... يهز رأسه... ويقفز إلى الفراغ.

وفي اللحظة التي ابتلع فيها الظلام المثقل بالثلوج المريض الهارب، تسارعت الأحداث مرة أخرى، واستقرت أول ذكرى ملموسة في شبكة ذكريات كاسبر المعيبة. لقد تعرف على الرجل الذي قفز للتو من النافذة. كان وجهه مألوفًا بقدر رائحة الورق المحترق التي عادت لتملأ أنفه. لقد رأى جوناثان بروك كثيرًا في الماضي — آخر مرة كانت قبل أن

يهزه لينوس ليوقظه مباشرة. ظهر وجهه في ذلك الكابوس المتكرر للسيارة المشتعلة، واضحًا في الصورة المحترقة على مقعد الراكب بجواره.

سأل بحدة:

– "ما الذي يحدث هنا؟"

كان لينوس يطل من حافة النافذة، يرتجف، ولم يكن كاسبر متأكدًا أهو من البرد أم من الخوف.

– "فوسياباتيكيل."

جاء الرد المكرر، لكن كاسبر لم يرَ صوفيا في أي مكان. ماذا عن صوفيا؟ لم يستطع فهم لينوس ولا نفسه. كيف عرف بروك؟ ولماذا يهرب الرجل الآن في العاصفة الثلجية مرتديًا ثوب مستشفى رقيقًا فقط؟ ولماذا يركض لينوس خارج الغرفة والرعب القاتل في عينيه؟

مرت ثوانٍ قبل أن يسمع السبب. لم يستطع لاحقًا تحديد ما إذا كان صنبور الحمام مفتوحًا طوال الوقت، لكنه لم ينتبه إلا الآن لصوت تدفق الماء المكتوم وغير المنتظم في الغرفة المجاورة.

12:34 صباحًا

بدت جميلة رغم كل شيء. للحظة وجيزة، شعر كاسبر وكأنه يحدق في تمثال جامد عُرض في الحمام الصغير بواسطة نحات عديم الموهبة ومجنون بوضوح.

رغم أن وجهها كان متصلبًا في قناع خالٍ من التعبير، وساقها اليمنى تنتفض بشكل لا إرادي وهي ممددة في حوض الاستحمام، إلا أنه كان واعيًا بجمال صوفيا. وهذا بالضبط ما جعل مشهد عذابها لا يطاق.

قال بصوت خافت جدًا:

– "صوفيا؟"

جرف الماء المتدفق صوته الأجش. بدت غير واعية بوجوده ولا بالبركة الجليدية التي تكونت تحت أطرافها.

– "ما خطبك؟"

كان يصرخ تقريبًا الآن، لكنها لم ترمش حتى. مال رأسها جانبًا بزاوية خطرة، وبدت عيناها مثبتتين على نقطة وهمية بعيدة خلف سطح جدار الحمام المبلط. كانت حلمتا ثدييها ظاهرتين تحت ثوب النوم الأبيض المبلل الذي التصق بالجزء العلوي من جسدها، والذي انزاح كاشفًا أن منطقة العانة لم تكن مغطاة إلا بسروال داخلي ممزق.

سأل كاسبر:

– "هل تسمعينني؟"

كان كمن يحاول التواصل مع جثة. لا أثر للدماء، ولم يستطع رصد أي إصابات واضحة. كانت لا تزال تتنفس، ومع ذلك بدت ميتة. حتى اصطدام قدمها بجانب الحوض المطلي بالمينا على فترات غير منتظمة لم يكن علامة حياة موثوقة. كان الأمر أشبه بالتشنجات اللاإرادية الأخيرة لضحية حادث، حين تكون المسارات العصبية بين الدماغ والحبل الشوكي قد قُطعت بالفعل.

ومضت فكرة مروعة في ذهنه عندما أدرك التشابه بين ذكرى الفتاة الصغيرة وهذا المشهد الكئيب في الحمام.

ستعود قريبًا، أليس كذلك؟

أجل، لا تقلق.

وفجأة، خطر بباله عنوان للرؤية المروعة التي عرضها الفنان الذهاني هنا: «دُفنت حية».

كان هذا بالضبط ما حدث لها: سُجنت وتُركت لتموت داخل نفسها.

مد يده ليلمس شعرها، الذي داعبه برقة قبل ساعات قليلة، والذي يلتصق الآن بعنقها الشاحب كأعشاب بحرية شقراء. ثم استجمع قواه. لقد أمضى وقتًا طويلًا تحت تأثير الصدمة.

همس:

– "سأحضر المساعدة."

كان يهم بالاستدارة حين حدث الأمر: عادت الحياة لتدب فجأة في جسد صوفيا. كان الأمر أكثر رعبًا من سكونها السابق. اهتز جسدها بالكامل كشوكة رنانة. تراجع كاسبر غريزيًا حين رفعت ذراعها اليمنى بحركة تشنجية. في البداية ظن أنها تحاول أن تريه شيئًا.

عليّ التأكد أولًا.

التفت لينظر إلى باب الحمام المفتوح، لكن لم يكن هناك شيء ليراه.

ثم وقع بصره على ذراعها اليسرى، التي كانت ملقاة بشكل شبه مسرحي فوق حافة الحوض. رأى مفاصل يدها بيضاء كالثلج. بدت وكأنها تحاول عصر الدم من قبضتها لشدة إحكام أصابعها النحيلة.

– "ماذا لديك هناك؟"

كان على وشك طرح السؤال حين سرت رعشة أخرى في جسدها. انفرجت أصابعها ببطء شديد، وكأنها في حركة بطيئة، حتى سقط الشيء الغامض الذي كانت تقبض عليه أخيرًا على الأرض.

وقبل أن يتمكن كاسبر من التحقق من شكله المقلق، أمسك به شخص من كتفيه من الخلف، وأداره، وثبته ووجهه لأسفل على الأرضية المبلطة.

12:36 صباحًا

سمع راسفيلد يسأل:

– "ما الذي يحدث هنا؟"

دخل حذاء المدير الطبي الصحي الأبيض مجال رؤيته المحدود.

أجاب باخمان، الذي كان وزنه على ظهره ثقيلًا كطني قرميد:

– "لا فكرة لدي عما فعله بها."

حاول القول:

– "لم أفعل شيئًا على الإطلاق."

لكن رئتيه لم تحتويا على هواء كافٍ.

– "يا إلهي! آنسة دورن؟"

سمع راسفيلد يطقطق أصابعه، وأغلق أحدهم الصنبور. كان الصمت المفاجئ تامًا لدرجة أنه سمع أزيز مصابيح الهالوجين فوقه.

أمر راسفيلد برباطة جأش مهنية:

— "اشتباه بسكتة دماغية. ياسمين، جهزي الماسح الضوئي. سأحتاج أيضًا لتعداد دم."

سمع كاسبر خلفه صرير حذاء ياسمين المطاطي يبتعد مسرعًا. شعر بألم حاد بين لوحي كتفه حين رفعه باخمان على قدميه وأحكم قبضته حول عنقه. ورغم أن ساعد الحارس الضخم كان يضغط على وجهه، حاول يائسًا التواصل بصريًا مع راسفيلد، الذي كان جاثيًا الآن بجانب الحوض في المكان الذي كان يقف فيه هو قبل دقيقة. كان المدير الطبي يسلط ضوء مصباح صغير في عيني صوفيا.

تمتم:

— "ردود فعل الحدقة موجودة. ولكن... ما هذا بحق الشيطان...؟"

هز رأسه والتفت إلى كاسبر دون أن يرفع يده اليسرى عن الشريان السباتي لـ صوفيا.

— "ماذا أعطيتها؟"

لهث كاسبر قائلًا:

— "لا شيء."

أرخى باخمان قبضته قليلًا، مما سمح له بأخذ نفسين بصفير. قال أخيرًا:

— "إنه بروك."

— "بروك؟"

أكد الحارس:

– "سريره فارغ."

– "لقد قفز من النافذة."

وقف راسفيلد، وعيناه ضيقتان كشقين. لا بد أنه أعطى باخمان إشارة خفية، لأن كاسبر سُحب للخلف خارج الحمام. في الوقت نفسه، اندفعت شخصية غامضة تفوح منها رائحة ما بعد الحلاقة متجاوزة إياه.

– "ماذا تريد؟"

سمع كاسبر الشخصية تجيب:

– "جئتُ للمساعدة."

ظهرت صورة توم شاديك أمام عينيه كشريحة في عرض شرائح قديم.

كان واضحًا أن العيادة بأكملها قد استيقظت بسبب الجلبة. لم يبدُ راسفيلد ممانعًا لقبول مساعدة المسعف. جاء صوت طرطشة من الحمام، وشعر كاسبر بالغثيان لمجرد التفكير في الرجلين يحاولان رفع جسد صوفيا الرطب المرتخي من الحوض.

قال لـ باخمان:

– "اسمع، نحن نضيع وقتًا ثمينًا."

سمح الحارس لأسيره بالجلوس على السرير الفارغ، ربما ليتمكن من دفع الكرسي المتحرك الواقف بجانبه نحو باب الحمام.

– "قد نتمكن من اللحاق به إن أسرعنا."

حك باخمان رأسه. بخلاف لغة جسده التي كانت عنيفة للغاية حتى الآن، بدا تعبير وجهه قلقًا إلى حد ما.

— "من؟"

— "بروك، بالطبع."

أشار كاسبر برأسه للنافذة المفتوحة. أغلقها الحارس وهو يرتجف، لكن الغرفة بدت فجأة أكثر برودة، ربما بسبب المشهد الذي واجه أعينهم الآن. الكتلة المبللة من اللحم والعظم التي كان راسفيلد والمسعف يرفعانها بصعوبة للكرسي المتحرك بدت كدمية أكثر منها كائنًا بشريًا.

قال راسفيلد:

— "هيا، هيا، إلى القبو."

انطلق شاديك بتعبير يكاد يكون مللًا. كان يبدو وكأنه يدفع عربة تسوق، لا مريضًا.

تبعه راسفيلد، ثم توقف عند الباب وكأنه نسي شيئًا.

سأل بذهول:

— "بروك؟"

— "نعم."

عاد راسفيلد للغرفة ووقف فوق كاسبر. كان جبينه المقطب مغطى بقطرات، إما ماء حمام أو عرق.

قال كاسبر، مدركًا وهو يتحدث مدى سخافة ما يقوله:

— "لينوس يمكنه تأكيد ذلك."

كان الأمر كاستشهاد برجل أعمى كشاهد عيان.

زفر راسفيلد بعمق:

– "حسنًا، اسمع الآن. لم أستطع رصد أي إصابات خارجية، لكن الآنسة دورن تبدو مصدومة بشدة. لا أريد إضاعة الوقت في تحقيقات غير ضرورية، لذا إن كنت تعرف أي شيء – إن رأيت أي شيء – يجب أن تخبرني فورًا، وإلا..."

– "لا، لم أرَ شيئًا."

كان راسفيلد بالفعل على وشك الإسراع لقسم الأشعة، فاندفع كاسبر بالكلمات التالية بسرعة:

– "لكنني وجدتُ شيئًا."

فتح يده وأرى راسفيلد الشيء الذي التقطه قبل أن يسيطر عليه باخمان مباشرة.

– "لا أعرف إن كان مهمًا، لكن الدكتورة دورن كانت تمسك هذا في يدها."

– "أوه لا، أرجوك لا..."

تقدم راسفيلد وأخذ قصاصة الورق الصغيرة – بحذر، وكأنها قد تحرقه.

بدت بريئة تمامًا، كإحدى تلك القذائف الورقية التي يطلقها تلاميذ المدارس عبر الفصل باستخدام شريط مطاطي. بدأت يدا المدير الطبي بالارتجاف وهو يفتح ببراعة قطعة الورق الصغيرة، التي كانت مطوية مرتين إلى نصفين.

قرأ هامسًا:

– "«إنها الحقيقة، وإن كان الاسم كذبة»."

ثم أمال رأسه للخلف ونظر للسقف وعيناه مغلقتان. عندئذ، أدرك كاسبر هول الموقف بالكامل. ربما كانت قبضة باخمان هي التي اعتصرت الذاكرة وأخرجتها. وربما كانت الجملة الغامضة التي قرأها راسفيلد للتو، والتي ذكرته ليس فقط بحب جريتا كامينسكي للألغاز، بل بصوت مذيع الأخبار أيضًا:

«قد توفر القصاصات الورقية الصغيرة التي عُثر عليها في أيدي الضحايا الثلاث دليلًا، رغم أن الشرطة تتكتم تمامًا عما كُتب فيها...»

قال راسفيلد، ناطقًا الفكرة التي كانت تصرخ في رأس كاسبر:

— "«مُحطّم الأرواح»."

نظر إلى النافذة، التي أصبحت مغلقة الآن.

قال لـ باخمان:

— "أتعرف ما عليك فعله الآن؟"

أومأ الحارس ببطء:

— "إغلاق أمني كامل."

— "أخشى ألا خيار أمامنا."

مسح راسفيلد جبينه المقطب مرة أخرى، وهذه المرة كانت الرطوبة التي علقت بكم معطفه عرقًا بالتأكيد.

— "يجب أن ننزل المصاريع فورًا."

12:41 صباحًا

للمرة الثانية خلال ساعات قليلة، كان كاسبر يقف في مكتب الحارس، يحدق في شاشة باخمان.

لكنه هذه المرة كان حافي القدمين، وكانت سيارة الإسعاف المنقلبة التي التقطتها الكاميرا مدفونة تحت نصف متر من الثلج. وبفضل مكثف الصورة، بدت على الشاشة ككتلة خضراء متلألئة.

تمتم باخمان:

— "عشية عيد ميلاد سعيد."

كان انتباهه منصبًا على صندوق مصهرات رمادي على الحائط، لم يظهر إلا بعد أن أزاح شجرة عيد الميلاد الثقيلة جانبًا.

— "المصاريع؟ ماذا كان يعني راسفيلد؟"

لم تكن المرة الأولى التي يطرح فيها كاسبر هذا السؤال منذ أمره المدير الطبي بعدم مفارقة الحارس. نخر باخمان. لكنه هذه المرة، وبشكل غير متوقع، قدم معلومات مفيدة.

— "إنه إجراء أمني احترازي. ثلاث مؤسسات فقط في العالم قامت بتركيبه، وعيادة تويفلسبرج هي الوحيدة في ألمانيا. أتر ذلك الشيء هناك؟"

تنفس بصعوبة وهو يرفع الغطاء البلاستيكي المفصلي للصندوق ليكشف عن صف من مفاتيح التشغيل المتطابقة. ثم سحب بطنه الكبير ليتمكن كاسبر من رؤية المفتاح الوحيد المختلف، والذي كان لونه أخضر. كُتبت تحته كلمة «جينا» بقلم تخطيط أسود على اللوحة المعدنية.

— "ارفع ذلك المفتاح، وستغلق «جينا» تلقائيًا كل المخارج. عشرون مصراعًا دوارًا ضخمًا ستنزل فوق كل باب ونافذة."

تذكر كاسبر المصراع الثقيل الذي اضطر للانحناء تحته حين تبع لينوس للشرفة.

— "جينا؟"

قال باخمان:

— "اسم زوجتي. هي أيضًا تغلق كل المنافذ حين نتشاجر."

أطلق ضحكة خالية من المرح.

— "لكن ما الفائدة منه؟"

— "منع المرضى الخطرين أو المحتمل انتحارهم من الهرب. لم يحدث ذلك قط بالطبع، لكننا نجعل كل الوافدين الجدد يوقعون استمارة موافقة تسمح لنا بتنفيذ الإغلاق في حالات الطوارئ."

تساءل كاسبر إن كان هو نفسه قد وقع واحدة. استند بيده على المكتب، فشعر باهتزاز خفيف تحت أطراف أصابعه.

— "حسنًا، لكن بروك هرب بالفعل. لا يمكننا منعه من الوصول لأقرب تجمع سكني والعثور على ضحية أخرى."

— "ليس هذا هو المغزى."

برز بطن باخمان تحت بذلته، حاجبًا رؤية كاسبر لصندوق المصهرات مرة أخرى.

— "فما المغزى إذن؟"

— "هل سمعت بـ «مُحطّم الأرواح»؟"

أومأ كاسبر بحذر.

فكر: ربما يكون حتى من معارفي الشخصيين، لكنه قرر في اللحظة نفسها الاحتفاظ بتلك المعرفة لنفسه. على الأقل حتى يكتشف سبب مطاردة صورة بروك له في أحلامه.

— "استشارت الشرطة البروفيسور. كخبير نفسي. فحص الضحايا، بمن فيهن المرأة التي ماتت اليوم، لذا هو مؤهل أكثر منا جميعًا لمعرفة ما يستطيع «مُحطّم الأرواح» فعله. لهذا السبب أمرني بإنزال المصاريع. راسفيلد لا يريد حبس المجنون في الداخل؛ إنه يريد منعه من الدخول مجددًا. إلينا!"

نظف كاسبر حلقه. بدت الاهتزازات حوله تزداد حدة بالتناسب مع القلق المتنامي الذي شعر به من كلمات باخمان. تراجع الحارس عن صندوق المصهرات، ورأى كاسبر أن المفتاح الأخضر قد رُفع بالفعل.

— "النجدة!"

رن صوت المرأة عبر منطقة الاستقبال. لم يدرك كاسبر أنه يعود للممرضة الشابة إلا حين صرخت مرة أخرى.

جاءت ياسمين تركض نحوهم.

بدا باخمان مفزوعًا. نادى:

— "ما الأمر؟"

في وهج أضواء السقف الخافتة، جعلت غرة ياسمين الحمراء جبهتها تبدو وكأنها مبللة بالدم.

قالت وهي تلهث:

— "إنه البروفيسور. لقد اختفى."

— "اختفى؟"

– "نعم. نفدت سدادات الأذن، فأرسلني لإحضار المزيد."

فتحت يدها اليمنى لتكشف عن سدادتين صفراوين من الرغوة. كانتا بوضوح لحماية أذني صوفيا من ضجيج الماسح الضوئي.

– "كان قد اختفى حين عدت."

– "اللعنة."

انحنى باخمان وفتح الدرج الأوسط من أدراج مكتبه الثلاثة. خرجت يده ممسكة بشيء يشبه مسدس لعبة شفافًا ضخمًا.

– "اللعنة."

قالها مرة أخرى، وأسرع مبتعدًا وكاسبر في أثره.

بينما كانا يعبران منطقة الاستقبال، تغير الضوء المحيط. بدا وكأنه أصبح أكثر سطوعًا. في الواقع، كان الظلام يُستبعد. انعكست أضواء السقف فجأة بقوة أكبر لأنها واجهت مقاومة: المصراع الذي كان ينزل فوق النافذة الكبيرة لقاعة المدخل. مثله مثل المصاريع التي كانت تنزل فوق كل نافذة أخرى في عيادة تويفلسبرج.

المصاريع...

كانت في منتصف طريقها للأسفل حين بدأت صوفيا تصرخ في القبو.

12:43 صباحًا

كانت الصرخات المليئة بالألم والذعر تكاد لا تطاق. ولكن الأفظع كان الصمت المفاجئ الذي حل حين بلغت إحدى تلك الصرخات ذروتها. وكأن أحدًا قطع حبال صوفيا الصوتية بمقص.

نزلوا الدرج ركضًا وباخمان في المقدمة. تبعه كاسبر عن كثب، تصفع قدماه الحافيتان الدرجات الحجرية المؤدية لمستوى القبو العلوي للعيادة.

— "مرحبًا؟"

توقفت ياسمين في الأعلى، لكن نداءها القلق تردد صداه عبر الممر الضيق الشبيه بالنفق الممتد على الجانبين عند أسفل الدرج. كان كلا طرفي الممر ينتهيان بمخارج طوارئ: أبواب زجاجية أكملت المصاريع خلفها نزولها إلا بضعة مليمترات أخيرة.

سُمعت طقة. عكست الشرائح زاويتها وسدت المصاريع أخيرًا أي رؤية لما وراء الأبواب.

— "أوه لا!"

أشار باخمان لبصمة قدم دامية على الأرض. أسرعوا عبر الممر لليمين، متجهين للباب الثاني من النهاية، والذي تعلوه لافتة مضيئة تقول «الأشعة. ممنوع الدخول».

ارتطم حذاء باخمان الثقيل بالباب المدعم بالمعدن وهو يركله ليفتحه ويندفع لغرفة التحكم بالأشعة العصبية. تبعه كاسبر للداخل.

— "أين هما؟"

راسفيلد، صوفيا!

التقت عيناهما للحظة وهما يدوران حول نفسيهما، يمسحان الغرفة بشكل محموم. لم يكن هناك أحد ولا شيء يُرى سوى النافذة الزجاجية الكبيرة التي عكست وجهيهما المتعبين.

ذهب باخمان إليها وضغط كل مفاتيح الإضاءة بمسحة واحدة من يده. اختفت انعكاساتهم، مما منحهم رؤية لما كان مظلمًا خلف الزجاج.

تلك الساقان. وتلك القدمان المرتعشتان.

سأل كاسبر:

– "هل هذه هي؟"

كان سؤالًا لا داعي له. جسد صوفيا المتناسق كان ينتفض داخل الماسح الأنبوبي وكأنها ملامسة لسلك كهرباء حي.

أسرع باخمان لغرفة الماسح وكاسبر خلفه. اضطرا لإجبار نفسيهما على عدم إشاحة نظرهما.

كانت أطراف صوفيا التي بدت هشة مربوطة بنقالة منزلقة. بعد سحبها من الأنبوب، وجد باخمان أن تشنجاتها قد أرخت بالفعل حزام أحد معصميها. شرع في فك قيود الفيلكرو التي لا بد أن راسفيلد ثبتها بها من أجل الفحص، لكن ساقها اليسرى ركلت بشكل عشوائي لدرجة أن كاسبر ظن أنه شعر بهوائها على خده. بدأت تئن أيضًا، وملأت رائحة عملات نحاسية قديمة الهواء. خمن كاسبر ما سيراه تاليًا إذا نظر للأسفل. وصح افتراضه.

– "هناك بعض الدم هنا أيضًا."

– "أين؟"

– "هناك."

أشار للأرض عند قدميه. بضع قطرات كبيرة كانت مرئية تقود لخارج غرفة الماسح. اثنتان منها ملطختان وكأن أحدًا داس عليهما بقدمين حافيتين.

– "حسنًا، سأبقى معها."

مسح باخمان العرق عن رأسه المستدير.

– "اذهب أنت وابحث عن راسفيلد ولينوس. وأحضر الآخرين. ياسمين، المسعف، حتى الطاهية لا يهمني. نحتاج كل من نستطيع..."

توقف فجأة.

– "ما هذا؟"

– "أتسمع ذلك؟"

أمال كاسبر رأسه.

ماذا كان ذلك؟

صوت جديد سُمع فوق أنين صوفيا. بالنسبة لـ كاسبر بدا وكأن عملاقًا يشد أنشوطة سلكية فوق رؤوسهم مباشرة.

– "هل هذا الـ...؟"

لم ينتظر كاسبر ليكمل باخمان سؤاله. اندفع خارج الغرفة وركض عائدًا عبر الممر. علا الصوت كلما اقترب من الأبواب الألمنيوم.

إنه المصعد!

توقف بجانبه ونظر لمؤشر الطوابق الإلكتروني. شخص ما غادر القبو للتو وهو في طريقه للأعلى.

12:47 صباحًا

أصيب كاسبر بألم في جنبه بين الطابقين الأول والثاني، لكنه قاوم الرغبة في التوقف. رغم أن مصعد المستشفى كان يصعد ببطء شديد، إلا أنه سيصل هناك قبله إن لم يبذل جهدًا أخيرًا. جز على أسنانه وبدأ يصعد درجتين في كل خطوة.

بينغ.

لقد فعلها. وصل للطابق الثاني وخرج من بئر السلم تمامًا مع رنين الجرس فوق أبواب المصعد، لكن شعوره بالانتصار للفوز بالسباق بفارق ضئيل تحول لخوف. في اللحظة التي ظهر فيها الضوء عبر الشق بين الأبواب الألمنيوم، أدرك أنه على وشك مواجهة «مُحطّم الأرواح» في أية لحظة — وهو أعزل.

هزة أخيرة وبدأت الأبواب تفتح. شيئًا فشيئًا، كشفت عن المرآة الكبيرة على الجدار الخلفي للمقصورة. كابتًا رغبة في الهرب، رفع كاسبر ذراعيه دفاعًا أمام وجهه ورأى...

لا شيء!

— "ماذا تفعل هنا؟"

استدار بسرعة لدرجة أن معظم الناس كانوا ليتراجعوا غريزيًا. لكن ليس توم شاديك، الذي ثبت في مكانه. لم يرمش حتى.

— "هيا، تكلم. ماذا تفعل هنا؟"

من الواضح أن المسعف قد غير ملابسه. كان لا يزال برداء الحمام حين دفع صوفيا خارج غرفة بروك. الآن يرتدي بنطال جينز أبيض

والكنزة ذات الياقة العالية التي وصل بها. بدا شعره مصففًا بالجل حديثًا.

رد كاسبر:

— "يمكنني سؤالك الشيء نفسه. هل كنت أنت من...؟"

— "هاه؟"

حدق شاديك متجاوزًا إياه للمصعد الفارغ.

— "أعني، هل قمتَ...؟"

بحث كاسبر عن الكلمات المناسبة، مدركًا كم يبدو صوته ومظهره أحمقين في هيئته الحالية. واقفًا على بسطة الدرج حافي القدمين، غير حليق، ويرتدي فقط بنطال بيجامة بلون النعناع وقميصًا باهتًا، كان صورة طبق الأصل لمريض عقلي نُسي عند توزيع الدواء ذلك المساء.

— "لا يهم، سأشرح لاحقًا. علينا العثور على راسفيلد أولًا."

— "راسفيلد؟"

— "نعم، لقد اختفى."

ارتجف كاسبر. ناظرًا لقدميه الحافيتين، اللتين كانتا باردتين لدرجة أنه بالكاد يشعر بهما، أدرك خطأه. لم يكن يشعر بالبرد بسبب ملابس نومه الخفيفة — العيادة كانت مدفأة جيدًا — بل بسبب تيار الهواء الجليدي الذي يدور حول كاحليه.

— "ما شأنك أنت؟"

لم يجب كاسبر، الذي كان لا يزال ينظر للأرض.

بقعة الدم على المشمع المصقول استولت على كامل انتباهه.

— "هيه، أيها المجنون، أنا أكلمك!"

ترك شاديك واقفًا وتتبع أثر البقع ذات لون الصدأ عبر الممر، الذي انحنى لليمين بعد عشرين مترًا. تلاشى صوت المسعف الغاضب وازداد تيار الهواء برودة حين انعطف عند الزاوية. في الوقت نفسه، وصل لأذنيه صوت طقطقة معدنية. ثم رأى السبب.

المصراع فوق مخرج الطوارئ في نهاية الممر لم يكن مغلقًا تمامًا. كذبابة تنسى أنها اصطدمت بزجاج النافذة مئة مرة من قبل، استمر في محاولاته العبثية للنزول في مكانه. قضيب معدني رفيع كان يمنعه من النزول لآخر سنتيمترين، والباب الزجاجي نفسه كان مهشمًا.

استدار كاسبر ناويًا مناداة شاديك، لكن اتضح أنه لا داعي لذلك لأن المسعف كان يقف خلفه بالفعل مع باخمان، الذي لا بد أنه أسرع للأعلى وانضم إليهما.

كان على وشك السؤال عن صوفيا، لكن الحارس سبقه.

— "هل وجدتم راسفيلد؟"

— "لا، لكن انظر."

أشار كاسبر للقضيب المعدني الذي كان يحشر المصراع الدوار مفتوحًا.

— "على الأرجح استخدم ذلك لتحطيم النافذة."

— "وجرح نفسه بالزجاج."

جثا شاديك وفحص إحدى بقع الدم العديدة الموجودة هنا أيضًا.

— "تبًا."

عبرت الكلمة عما كان يدور في أذهانهم جميعًا.

طبيعة واتجاه بقع الدم لم تسمح إلا باستنتاج واحد.

قفز «مُحطّم الأرواح» من نافذة غرفته وهبط على الشرفة في الطابق الأسفل. حطم باب الطوارئ الزجاجي وحشر المصراع الدوار مفتوحًا قبل أن ينزل بالكامل. وبعد التسلل عائدًا للعيادة، ركل القضيب بعيدًا ونزل المصراع حتى مسافة سنتيمترين من أسفل الإطار.

— "هل يعني هذا أننا...؟"

قال كاسبر مجيبًا سؤال باخمان غير المكتمل:

— "نعم."

— "إذن ارفع هذا الشيء! حالًا!"

طلب شاديك مشيرًا للمصراع. كان قد قام بمحاولة يائسة لرفعه بالقضيب سابقًا.

هز باخمان رأسه:

— "لا أستطيع."

— "ماذا تعني؟ الدماء تقود بعيدًا عن الباب. لقد حبسنا الوغد بالداخل، لا بالخارج."

هنا بالداخل. معنا.

كرر باخمان، وقد بدا عليه الاستسلام في صوته ومظهره:

— "لا أستطيع."

تنهد بعمق.

— "لا يمكنني إلغاء الإغلاق الأمني بهذه البساطة."

قبل حلول «الخوف» بساعتين وست وعشرين دقيقة

1:12 صباحًا

كان كاسبر يدرك أن ندف الثلج المتطايرة، التي كانت ترتطم بمصاريع نوافذ عيادة تويفلسبرج المغلقة، قد قطعت رحلة طويلة. في الأعالي، عند درجة حرارة خمسين تحت الصفر، تجمدت قطرات الماء على ذرات الغبار. وأثناء سقوطها عبر الغيوم، كان نصف قطر تلك النوى المتجمدة الصغيرة لا يتجاوز عُشر المليمتر، لذا لم تكن مساحة سطحها الضئيلة كافية لتذويبها بفعل احتكاك السقوط. ولم تتخذ شكلها النجمي المعتاد إلا بعد مرورها عبر طبقة هوائية حرارتها خمس عشرة تحت الصفر، حيث تجمد المزيد من بخار الماء حول نوى التكثيف. كان كاسبر يعلم أيضًا أن الرؤوس الستة لكل نجمة ثلجية متطابقة، رغم تعرضها للاضطرابات والرياح متغيرة الاتجاه.

ومع ذلك، ومنذ أن وطأ الإنسان الأرض، لم تسقط ندفتا ثلج متطابقتان قط، وهي معجزة طبيعية استرعت اهتمام أرسطو نفسه. كان كاسبر يتذكر كل هذه الحقائق عديمة الفائدة، بينما بقي أصله هو لغزًا عصيًا عليه. كيف وصل إلى هنا؟ لماذا يعرف الرجل الذي حاول للتو قتل صوفيا؟ ومن الذي تركه خلفه في الخارج بعد أن وعده بطلب المساعدة؟ اعتصر الألم قلبه حين أدرك أن الوضع الخارجي بات

انعكاسًا لمأزقه الشخصي؛ فإغلاق أمني شامل يمنعه من الهروب من هذا السجن والذهاب بحثًا عن ابنته المجهولة الاسم.

— "حسنًا، لا أدري عنكم يا رفاق..."

حاول كاسبر التركيز على نبرة باخمان المرحة بتكلف.

— "... لكن آخر مرة استيقظت فيها في وقت مبكر كهذا في عيد الميلاد، كنت قد طلبت من أمي وأبي مجموعة ألعاب «سكاليكستريك»."

فشلت محاولة الحارس لتبديد التوتر فشلًا ذريعًا. لم يضحك أحد. بل حدقت فيه أربعة أزواج من العيون المرتابة. كان شاديك ينظر إليه باستهزاء، بينما بدت الطاهية وكأنها على وشك الانفجار بالبكاء في أية لحظة. حتى ياسمين تخلت عن لا مبالاتها المعتادة وراحت تحك باطن معصمها بتوتر.

قالت بحدة:

— "كفاك هراءً يا باخمان. فقط أخبرنا ما هي الخطة."

— "هدئي من روعك يا ياسمين. نحن في أمان حاليًا، هنا في المكتبة."

أخرج الحارس نظارة قراءة بدون إطار من جيب صدره ووضعها على أنفه. ربما ظن أن مظهرًا أكثر ثقافة سيعزز مصداقيته كمدير للأزمات. في الواقع، بدت النظارة في غير محلها على رأسه الحليق كإشارة مرور في الصحراء، ولم تفلح في إخفاء قلقه الشديد. ولكي يسيطر على يديه المتعرقتين المرتجفتين، شد قبضتيه على المقابض البلاستيكية لكرسي صوفيا المتحرك ودفعه للأمام بضعة سنتيمترات.

– "هذه الغرفة محمية بباب ثقيل من خشب البلوط. لن يتمكن أحد من تجاوزه بسهولة، لذا لا داعي للذعر."

ضحكت ياسمين بسخرية:

– "لا داعي للذعر؟ الدكتورة دورن في غيبوبة يقظة، وراسفيلد اختفى، واضطررتُ لحبس المرضى في غرفهم بالطابق العلوي لأن سيكوباثيًا ملطخًا بالدماء يهيج في أرجاء العيادة. سمّني ملكة الدراما إن شئت، لكن إذا لم يكن كل هذا سببًا كافيًا للذعر، فلماذا حصّنا أنفسنا هنا؟"

جالت نظرة ياسمين الغاضبة في المكان كأشعة نظام إنذار غير مرئية تعمل بالأشعة تحت الحمراء. الغرفة الأرضية التي تجمعوا فيها كانت تُستخدم كغرفة طعام للعيادة، وكان معظم المرضى القادرين على تناول وجباتهم بالأسفل يفعلون ذلك هناك. ومع ذلك، فإن أرفف الكتب التي غطت الجدران من الأرض حتى السقف الشاهق جعلتها تبدو كغرفة تدخين في نادٍ لندني، ولذا أطلق عليها الجميع اسم «المكتبة». كل زاوية كانت تدعو للاسترخاء، سواء على الأريكة المريحة، أو الكراسي الجلدية الحمراء بلون النبيذ، أو كراسي الطعام الكريمية اللون، لكن معظم المرضى وزوارهم فضلوا الكراسي ذات الظهر المجنح المخططة أمام المدفأة المفتوحة. في تلك اللحظة، كانوا جميعًا يقفون حول طاولة ضخمة وطويلة لدرجة أنها كانت لتصلح بسهولة لتجسيد لوحة «العشاء الأخير».

تساءلت سيبيل باتزوالك:

– "ماذا قلت عن سيكوباثي ملطخ بالدماء؟"

كانت الطاهية قد تناولت حبة منوم ونامت خلال الجلبة الأخيرة. لم يشرح لها أحد بعد سبب سحبها من سريرها في منتصف الليل وجرها إلى المكتبة بقميص نومها. وتجاهلوها مرة أخرى عندما استأثر شاديك بانتباه الجميع.

– "ما زلت لا أفهم. لماذا لا نرفع المصاريع ببساطة ونطلب المساعدة؟"

مشى بخطوات ثقيلة نحو الطرف الآخر من الغرفة بحذائه الضخم. في الطقس الدافئ، كانت النوافذ الفرنسية المطلة على الحديقة تُترك مفتوحة. أما الآن، فقد حجب أي رؤية للأراضي المغطاة بالثلوج في الخارج شرائح المصاريع الدوارة ذات اللون الرمادي الفأري.

نظف باخمان حلقه وتحسس غريزيًا مسدس الغاز الذي تسلح به قبل مغادرة مكتبه. كان محشوًا بطلقات صوتية عيار 9 ملم فقط، لكنه أكد لـ كاسبر أنها قد تسبب جروحًا خطيرة أو حتى مميتة إذا أطلقت من مسافة قريبة جدًا.

– "لا أعرف الرمز."

– "ماذا؟ ظننت أن كل ما عليك فعله هو رفع مفتاح؟"

– "نعم، لإنزالها بسرعة – لمنع محاولة انتحار محتملة مثلًا. أما رفعها فأمر آخر. يجب ألا يتمكن المريض من تحرير نفسه حتى نتمكن من تخديره. ولهذا لا يمكن إلغاء الإغلاق إلا بواسطة رمز."

حدق شاديك في الحارس بدهشة:

– "وليس لديك الرمز؟ هذا يخالف بالتأكيد كل لوائح السلامة من الحرائق!"

— "لدينا خطة طوارئ بالطبع. لأسباب أمنية، يجب أن يعرف طبيبان في كل نوبة الرمز الحالي دائمًا. المشكلة هي..." — نظف باخمان حلقه مرة أخرى — "... أن أحدهما اختفى والأخرى عاجزة عن التواصل."

نظر كاسبر لأسفل نحو صوفيا، التي مال رأسها لجانب. بدت غارقة في نوم أبدي بلا أحلام.

تابع باخمان:

— "ولكن حتى لو استيقظت، ما الذي سيفيدنا به الرمز؟ هناك عاصفة ثلجية عاتية تعصف بالخارج."

سألت ياسمين:

— "إذن نحن عالقون هنا؟"

— "لست ساعات أخرى فقط. ثم تبدأ النوبة الصباحية. سيطلبون المساعدة عندما يرون أن هناك خطبًا ما هنا."

هز شاديك رأسه بقوة:

— "هذه خطة بائسة. من الأفضل أن نخرج من هنا ونقبض على ذلك المجنون. ففي النهاية، هو يحتجز مديرك."

أضافت ياسمين:

— "ولينوس."

قال كاسبر:

— "لينوس؟"

عند التفكير في الموسيقيّ الصغير، تسلل إليه شعور غامض بأنه ينسى شيئًا آخر تمامًا.

– "نعم، لم يكن في غرفته حين ذهبت لغلقها عليه. على عكس جريتا. كانت نائمة بالفعل، تلك العجوز المحظوظة."

حدقت ياسمين في كاسبر بغضب وكأنها تذكره بأنها ترفض وجوده هنا تمامًا. كان قد رفض البقاء وحيدًا في غرفته، وسمح له باخمان في النهاية بالانضمام للآخرين، ربما لأنه كان بحاجة لرجل آخر ليوازن كفة شاديك إذا أراد الاحتفاظ بدوره كمتحدث رسمي خلال الليل.

قال الحارس:

– "حسنًا، راسفيلد ولينوس اختفيا، لكن إذا ذهبنا للبحث عنهما فسنجعل من أنفسنا هدفًا لـ «مُحطّم الأرواح»."

شهقت السيدة باتزوالك:

– "«مُحطّم الأرواح»؟"

ارتجفت وهي تحتضن صدرها الضخم الذي برزت معالمه تحت قميص نومها. ورغم تساؤلاتها المتكررة، لم تبدُ راغبة حقًا في معرفة حقيقة ما يجري من فظائع في العيادة. استطاع كاسبر ملاحظة الجهد الذي تبذله حتى للنظر إلى الشخصية الجالسة في الكرسي المتحرك.

– "هل يعني ذلك...؟"

– "أخشى ذلك، نعم."

هز باخمان كتفيه وأخذ نفسًا عميقًا. ثم التقط صحيفة عشوائية من طاولة القهوة أمام المدفأة المزينة احتفاليًا. لم يضطر للبحث طويلًا.

– "هنا: ثلاث نساء، جميعهن شابات، جميلات، وفي ريعان الشباب."

مثل صوفيا، أضاف كاسبر في عقله وهو ينحني فوق طاولة الطعام، مثل الآخرين، ويتفحص صور الضحايا.

— "اختُطفن جميعهن، واحدة تلو الأخرى. وظهرن مرة أخرى بعد بضعة أيام فقط، من العدم. لم يُكشف عن أي إصابات جسدية، لكن عقولهن دُمرت تمامًا. لا أحد يعرف ما فعله الرجل بهن — أي تعذيب نفسي أخضعهن له. انظروا لهذه الصورة."

نقر باخمان على صورة بالأبيض والأسود تحمل اسم «فانيسا ستراسمان». الضحية الأولى التي ماتت.

— "أترون؟ لديها نفس التعبير المتبلد الذي يعلو وجه الدكتورة دورن هنا."

— "ويُفترض أن بروك هو من فعل ذلك؟ مستحيل!"

اتجهت كل الأنظار إلى شاديك، الذي استند بمؤخرته على طاولة الطعام وربّع ساقيه. إذا كانت الأحداث الأخيرة قد أفقدته صوابه، فقد كان يخفي ذلك ببراعة. حتى أن ابتسامة خفيفة كانت تحوم على شفتيه الرفيعتين.

سعل باخمان بتوتر في قبضته وسأل:

— "ولمَ لا؟"

— "كان بروك غارقًا في بركة من الفودكا حين وصلت للموتيل. إنه سكير — متشرد. المدير أراد إخراجه من مؤسسته قبل العطلة. في خدمة الإسعاف، نحن نجمع دائما قمامة بشرية قبل عيد الميلاد."

اتسعت ابتسامة شاديك، لكن الحارس هز رأسه.

– "هذا لا يبدو منطقيًا. البروفيسور راسفيلد أشار إليه بالدكتور جوناثان بروك، والدكتورة دورن بدت وكأنها تعرفه أيضًا."

سخر شاديك:

– "في هذه الحالة، يجدر بهم اختيار زملائهم بعناية أكبر."

قال باخمان:

– "أنا لا أفهم الأمر برمته، أعترف بذلك. ماذا كان يفعل بروك ثملًا في ذلك الموتيل؟ لماذا غرس سكينًا في حنجرته؟ لماذا هرب ثم عاد؟"

رسم علامة استفهام في الهواء بسبابته اللحمية.

– "لا فكرة لدي، لكنني متأكد من شيء واحد: الدكتورة دورن هي الضحية الرابعة لـ «مُحطّم الأرواح»."

خمّن كاسبر ما هو آتٍ. ورغم أن أحدًا منهم لم يكن يرغب في سماع ذلك، إلا أن باخمان كان بصدد ختم مرافعته بدليل قاطع.

– "كانت كل امرأة تمسك بقصاصة ورق."

تحسس جيبه.

– "مثل هذه."

سلمها لـ شاديك، الذي قرأ الكلمات بصوت عالٍ:

– "«إنها الحقيقة، وإن كان الاسم كذبة»."

– "نعم. إنه لغز."

أضاف كاسبر:

– "سقطت من يد صوفيا حين وجدتها في الحمام."

– "يا إلهي!"

خان الصوت سيبيل باتزوالك. من المفترض أنها شاهدت الخبر العاجل الذي شاهده كاسبر في غرفة جريتا قبل ساعات. ولدهشته، مسحت الدموع التي كانت تنهمر على خديها المليئين بالعروق وجثت أمام الكرسي المتحرك.

انتحبت وهي تعتصر يد صوفيا المرتخية:

— "الفتاة المسكينة. لماذا هي؟ لماذا؟"

قالت ياسمين:

— "نعم. ماذا يريد منا؟"

همس كاسبر فجذب انتباه الجميع:

— "منا؟ لا شيء."

وضع إصبعين ونقر على الصحيفة المفتوحة على طاولة الطعام أمامهم.

— "يقول هنا إن جميع ضحاياه السابقات لم يستجبن إلا للمحفزات الشديدة للغاية. إنهن خرساوات تمامًا. حالة الدكتورة دورن مختلفة. كانت ترتجف قبل قليل. حتى أننا سمعناها تصرخ، ووجد راسفيلد أن حدقتيها تستجيبان للضوء. وفقًا لهذا التقرير، ردود الفعل تلك كانت محدودة للغاية في جميع الحالات الأخرى."

قالت السيدة باتزوالك، متشبثة بقشة أمل:

— "إذن ربما لم يكن «مُحطّم الأرواح» على الإطلاق. ربما كان حادثًا؟"

– "لا، هذا يعني ببساطة أنه لم ينتهِ بعد. لينوس قاطعه. أعتقد أنه يريدنا خارج الطريق، ليتمكن من الانفراد بـ صوفيا مرة أخرى. لهذا عاد: لينهي ما بدأه. أيًا كان ذلك."

فوجئ كاسبر بامتلاكه القوة للتعبير عن هذا الشك المريع بمثل هذا الهدوء. إذا كان محقًا، وإذا فشلوا في حماية صوفيا من «مُحطّم الأرواح»، فسيحرمه ذلك من أكثر بكثير من مجرد رمز المبنى الذي سجنوا أنفسهم فيه. لن يعرف أبدًا ما اكتشفته عن هويته. وعن ابنته.

عليّ التأكد أولًا...

وكأن صوفيا تصفق لهذا الإدراك المروّع، ارتجّ الهيكل المعدني للكرسي المتحرك فجأة تحت جسدها الذي يتشنج بعنف. ثم امتزج شيء أكثر إثارة للذهول بعلامة موافقتها الغريبة تلك: فتحت فمها وبدأت تتحدث.

1:22 صباحًا

سوب... كلمة واحدة فقط، وقصيرة بقدر ما هي غير مفهومة. لم تنطقها بوضوح – ربما كانت زوب أو شوب. لم يفهمها كاسبر، ولا رفاقه التعساء الذين تبادلوا نظرات حائرة. جثا أمام صوفيا، ولمس خدها بحذر. استجابت لهذا الاتصال الحذر بالضغط بذقنها على كفه. ثم فتحت شفتيها الجافتين المتشققتين.

– "دكتورة دورن؟ صوفيا؟"

بدا صوت كاسبر وكأنه يخترق وعيها لأول مرة، لكنه لم يكن متأكدًا إن كان هذا مدعاة للبهجة. أي رد فعل من مريض في غيبوبة يُعد

علامة فارقة في طريق التعافي. لكن ماذا لو كان هذا مجرد تشنج قصير، ومضة حياة أخيرة؟

سأل بنعومة:

— "هل تسمعينني؟"

تقلبت مقلتا عينيها تحت جفنيها المطبقين ككرات زجاجية تحت ملاءة مشدودة.

ظهر باخمان بجانبه، وعلامات القلق تعلو وجهه.

قال كاسبر:

— "إنها بردانة."

أحضر أحدهم، ياسمين على الأرجح، معطف صوفيا الطبي وألبسها إياه فوق قميص نومها الرقيق، لكنها ظلت ترتجف رغم ذلك. أومأ الحارس بصمت وتنحى جانبًا.

قال شاديك في أذن كاسبر:

— "هل فهمت ما كانت تحاول قوله؟"

لم يلحظ كاسبر وجوده إلا في تلك اللحظة؛ كان قد اقترب وجثا بجانبه.

— "لا، كان..."

جفل كاسبر وكاد يفقد توازنه.

كانت صوفيا قد أدارت رأسها نحوه فجأة كسكير حدق في كأسه لدقائق طويلة ثم قرر فجأة بدء محادثة مع الشخص الجالس بجواره.

ما الذي تحاول إخباري به؟

حدق في عينيها، اللتين ركزتا لأول مرة منذ الحادثة في غرفة بروك. كانت نظرتهما فارغة حتى الآن، لكنها اكتسبت كثافة يمكن أن تغرس المسامير في لوح خشبي.

– "صوفيا؟"

قالها مرة أخرى. لوح شاديك بيده ذهابًا وإيابًا بين وجهيهما كماسحة زجاج السيارة، محاولًا جذب الانتباه لنفسه.

نعبت بصوت مبحوح:

– "سوب... زوب..."

كانت غير مفهومة كما في السابق.

للحظة، انتاب كاسبر شعور غير واقعي بأن الأصوات الغامضة الصادرة من شفتي صوفيا تتحول إلى دخان أمام عينيه. دخان برائحة خشب البتولا. ثم رأى ألسنة اللهب تنعكس في عينيها. كان باخمان قد أشعل نارًا.

– "فكرة جيدة."

نهض كاسبر. أومأ للحارس باستحسان ودفع الكرسي المتحرك نحو المدفأة. كانت ياسمين قد أخرجت غطاء سرير بنيًا من مكان ما. لفته بعناية حول كتفي صوفيا، وهي تغني بنعومة لحنًا وجده كاسبر مألوفًا بشكل غريب. ورغم عجزه عن نسبه لفرقة معينة، إلا أنه كان بإمكانه الانضمام إليها وغناء الكلمات عن ظهر قلب.

بالأمس شختُ كثيرًا
شعرتُ أنني قد أموت
بالأمس شختُ كثيرًا

جعلني ذلك أرغب في البكاء

بدا للأغنية تأثير مهدئ على صوفيا. أغمضت عينيها.

قالت ياسمين وهي تواصل الغناء بخفوت:

— "آمل أنها لا تتألم."

اذهبي، اذهبي

فقط ارحلي

اذهبي، اذهبي

لقد اتُّخذ قرارك

أصبح المشهد أكثر فأكثر غير واقعي. الممرضة تغني، النار مشتعلة، رف المدفأة المزين بأغصان الصنوبر وكرات عيد الميلاد، والمرأة الملفوفة بغطاء السرير أمامه. بدا كل شيء مسالمًا بشكل لامتناهٍ فجأة، لكن ذلك بحد ذاته زاد من شعور كاسبر بالشؤم.

لامس شفتي صوفيا الجافتين بأطراف أصابعه وقال:

— "إنها تعاني من الجفاف."

صاحت الطاهية:

— "لا يوجد ماء هنا."

كانت قد توقفت عن البكاء، على الأقل في الوقت الحالي، وبدت وكأنها استعادت رباطة جأشها. من ناحية أخرى، ربما كانت تتصرف ميكانيكيًا فقط كشخص في حالة صدمة بعد حادث.

قالت ياسمين:

— "الماء وحده لا يجدي. إنها عاجزة عن الشرب — تحتاج لمحلول وريدي."

– "يبدو منطقيًا. محلول إلكتروليت، يفضل."

قال شاديك.

فرك باخمان مؤخرة رأسه الحليق بقلق:

– "لا أعرف. هل هو ضروري حقًا؟"

تحسس كاسبر جبين صوفيا:

– "لا فكرة لدي. من الصعب القول دون معرفة ما فعله بروك بها. محلول ملحي فسيولوجي لن يضر، لكن إذا كانت تعاني من صدمة تسممية فيجب أن تأخذ بعض الكورتيزون فورًا."

– "لا، لا أعتقد أننا يجب أن نخاطر. أقترح أن ننتظر هنا في الوقت الحالي."

فرك باخمان عينيه بتوتر تحت نظارته.

صاح شاديك بصوت عالٍ:

– "هراء! لن أختبئ هنا كشاذ جبان!"

رأى كاسبر باخمان يجفل بشكل غير ملحوظ تقريبًا وكأنه شعر بإهانة شخصية من لغة شاديك الفظة. وربما كان كذلك. نظارة القراءة، الادعاءات الثقافية، التلميحات المبطنة لمشاكله الزوجية – كلها تشير لشخص غير متصالح مع نفسه. ربما في حالة إنكار.

خطا شاديك خطوة نحو باخمان:

– "دعني أخبرك ما تعلمته من والدي. كان ملاكمًا محترفًا."

– "أستطيع التخمين."

– "لا، انتظر. والدي لم يخسر نزالًا قط. أتعرف لماذا؟"

– "لا، لكن هل تظن حقًا أن هذا وقت مناسب للطرائف الشخصية؟"

تجاهل شاديك ذلك وتابع:

– "لأنه كان يختار دائمًا خصومًا أضعف. أمي، في الغالب."

ابتسم كمن يصعد التوتر قبل الوصول للنكتة الختامية.

– "مرة، حين كنت في الثانية عشرة، تمادى كثيرًا. قال إن البطاطس المهروسة لم تكن مالحة بما يكفي، فمد يده عبر طاولة المطبخ وضرب رأس أمي في الوعاء. بام!"

قام شاديك بالحركة المرافقة بذراعه.

– "بصراحة ظننت أنها لن ترفع رأسها مرة أخرى، كان الصوت قويًا جدًا. المطبخ بأكمله تلطخ بالبطاطس. كنت أقف عند الحوض، لكن بعضها وصل لشعري."

اختفت ابتسامته الساخرة.

– "لكن أمي رفعت رأسها. تدفق الدم من أنفها وغرق بقية البطاطس. لا أعرف أيهما تكسر لقطع أكثر، الوعاء أم فكها. العجوز ضحك فقط وقال إنها بالغت هذه المرة: البطاطس أصبحت مالحة جدًا الآن. ثم أمرني بالبحث في دليل الهاتف عن عنوان مستشفى لم نذهب إليه من قبل."

نظر شاديك حوله للآخرين.

– "تعرفون، بسبب الأسئلة السخيفة التي يطرحونها حين تتعرض زوجة لحادثين في تتابع سريع."

تدخل باخمان:

– "حسنًا، لا بد أن ذلك كان مريعًا، لكن ما علاقته بوضعنا الحالي؟"

– "تلك الليلة أقسمتُ لنفسي أنني لن أتقبل أي شيء مستلقيًا مرة أخرى. أعني، كنا مجرد أطفال، لكننا كنا أربعة بمن فينا أمي، وهو واحد فقط. هل اتضحت الصورة؟"

سألت سيبيل باتزوالك بصوت خافت:

– "ماذا فعلتم به؟"

رمق شاديك كاسبر بنظرة مفاجئة وابتسامة تهكمية:

– "كل شخص لديه سر مظلم واحد على الأقل."

قال باخمان:

– "قصة لطيفة، لكنني ما زلت أعتقد أننا يجب أن ننتظر... حتى الصباح، حين تأتي نوبة النهار... ما هذا بحق الشيطان؟"

توقف عن الكلام، وحدقوا جميعًا بتوتر في السقف.

سمع كاسبر الصوت هو الآخر الآن. كانت الأصوات تصدر مما ظنه سابقًا كاشف دخان: صندوق بلاستيكي صغير في السقف. النغمات المعدنية جعلت الهسيس الفقاعي أكثر غموضًا من الأصوات المثيرة للشفقة التي أصدرتها صوفيا. بدا كشخص يقلد آلة إسبريسو تلفظ أنفاسها الأخيرة.

سأل شاديك:

– "من أين يأتي هذا؟"

قال باخمان:

– "هذا نظام مخاطبة الجمهور لدينا. يوجد مكبر صوت في كل غرفة."

هتفت الطاهية:

– "يا إلهي، هل هذا هو؟"

أومأ كاسبر غريزيًا. بالطبع كان هو. حباله الصوتية تالفة. هكذا لا بد أن يبدو صوت شخص ثقب قصبته الهوائية بسكين.

صرخت ياسمين بنبرة هستيريا متصاعدة:

– "إنه «مُحطّم الأرواح»! إنه يخبرنا بشيء ما!"

قال شاديك مشيرًا بنفاد صبر:

– "هسس، جميعكم! هدوء!"

تسلق أحد كراسي غرفة الطعام وأمال رأسه.

– "هناك شيء آخر. في الخلفية."

قالها أخيرًا وهو ينظر إليهم من أعلى.

اللعنة، أستطيع سماعه أنا أيضًا، فكر كاسبر. شعر بغثيان مفاجئ حين أدرك من نسي في خضم كل هذه الإثارة، ومن الذي كان أنينه المعذب يصدر بصوت أعلى فأعلى من نظام المخاطبة العامة. لم يتعرف عليه في وقت سابق حين كان جالسًا بقربه، لكن الآن وقد جاءت تلك العوايات المتألمة من بعيد، «مشوهة» عبر مكبر صوت، شعر بيقين أنه سمعها من قبل. ليس عبر مكبر صوت، بل صادرة من صندوق سيارة مهجورة على أطراف سوق للسلع المستعملة. أغمض عينيه وارتفع الأنين.

***

عاد الصيف، وعكس طلاء الحطام الفضي ضوء الشمس الساطع بقوة لدرجة أنه اضطر لتظليل عينيه بيده وهو ينظر في اتجاهه. العجلات الأربع سُرقت، فاستقرت بقايا السيارة المتآكلة على محاورها العارية. لم يكن هناك شيء لم يُركل أو يُحطم بالفعل. المصابيح الأمامية، الزجاج الأمامي والخلفي، النوافذ الجانبية — حتى الصندوق الخلفي بدا وكأن أحدهم أسقط ثلاجة عليه. سمع كاسبر جلبة أصوات أجنبية في الخلفية، وضحكة شابة على صفقة تجارية ناجحة، والزمير المتكرر لمركبات التوصيل. ركض طفلان متسخان بعيدًا حين اقترب لفحص قطعة الخيط الخشن التي رُبط بها غطاء الصندوق بالمصد الخلفي. قرب ولاعته منها، فانفتح الصندوق، ووجد نفسه يحدق في وجه الموت. أربعة كلاب. صغيرة، جافة وميتة من العطش— محترقة من الداخل. الحرارة الخارجية كانت حوالي ثلاثين درجة. داخل الصندوق لا بد أنها كانت الضعف على الأقل. ماتت جميعها ميتة بطيئة ومؤلمة. جميعها عدا واحد، قُلعت عينه اليسرى بعصا.

***

الكلب الذي يسميه الجميع في العيادة مستر إد. الذي كان يئن عبر نظام المخاطبة العامة بنفس القدر من الشفقة كما فعل وهو جرو، خلال الدقائق الأولى بعد تحريره بالصدفة.

1:31 صباحًا

كان للظلام تأثير موضح، يكاد يكون مطهرًا. كانوا يتسللون عبر منطقة الاستقبال حالكة السواد لعدة ثوانٍ، لكن كان يمكن أن تكون

مضاءة بالكشافات، فقدرة كاسبر على السمع والشم والشعور بمحيطهم كانت بهذه القوة. لقد دمر «مُحطِّم الأرواح» كل مصدر للضوء في هذا الجزء من الطابق الأرضي.

همس شاديك:

– "الزم اليسار."

توقفت العوايات المعذبة فوقهم للحظة أو اثنتين. كان قريبًا خلف كاسبر، بعد أن أصر على مرافقته لمستوصف العيادة.

– "هل صحيح ما قالته يزي؟ أنت حالة فقدان ذاكرة؟"

تلمسوا طريقهم بحذر، يد واحدة تمسح الجدار لئلا يفقدوا اتجاههم في العتمة. لم يعرف كاسبر ما الذي فاجأه أكثر، أن المسعف يستغل خروجهما من المكتبة للدردشة، أم أنه ينادي الممرضة الثرثارة بلقبها بالفعل.

– "فقدان ذاكرة، نسيان. يتماشى مع الوضع برمته، ألا تظن؟"

قهقه شاديك.

– "آمل ألا يملك ذلك المهووس نظارات رؤية ليلية. إذا كان يملكها، يمكننا نسيان خطتنا العبقرية فورًا."

– "سنحضر فقط الضروريات للدكتورة دورن، ونبحث عن مستر إد ونطفئ نظام مكبرات الصوت اللعين ذاك."

هكذا قال كاسبر لـ باخمان. أومأ الحارس بعبوس حين انطلقوا، لكن ليس دون إطلاق تحذير:

– "مكتب راسفيلد ملاصق للمستوصف تمامًا. أحد ميكروفوني نظام المخاطبة العامة موجود على مكتبه، لذا هناك احتمال خمسين بالمائة أن يكون بروك بانتظاركم هناك."

تابع كاسبر سيره البطيء على رؤوس أصابعه، وكاد يصطدم بمبرد مياه. الموزع البلاستيكي كان قريبًا جدًا من وجهتهم، إذا تذكر بشكل صحيح. بابان فقط متبقيان.

خفت الأنين فوق رؤوسهم كلما ابتعدوا عن قاعة المدخل. لكن صورة الحيوان الذي يلفظ أنفاسه في صندوق سيارة محموم في ذهن كاسبر لم تكن كذلك، بل كانت تزداد وضوحًا.

– "انظر!"

هبطت يد شاديك فجأة على كتفه.

– "ماذا؟"

– "ذلك."

حسنًا، إذن هو رآه أيضًا.

ظن كاسبر في البداية أن الضوء الأحمر الوامض وهم – من النوع الذي يحدث حين تغلق عينيك بقوة في الظلام. لكنه كان حقيقيًا بوضوح. توهج أحمر يومض وينطفئ بانتظام في الشق أسفل باب مكتب راسفيلد. وكأن شخصًا يستلقي على الأرض ويرسل إشارات مورس بضوء جهاز تحكم عن بعد.

قال شاديك:

– "لم يكن ذلك موجودًا قبل قليل، أليس كذلك؟"

هز كاسبر رأسه، متوترًا جدًا ليفكر في أن رده لن يُرى في الظلام.

سأل وهو يخمن إجابة المسعف:

– "ماذا الآن؟"

– "ماذا تظن؟ سندخل."

1:33 صباحًا

لا جهاز تحكم عن بعد، لا مصباح يدوي، لا شيفرة مورس. للحظة مروعة، خلط كاسبر بين الشيء غير المؤذي وقنبلة ذات صاعق وامض تنتظر الانفجار في منتصف مكتب راسفيلد. ثم تعرف عليه.

صاح شاديك:

– "الوغد الحقير!"

ضاربًا بالحذر عرض الحائط، ضغط المفتاح بجوار الباب. سرعان ما اعتادت عينا كاسبر على أضواء السقف التي غمرت مكتب المدير الطبي الواسع ولكن المكدس بوهج ساطع. باستثناء جبال من سجلات المرضى، وأكوام الكتب المترنحة، وعلبة بيتزا فارغة، ورفي كتب مزدحمين بشكل فاحش، لم يكن هناك شيء ليُرى. لا شيء حي، على الأقل. لم يكن هناك أحد سواهم. لا راسفيلد ولا «مُحطّم الأرواح».

– "إنه يلعب معنا."

التقط شاديك جهاز الإملاء بجوار الميكروفون. كان ضوءه يومض كلما اختار المولد العشوائي وشغل أحد التسجيلات المتعددة.

– "خذ..."

رمى الجهاز لـ كاسبر.

– "لا بد أنه عذب الحيوان المسكين وسجل صوته."

فحص كاسبر جهاز التسجيل الذي بحجم هاتف محمول. ودون تفكير، ضغط زرًا مستهلكًا على الجانب. توقفت عوايات مستر إد. شعر بالدوار واضطر للتمسك بالمكتب بكلتا يديه. سقط جهاز التسجيل على الأرض.

سأل شاديك:

– "ما الخطب؟"

– "أنا..."

تردد كاسبر، لا يدري بم يجيب. ثم اختار الحقيقة:

– "لا أعرف."

لم يعرف هذه الغرفة ولم يزرها من قبل، ومع ذلك بدا كل شيء مألوفًا جدًا. مثل معظم الغرف الكبيرة في المبنى، كان مكتب المدير الطبي مجهزًا بمدفأة. فوقها علقت العديد من الشهادات المؤطرة وصورة أو اثنتان للعائلة بدت لـ كاسبر مألوفة رغم غرابتها.

خطا خطوة نحو المدفأة، وأخذ نفسًا عميقًا – وعندها...

حدث الأمر دون سابق إنذار. عامل تحويل كيميائي حيوي في سكة ذاكرته حول المسار. قطار الذكرى كان يقترب بسرعة – بسرعة أكبر مما يحتمله المسار المهجور الذي كان يشق طريقه عبره في وعيه. ولكن فجأة أبطأت القاطرة. الدخان الكثيف من مدخنتها – دخان برائحة ورق محترق – تصاعد من أعماق ذاكرته طويلة المدى المدفونة، يرتفع أعلى فأعلى حتى تجسد في عين عقله. إلى مكتب! مكتب رأى نفسه جالسًا إليه وفي يده جهاز إملاء مثل الذي رماه شاديك له للتو.

«حان الوقت. ابنتك جاهزة لك»، سمع صوت امرأة يقول عبر جهاز اتصال داخلي. ورأى نفسه ينهض، يعدل كرسيه ويلقي نظرة أخيرة على الصورة في الملف الذي كان يغلقه للتو. كانت لفتاة بشعر أشقر مجعد. ابنته؟

«اكتملت جميع التحضيرات، أيها الطبيب...»

— "مرحبًا، هل من أحد هنا؟"

— "ماذا؟ إيه... نعم، أنا بخير."

قال كاسبر بشكل غير مقنع، وصمت جهاز الاتصال الداخلي في أذنه.

رمقه شاديك بشك:

— "تذكرت شيئًا، هاه؟"

— "لا، أنا... أشعر ببعض التوتر، هذا كل شيء."

لم يرغب في إثارة قلق أي شخص حتى يفهم معنى ذاكرته العائدة ببطء، خاصة شخصًا يشع عدوانية كامنة.

أصر شاديك:

— "أنت تخفي شيئًا، أليس كذلك؟"

— "لا."

— "بلى، تفعل."

لم يكن لدى كاسبر رغبة في التورط في جدال. اندفع متجاوزًا شاديك واتجه للباب بين مكتب راسفيلد والمستوصف. كان مقفلًا، لكن باخمان أعطاهما مفتاحًا.

مفعلًا بمستشعر، أضاء مصباح السقف تلقائيًا حين دخل كاسبر الغرفة الخالية من النوافذ. وقف مترددًا أمام الأدوية المصفوفة في خزائن بواجهات زجاجية وعلى أرفف معدنية.

– "إليك ما نحتاجه."

فتح شاديك، الذي تبعه للداخل، خزانة مبردة بباب زجاجي. أخرج كيسي محلول وريدي وهزهما كأنه نادل، ثم حاول استئناف الجدال الذي بدأه للتو.

– "على سبيل المثال، أراهن أننا في نفس مجال العمل."

– "لماذا؟"

– "جفاف، محلول، صدمة تسممية، كورتيزون؟"

اقتبس شاديك بينما كان يبحث عن إبر ولواصق في درج.

– "كلها كلماتك، لذا إما أنك رجل طبي أو مصاب بوسواس المرض. علاوة على ذلك، بدا الأمر روتينيًا تمامًا بطريقة ما."

– "ما الذي بدا كذلك؟"

– "الطريقة التي تحسست بها جبينها وأخذت نبضها. أراهن أنك أجريت نقل دم من قبل."

دس شاديك عدة قنيات (كانيولا) في جيب بنطاله والتفت لينظر لـ كاسبر.

– "للعلم فقط، أنا أراقبك. أعرف بشأن فيديو المراقبة ذاك، كما ترى."

سأل كاسبر رغم تخمينه لما يلمح إليه شاديك:

– "أي فيديو؟"

– "تسكعت في الممر ولم تصعد هنا مع كلبك إلا بعد أن قاد ذلك الطفل الكبير باخمان المدير خارج المبنى. بالنسبة لي، هذا يثبت أنك لست هنا بالصدفة. كان لديك شيء في ذهنك."

– "حقًا؟ هل أخبرتك «يزي» بكل ذلك؟"

أزعج كاسبر أنه لم يبدُ عليه الملل كما قصد، بل كان يشعر بتوتر شديد. والمفارقة أنه لم يستطع إنكار أو تأكيد اتهام شاديك.

– "نعم، وسمعته من باخمان."

– "مصادر رائعة."

نظر كاسبر لمعصمه، ناسيًا أنه لا يرتدي ساعة.

– "دعنا لا نضيع المزيد من الوقت. من الأفضل أن نعود بأسرع ما يمكن. هل تدرك لماذا زرع «مُحطّم الأرواح» ذلك المسجل هنا؟"

التفت شاديك ليواجهه:

– "ليستدرجنا خارج جحرنا!"

– "صحيح."

وكأنما لتأكيد كلامه، صفق باب في مكان ما قرب المكتبة. ثم تردد صدى صرخات الطاهية الثاقبة عبر الممر.

1:37 صباحًا

ركضا عائدين عبر الممر، الذي بدا لـ كاسبر الآن كنفق مظلم يتأرجح مصباح عامل منجم في نهايته. في رحلة الذهاب هددت قاعة المدخل بابتلاعهم كثقب أسود، بينما الآن لديهم وهج خافت ليرشدهم – مرشد لم يكن ليوجد لو كان باب المكتبة لا يزال مغلقًا.

قال كاسبر محذرًا وهما يقتربان من الزاوية حيث ينعطف الممر يمينًا:

— "احذر."

نحو المكتبة. ومصدر الضوء.

لماذا فعلها باخمان؟ لماذا ترك الباب مفتوحًا؟

توقفت سيبيل باتزوالك عن الصراخ — علامة شؤم، فكر كاسبر. الصراخ يستلزم التنفس، والألم لا يُشعر به إلا إذا أُمد الدماغ بالدم. شعر بالخجل من رغبته المنحرفة في سماع تنفس المرأة المجهد، على الأقل. ثم انعطفا عند الزاوية وأدرك خطأه: باب المكتبة كان مغلقًا. الضوء لم يكن قادمًا من المكتبة، بل من غرفة صغيرة في الجهة المقابلة.

همس شاديك:

— "إنه فخ."

مخرجًا شيئًا طويلًا من جيبه. لمع فضيًا في الضوء الخافت. لا بد أنه أخذ سكين الورق من مكتب راسفيلد بينما كان كاسبر غارقًا في ذكرياته الغامضة. ثم استلقى مسطحًا على الأرض وبدأ يزحف بخفة توحي بأنه يمارس القتال القريب في وقت فراغه. كل ما احتاجه لإكمال الصورة هو سكين الورق بين أسنانه.

هذا جنون، فكر كاسبر. استدار يمينًا وهز مقبض باب المكتبة.

— "هيه، افتحوا!"

جاء رد باخمان فوريًا:

— "هل أنتما وحدكما؟"

كان يستمع بوضوح وأذنه ملتصقة بالباب.

أجاب كاسبر ناظرًا للغرفة المقابلة:

– "نعم، لا. لا أعرف."

كان ينبعث منها صوت كجرذان تهرع داخل كيس بلاستيكي رخيص. تذكر أن المطبخ في هذا الطابق.

– "أدخلني."

– "أين سيبيل؟"

كان صوت باخمان مكتومًا بالباب البلوطي الثقيل.

– "لا فكرة لدي. يجب عليك..."

استدار كاسبر. ازداد صوت الخشخشة وعلا وتغيرت طبيعته. بدا الآن ككيس قمامة مثقل يُجر عبر أرضية حجرية.

فوجئ شاديك هو الآخر. كسحلية مفزوعة، تجمد في منتصف حركته على بعد متر واحد من المدخل. رفع رأسه وأماله بحيث تكون أذنه اليمنى بعيدة قليلًا عن الأرض، ثم سحب ركبة واحدة. كان على وشك الزحف للأمام لرؤية أفضل للغرفة حين ابتلع الظلام كل شيء في مرمى البصر.

ملأت عتمة الليل كل زاوية وركن في الطابق الأرضي حتى قبل أن تسقط شظايا المصباح المحطم على أرضية الغرفة.

لا شيء. لا بصيص. لا وميض. لم يستطع كاسبر رؤية أي شيء، فقط السماع. الصوت الزاحف كان يتجه نحوه مباشرة. ذلك فقط، لا خطوات. راودته رؤية مروعة لكيس قمامة مليء باليرقات ينتفض بتشنج وهو يتلوى شاقًا طريقه عبر الممر بمفرده.

حاول الصراخ، ليكتشف أنه يفعل ذلك بالفعل. رئتاه تؤلمانه. وكذلك أصابع قدميه، التي تكدمت من كل الركلات التي سددها لباب المكتبة آملًا أن يفتح باخمان أخيرًا ويدخلهم من الليل، من الظلام الذي بدا أنه يزداد كثافة كلما علا صوت الانزلاق. انضم إليه الآن صوت اختناق صفيري. تمنى كاسبر أن يشتبك شاديك مع «مُحطّم الأرواح» — تمنى أن يكون المسعف هو من يصدر تلك الأصوات المخنوقة المتقرقرة بعصر عنق بروك. لكنه أدرك حينها أن العكس قد يكون صحيحًا بنفس السهولة، وإذا كان شاديك يخسر المعركة، فسيكون هو الضحية التالية للقاتل.

ما الخطب؟ لماذا لا يفتح باخمان؟

غزا فم كاسبر طعم معدني. لقد عض لسانه، لكنه لم يشعر بذلك بقدر ما لم يشعر بمقبض الباب النحاسي الذي كان يهزه بيأس.

صرخ بصوت أرق بكثير مما نوى:

— "ماذا تريد منا؟"

وفجأة تسارعت الأحداث.

بدأ الأمر بوميض أحرق شعره وأخطأ صدغه بمليمترات. دفع رأسه جانبًا، متسائلًا لماذا فقد توازنه بدلًا من ضرب جبهته بالباب. ثم، وهو يسقط للأمام نحو الضوء، التقط لمحة أخرى للنسيج القطني الأخضر الباهت الذي ظهر في وميض الفوهة. ثوب مستشفى. بروك!

سحبه شخص ما للخلف وحلق زوج من الأحذية الثقيلة قرب رأسه. داس أحدهما على فم معدته، والآخر على ذراعه العلوية.

لاحقًا، حين تتشكل الكدمات، سيعتذر شاديك عن دوسه عليه في حالة ذعر وهو يهرب للمكتبة، لكن في تلك اللحظة لم يشعر كاسبر بألم، فقط ارتياح لا حدود له لأن باخمان فتح الباب أخيرًا. كان شعورًا بالنشوة للنجاة من الموت في اللحظة الأخيرة، لكنه استمر فقط حتى أقفل الحارس الباب خلفهم وانفجر في البكاء.

الوقت الحاضر

بعد وقت طويل جدًا، وبعد سنوات عديدة من «الخوف»

12:34 ظهرًا

لم يتساقط الثلج بعد. كانت نشرة الطقس قد أعلنت أنه سيهطل بعد الظهر، لكن الرياح لم تحمل حتى الآن عبر الأرض المتجمدة سوى بعض أوراق الشجر الميتة وكيس بلاستيكي ممزق.

فكر البروفيسور: الشتاء يجلب الوضوح. استند إلى إطار النوافذ الفرنسية التي تطل على أراضي العيادة. أو ما تبقى منها بعد كل تلك السنين. العشب الذي كان يومًا منمقًا أصبح يشبه الآن ملعب كرة قدم موحلًا.

البرد يجرد شجرة المعرفة من أوراقها ويكشف ما يكمن تحتها.

وضع يده على الزجاج، متأملًا الأشجار القليلة المتبقية. باستثناء شجرة صفصاف واحدة عصية على الموت، ماتت جميعها أو نخرها الفطر. كانت عاصفة قد قصفت شجرة بتولا نصفين، لكن لم يكلف أحد نفسه عناء تحويل جذعها لحطب. فكر: ليس الأمر مفاجئًا. المدفأة لم تُستخدم منذ سنوات.

ليس منذ...

— "بروفيسور؟"

جفل واستدار.

— "نعم؟"

للحظة نسي تمامًا وجود الطالبين.

أغلق باتريك هايدن مجلده ووقف. أشار أولًا إلى أرفف الكتب الفارغة مقابل الجدار المتسخ، ثم إلى الكراسي المكدسة أمام المدفأة والمغطاة بأغطية غبار ثقيلة. وأخيرًا، نقر على سطح الطاولة بمفاصل أصابعه.

— "هذه هي المكتبة، أليس كذلك؟"

— "عفوًا؟"

— "كاسبر، شاديك، «مُحطّم الأرواح» — كانوا هنا في هذه الغرفة. هنا حدث كل شيء!"

بدت نبرته اتهامًا أكثر منها سؤالًا أو تقريرًا.

قالت ليديا بحدة قبل أن يتمكن البروفيسور من الرد:

— "عبقري! المكان كان مبنى على تلة تويفلسبرج، كان ذلك واضحًا من الصفحات الأولى."

— "حقًا؟"

أخرج باتريك ورقة مطوية بإهمال من جيبه الخلفي.

— "لم يُذكر شيء عن ذلك في دعوة المشاركة في هذه التجربة."

لوّح بالورقة في الهواء. كانت مطبوعة على الوجهين، والوجه الأمامي تشغله خريطة بلونين.

— "كل ما أعطتني إياه الجامعة هو هذه الاتجاهات للوصول إلى هنا. لا أسماء شوارع، ولا تويفلسبرج، ولا أذكر رؤية لافتة في أسفل الطريق الخاص."

التقط البروفيسور نظارة قراءته. كان قد عاد لمكانه على رأس الطاولة.

– "أنت لست من برلين؟"

قال باتريك باقتضاب:

– "لا."

– "إذن لم يكن بإمكانك المعرفة. الطريق الخاص لا يظهر، وتلة تويفلسبرج غير معلمة بالاسم على كل الخرائط."

صفق باتريك بيديه وتناول حقيبة ظهره التي وضعها على الكرسي بجانبه.

– "رائع. أولًا علينا قراءة هذا النص الغامض، الذي كتبه مجنون بوضوح، ثم يتضح أننا نجلس على نفس الكراسي التي جلس عليها هؤلاء الناس بانتظار جلادهم."

سألت ليديا بتوتر:

– "ماذا تفعل؟"

بدت أكثر توترًا بكثير مما كانت عليه في بداية التجربة.

– "سأرحل."

– "ماذا؟"

– "سأخرج لأدخن."

أوضح باتريك. حشر الحقيبة بين ركبتيه ليحرر يديه وبدأ في ارتداء سترته المبطنة زرقاء اللون.

– "وعندما أعود، أريد أن أسمع ما تدور حوله هذه التجربة حقًا."

قال البروفيسور بود ولكن بحزم:

– "أخشى أن ذلك لن يكون ممكنًا."

فرك عينيه المتعبتين دون خلع نظارته.

سأل باتريك بحدة:

– "ولمَ لا؟ هل التدخين ممنوع في الأراضي الخارجية أيضًا؟"

ابتسم البروفيسور بتسامح:

– "لا، لكن أخشى أنك لا تستطيع مغادرة الغرفة في هذه المرحلة من التجربة."

سألت ليديا وباتريك في وقت واحد تقريبًا:

– "لماذا؟"

– "ليس قبل أن تقرأوا حتى النهاية."

– "لا يمكنك احتجازنا هنا رغماً عنا، بالتأكيد؟"

– "حسنًا، ربما غفلتما عن هذا، لكنكما وافقتما على هذا الشرط حين وقعتما استمارة الموافقة. وبصرف النظر عن ذلك، ستكون التجربة أبعد ما تكون عن الانتهاء حتى لو عدتما للمنزل الآن. لا يمكنكما إنهاؤها من جانب واحد."

أعاد باتريك حقيبته للكرسي:

– "لماذا؟ لا أفهم."

ابتسم البروفيسور قائلًا:

– "إنه جزء من التجربة. لكي تنجح، يجب ألا تأخذوا استراحات طويلة – عليكم القراءة حتى النهاية دون توقف. أنصحكم بشدة بفعل ذلك، ولكن من الآن فصاعدًا بتركيز أكبر قليلاً."

تساءل باتريك، وإن كان بعدوانية أقل من ذي قبل:

— "كيف يمكنك معرفة مدى تركيزي؟ كنتَ تحدق من النافذة طوال الوقت."

بدا وكأنه قد أصيب بعدوى عدم اليقين من ليديا.

— "أعرف من رد فعلك. ما كنت لترغب في أخذ استراحة الآن لو كنت تركز بشدة منذ البداية. الحقيقة..." — التقط النسخة الأصلية لسجل «مُحطّم الأرواح» — "... الحقيقة موجودة في كل جملة في كل صفحة، لكنكما مررتما عليها مرور الكرام."

— "هذا هراء."

— "اكتشف الأمر بنفسك."

التقط البروفيسور زجاجة الماء التي وضعها في وسط الطاولة للاستخدام المشترك. سكب لنفسه كوبًا ومد الزجاجة لـ باتريك بنظرة تساؤل.

قالت ليديا:

— "حسنًا."

شدت الكم الفارغ لسترة صديقها.

— "لنكمل. تود أن تعرف كيف انتهى الأمر، أليس كذلك؟"

تردد باتريك، ممررًا أصابعه في شعره المصبوغ بالأسود. حاول فك قبضة ليديا، لكنها تشبثت به ونظرت عميقًا في عينيه. لم يتحدث أحد لعدة ثوانٍ.

زحف باتريك نحو الباب بحذائه ذي الأربطة المتدلية. على بعد مترين منه توقف. ثم، ملتقطًا زجاجة الماء دون كلمة، عاد لمكانه وجلس.

– "ليكن ما يكون. ساعة أو ساعتان لن تضرا."

أخشى أن الناس في هذه المكتبة كان لديهم رأي مختلف قليلًا، فكر البروفيسور وعيناه تغيمان. نظر للأسفل ليخفي مدى تأثره بالموقف برمته، وكم أراد جزء منه أن يبقي باتريك سترته عليه ويغادر المبنى، ويفضل يدًا بيد مع صديقته. لكنه تمالك نفسه وأخذ نفسًا عميقًا.

قال بصوت أجش:

– "حسنًا. بعد هذه الاستراحة غير المقررة، أرجو منكما متابعة التجربة دون مقاطعة أخرى."

نظف حلقه، لكن بدا وكأنه يضيق أكثر وهو يراقب أولًا ليديا ثم صديقها يفتحان مجلديهما ويقلبان الصفحة. إلى الصفحة 124 من سجل المريض.

قبل حلول «الخوف» بساعة واحدة وسبع وخمسين دقيقة

1:41 صباحًا

من سجل المريض رقم VL/131071، الصفحة 124 وما يليها.

قال باخمان:

– "إنه خطئي بالكامل."

تحدث بوضوح مفاجئ وتوقفت دموعه بحلول الوقت الذي نهض فيه كاسبر ونفض الغبار عن بنطاله.

سأل شاديك، الذي كان يقف بجوار طاولة الطعام حاملًا شيئًا يشبه للوهلة الأولى حقيبة صالة رياضية:

– "ماذا حدث بحق الجحيم؟"

وضع الحارس نظارة قراءته جانبًا وأطلق سعالًا جافًا.

– "الأمر هو أنها أرادت... حسنًا، أرادت زيارة المخزن بسرعة، هذا كل شيء."

حدق شاديك وكاسبر في بعضهما البعض. لم يكن باخمان بحاجة لذكر اسمها، كان من الواضح من يعني. لم يسمعوا صرخات الطاهية فحسب، بل كان الكرسي الذي كانت تجلس عليه سيبيل باتزوالك فارغًا.

سأل كاسبر:

– "لكن ماذا أرادت من هناك بحق السماء؟"

قال شاديك مفرغًا محتويات الحقيبة على سطح الطاولة المصقول:

— "هذا. هذا ما خاطرت بحياتها لأجله."

تدحرجت علبة رافيولي منبعجة مع عدة علب أخرى. راقبها كاسبر بذهول وهي تتدحرج عبر الطاولة.

سأل بذهول:

— "ومن أين حصلتَ على كل هذا؟"

تأوه شاديك وضرب الطاولة بكفه المفتوحة.

— "تبًا، هذا ليس المهم الآن. حطم «مُحطّم الأرواح» المصباح وسحبها خارج الغرفة. لا بد أنها تشبثت بالحقيبة في سكرات موتها — كيف لي أن أعرف؟ أمسكتُ بالمجنون من كاحليه، لكنهما كانا..." — عرض كفيه الملطخين بالدماء — "... زلقين جدًا ولم أستطع التمسك به. ثم هبطت هذه الحقيبة على رأسي مباشرة. ظننتها مليئة بالأسلحة أو شيئًا من هذا القبيل، فأحضرتها معي. من يهتم على أية حال؟ ما يهم أكثر هو كيف تجولت تلك المرأة وحدها هناك."

خطا شاديك خطوة نحو باخمان وفرد كتفيه بتهديد كمهاجم على وشك ضرب الكرة برأسه.

— "هيه، يا باخمان، أنا أكلمك."

ظهرت بقعة رطبة عند منطقة الحوض في بنطال المسعف الأبيض. للحظة تساءل كاسبر إن كان قد بال على نفسه من الخوف. ثم تذكر أكياس المحاليل التي علقها شاديك بحزامه قبل مغادرة المستوصف

والهرولة عائدين للمكتبة. لا بد أن أحدها انفجر أثناء زحفه على الأرض.

قال باخمان بتردد ناظرًا لكرسي صوفيا المتحرك:

— "بدأت تحاول الكلام مرة أخرى أثناء غيابكما. «سوب»، أو شيئًا من هذا القبيل — تعرفون قصدي. ظنت سيبيل أنها قد تكون جائعة."

أومأ كاسبر. كان من الوارد جدًا أن مركز الكلام في دماغ صوفيا قد تضرر. شعر أنه يغفل شيئًا مهمًا لكنه قمع الفكرة حين تابع باخمان حديثه.

— "كنتُ ضد الفكرة في البداية بالطبع، لكن المخزن يقع في الجهة المقابلة مباشرة وقالت سيبيل إن هناك حقيبة مؤن في المتناول، فسمحتُ لها بإقناعي."

رمى شاديك ذراعيه في الهواء بمسرحية:

— "لا أصدق! دفعتَ بامرأة عزلاء لأحضان «مُحطّم الأرواح» من أجل بعض الطعام المعلب؟"

بدأ كاسبر يقول:

— "هون عليك..."

لكن باخمان قاطعه.

— "لا، ليست عزلاء. أعطيتها المسدس تحسبًا."

— "ماذا؟!"

استشاط كاسبر غضبًا الآن. أمسك برأسه.

صاح شاديك، وبدا وكأنه قد ينقض على باخمان في أية لحظة:

— "يا يسوع! أنت أكثر جنونًا من المرضى هنا!"

كانت العروق في صدغه تنبض بجنون.

– "ذلك المجنون بالخارج لديه الآن سلاح آخر!"

– "إنه مجرد مسدس غاز."

صاح كاسبر:

– "كفى!"

ثم تابع بصوت أهدأ:

– "رغم سوء الوضع، لا يمكننا إعادة عقارب الساعة للوراء."

نظر في عيني شاديك.

– "علاوة على ذلك، تركنا المستوصف مفتوحًا. أنا واثق أن هناك ما يكفي من الأشياء بداخله ليلحق الأذى بها."

قال باخمان بصوت خافت:

– "صحيح. حتى أن هناك بندقية تخدير بالداخل."

ركل شاديك رف الصحف مبعثرًا عدة صحف شعبية عبر أرضية الباركيه المتعرجة.

– "تبًا، الآن تخبرنا!"

– "والآن؟"

قال كاسبر:

– "الآن يجب أن نفعل ما جئنا لأجله في المقام الأول: الاعتناء بـ صوفيا."

أشار لـ شاديك بفك كيس المحلول السليم عن حزامه، ففعل ذلك بضيق.

– "خذ، ستحتاج هذه أيضًا."

أخرج شاديك إبرة ومحقنة من جيبه ورماها على الطاولة.

التقطها كاسبر وتوجه للمدفأة، حيث كانت ياسمين تجلس القرفصاء أمام صوفيا، تمسد يدها. وقع نظره على شرائط اللاصق المستخدمة لتثبيت سلسلة أضواء ملونة على الرف. نزع شريطين منها وطلب من ياسمين إدارة الكرسي المتحرك بعيدًا عن النار. ثم، وببعض الصعوبة، شمر كم صوفيا. بدت غافلة تمامًا عما يحدث.

قالت ياسمين بينما كان ينقر على باطن ذراع صوفيا:

– "يجب أن نساعد سيبيل. ربما يمكننا تحريرها؟"

قال شاديك خلفهم:

– "أخشى أن الأوان قد فات."

بدا صوته ألطف بدرجات، واستطاع كاسبر سماع الـ «يا يزي» غير المنطوقة في نهاية جملته. وصل كاسبر الإبرة بالمحقنة، ودون تفكير تقريبًا، غرزها في وريد صوفيا الظاهر بوضوح.

لا بد أنني فعلتُ هذا من قبل حقًا...

تابع شاديك:

– "التقطتُ لمحة سريعة للمخزن قبل انطفاء الضوء. لم يبدُ الوضع جيدًا. أعتقد أنه كسر عنقها."

تراجعت ياسمين خطوة للوراء وهتفت برعب:

– "تعني أن سيبيل ماتت؟"

قال كاسبر دون رفع بصره:

– "لا، أشك في ذلك."

كان قد أزال المحقنة ووصل أنبوب المحلول. لم تظهر صوفيا أي رد فعل طوال هذا الإجراء.

– "لماذا يقتلها ثم يجرها بعيدًا؟ لماذا لم يتركها هي ولينوس وراسفيلد ملقين هناك وحسب؟"

طلب من ياسمين منديلاً، طواه عدة مرات، وثبته فوق الإبرة بشريطي اللاصق.

قال شاديك غاضبًا، منفجرًا مرة أخرى:

– "تبًا، كيف لي أن أعرف؟ ربما هو جامع جثث لعين."

– "لا، أعتقد أنه مقامر أكثر؛ لهذا يترك تلك الألغاز خلفه. ومن هنا جاء جهاز الإملاء أيضًا."

نظر كاسبر لأعلى.

– "إنه يقامر بنا، وصوفيا هي الرهان."

– "حسنًا، لنعطها له."

رفع شاديك يده.

– "هيه، أنا أمزح فقط."

كانت ابتسامته صادقة بشكل مفاجئ – حتى أنها حملت لمحة من الحزن. فاجأ كاسبر أيضًا بعرضه حمل كيس المحلول الذي بدأت قطرات المحلول الملحي الأولى تتدحرج منه إلى مجرى دم صوفيا ككرات زجاجية، واحدة تلو الأخرى.

– "شكرًا."

ناوله كاسبر كيس المحلول ووقف عند رأس الطاولة.

– "حسنًا، سألخص الأمر. لا نعرف دوافع «مُحطّم الأرواح». لا نعرف كيف يُدخل ضحاياه في غيبوبة أو لماذا اختار صوفيا. أسئلة أخرى يثيرها راسفيلد، لينوس، باتزوالك – وحتى مستر إد. أين أخذهم؟ هل هم أموات؟ هل ما زالوا أحياء؟"

أطلق باخمان تنهيدة مسموعة، لكن كاسبر تجاهل المقاطعة.

– "لا نملك إجابات لأي من هذه الأسئلة، لكن لا يجب أن نخاطر بحياتنا مرة أخرى للبحث عنهم. من الآن فصاعدًا يجب أن نبقى معًا ونكرس الوقت لمساعدة الدكتورة دورن."

بينما كان يتحدث، شعر وكأنه طُعن في صدره. ثم أدرك، بوضوح مرعب، أن هذا الشعور نابع من فكرة واحدة: ماذا لو كان «مُحطّم الأرواح» يلاحقه هو، لا صوفيا؟ ماذا لو أراد منعها من كشف ما اكتشفته عنه وعن ابنته؟

تابع محاولًا عدم إظهار شيء:

– "يجب علينا جميعًا مساعدة الدكتورة دورن للنجاة في الساعات القليلة القادمة، حتى تصل المساعدة. إنها أيضًا مفتاح حريتنا. هي تعرف الرمز."

مفتاح هويتي.

– "وهي تحاول إخبارنا بشيء ما."

عليّ التأكد أولًا...

– "ربما ننجح في سبر غور سرها قبل..."

توقف فجأة في منتصف الجملة ونظر لقدميه الحافيتين، متسائلًا لماذا تصبب عرقًا فجأة رغم أنه لا يرتدي سوى بنطال بيجامة رقيق

وقميص. تحسس جبينه ليرى إن كان محمومًا، مدركًا في الوقت نفسه أن سبب هبته الساخنة كلمة واحدة: كلمة سمعها قبل دقائق قليلة لكنه فشل في فهمها حتى الآن.

سمع باخمان يسأل:

– "هل أنت بخير؟"

– "أنا، إيه... من فضلك هل يمكنك قول ذلك مرة أخرى؟"

نظر من باخمان إلى شاديك ثم إلى رف الكتب خلف كرسي صوفيا المتحرك.

– "سألتُ إن كنت بخير."

– "لا، لا، لم أعنِ ذلك. ماذا قالت الدكتورة دورن أثناء غيابنا؟"

– "نفس الشيء كالمعتاد. كلمة واحدة فقط، إن كانت كلمة أصلًا."

لا. لم تكن نفس الشيء.

– "أرجوك قلها مرة أخرى، رغم ذلك. أرجوك."

– "«سوب» شيئًا ما، ولكن ماذا...؟"

– "يا إلهي."

في تلك اللحظة لم يعرف كاسبر من يخيفه أكثر، «مُحطّم الأرواح» أم نفسه. لقد أدرك فجأة ما كانت صوفيا تحاول إخبارهم به طوال الوقت.

1:49 صباحًا

صرّت درجات سلم المكتبة بصوت عالٍ تحت وزن كاسبر غير المعتاد. من غير المرجح أنها استُخدمت في السنوات الأخيرة لأن

الأرفف العليا كانت تحوي كتبًا لأغراض الزينة فقط. لم يكن كاسبر ليفكر أبدًا في البحث فيها عن مراجع طبية لولا أن باخمان أخبره أن البروفيسور راسفيلد يحتفظ ببعض مجلداته المهملة هناك.

سأل شاديك:

– "ما الذي تفعله الآن؟"

واقفًا بجانب ياسمين، كان يحاول حشر ملقط نار في مسند رأس الكرسي المتحرك لاستخدامه كحامل للمحلول.

أجاب كاسبر دون الالتفات:

– "لست متأكدًا."

سحب المجلد ما قبل الأخير من قاموس طبي قديم على الرف الأعلى وقلب صفحاته لحرف السين (S). وجد المدخل الذي يبحث عنه في ثوانٍ.

– "إذن هذا هو الأمر."

– "ماذا؟"

– "الدكتورة دورن طبيبة نفسية. إنها تعرف تشخيص حالتها."

– "والذي هو؟"

نظر باخمان إليه بتساؤل وتوقف شاديك عن العمل على حامله المرتجل.

استدار كاسبر جانبيًا على السلم، ساندًا المجلد المفتوح بذراع واحدة. قرأ بصوت عالٍ:

— "«شلل النوم». يظل المصابون في حالة متوسطة بين النوم واليقظة لا يمكن إيقاظهم منها إلا بمحفزات قوية، وغالبًا سلبية، مثل الألم، الهز العنيف، الصراخ، إلخ."

رفع رأسه واقتبس الجملة الأخيرة من المدخل دون نظر:

— "«يُعرف هذا الاضطراب أيضًا باسم (Sopor)، وهي الكلمة اللاتينية لـ...»" — تردد — "... للنوم الشبيه بالموت."

قال باخمان بذهول:

— "نوم شبيه بالموت؟ هل يعني ذلك أن علينا ببساطة إيقاظها؟"

ضحك شاديك باستهزاء، لكن كاسبر أومأ. ثم، مائلًا بشكل خطير لليمين، أخذ كتابًا آخر من الرف. كان مجلدًا ضخمًا، وعلى غلافه كلمات «أسس علم النفس العصبي البشري. الطبعة الخامسة». كان أكبر وأثقل من أن يفتحه على السلم، فنزل ووضعه على الطاولة أمام كومة الطعام المعلب. بعد مراجعة الفهرس فتحه على الصفحة 720 ونقر على الفقرة الثانية:

— "«شلل النوم هو نوبة من الشلل في الانتقال بين اليقظة والنوم. فترة الشلل عادة ما تكون قصيرة ولكن يمكن أن تستمر حتى عشرين دقيقة. اختبر نصف البشر شلل النوم، إذا كانت الدراسات المدرسية مؤشرًا حقيقيًا لمدى تكراره.»"

قالت ياسمين بحماس:

— "لقد مررتُ به بنفسي. إنه مريع حقًا. مرة حلمتُ بوجود رجل في غرفتي. كنت أعرف أنه سيختفي بمجرد استيقاظي لكنني لم أستطع فتح عينيّ ببساطة. لم أستطع التحرك واضطررت للصراخ لأوقظ نفسي."

أومأ كاسبر:

— "إذن حررتِ نفسكِ من شلل النوم."

قال شاديك ناظرًا لـ صوفيا:

— "كفاكم هراءً جميعًا!"

لم ينجح بعد في تثبيت المحلول بملقط النار، فدفع الكرسي المتحرك للطاولة ودس الكيس في يد ياسمين.

— "عشرون دقيقة! مريضتنا تجاوزت ذلك الحد الزمني منذ فترة طويلة."

قال كاسبر:

— "أنت محق. ولهذا بتنا نعرف الآن ما يفعله «مُحطّم الأرواح» بضحاياه."

— "حقًا؟"

— "يضعهم في نوم شبيه بالموت. لا فكرة لدي كيف يفعل ذلك، لكن لا بد أنه اكتشف طريقة نفسية لإبقائهم بشكل دائم في مرحلة الشلل بين الحلم واليقظة. صوفيا في دورة مروعة لا تنتهي. هذا ما كانت تحاول إخبارنا به طوال الوقت."

قطب شاديك جبينه وبدا متشككًا. مرر أصابعه في شعره المثبت بالجل، ثم ملسه وطقطق بلسانه بازدراء.

— "حسنًا يا شارلوك هولمز، أخبرني شيئًا آخر إذن."

استعد كاسبر للسؤال الذي لم يملك إجابة له. ليس بعد...

– "كيف تعرف كل هذا؟ كيف تجيد الإسعافات الأولية هكذا؟ كيف أعطيت للتو حقنة وريدية وتستطيع الاقتباس عن ظهر قلب من كتب الطب النفسي؟"

– "لا فكرة لدي."

الآن جاء دور كاسبر ليرفع يديه مستسلمًا.

– "ربما أنا طبيب حقًا. ربما صيدلي أو عالم نفس. قد نكون في نفس مجال العمل، قلت ذلك بنفسك. من ناحية أخرى، ربما انتبهت جيدًا في دورة إسعافات أولية. أتمنى لو كنت أعرف."

– "أوه، بالتأكيد، اختبأ خلف فقدان ذاكرتك. أنا لا أصدق ذلك."

التفت شاديك لـ باخمان.

– "متى تم إدخاله؟"

حك الحارس سوالفه بتفكير:

– "منذ حوالي عشرة أيام، أعتقد."

– "ومتى توقفت سلسلة جرائم «مُحطّم الأرواح» بالضبط؟"

صاح كاسبر بغضب:

– "ما الذي تلمح إليه؟"

أغلق الكتاب بقوة وقفز عن الطاولة.

– "أنت من أحضر ذلك المجنون إلى هنا! أنت من تأكد من أننا لا نستطيع طلب المساعدة لأنك حطمت سيارة إسعافك في كابينة الهاتف تلك!"

أكد كاسبر على كل «أنت» بحركة يد غاضبة كحكم يعد على ملاكم، لكن هجومه اللفظي بدا وكأنه يرتد عن شاديك. لم يرمش حتى،

لكن باخمان رأى من الحكمة الفصل بين الديكين المتصارعين ووضع نفسه بينهما، لاهثًا.

— "هيه، هيه، هيه، هذا لن يوصلنا لشيء. يجب أن نبقى معًا. ونثق ببعضنا."

نثق؟ لم يستطع كاسبر منع نفسه من تذكر كيف ظهر باخمان فجأة من خلف مركبة الثلج حين أراه لينوس أن خرطوم الوقود قد عُبث به.

فكر: لا أستطيع الثقة بأحد هنا. لا أعرف أحدًا هنا. ولا حتى نفسي.

عاد لمقعده على الطاولة، ضاغطًا ركبتيه المرتجفتين بكلتا يديه وحدق في المجلة الإخبارية التي تركها باخمان مفتوحة.

سبحت الحروف أمام عينيه بينما استمر شاديك وباخمان في الجدال خلفه، لكنه لم يرد السماع أو الكلام أو القراءة. شعر بتعب لا نهائي فجأة. دماغه بحاجة ماسة لخفض السرعة — أو يفضل فترة قصيرة في وضع الحياد قبل إعادة تعشيقه والمغامرة بالعودة للمعركة.

أجبر نفسه على التفكير في لا شيء، وفي البداية بدا أن الأمر ينجح فعلًا. لكنه ارتكب خطأ إغلاق عينيه، ولأنه أمضى وقتًا طويلًا يحدق في صورة الضحية الثانية بالمجلة، المعلمة، استمرت صورتها بالتوهج على شبكيته وكانت راحته قصيرة الأجل. هذه المرة سمع صرير المعدن على المعدن حتى قبل أن يملأ دخان القاطرة اللاذع أنفه — حتى قبل أن يفتح عينيه ويصل قطار الذاكرة.

– "لطالما كانت فتاة هادئة جدًا. هادئة أكثر من اللازم. كنت أشعر بالقلق لأنه لم يكن لدي ما يدعو للقلق، إذا فهمت ما أعنيه."

– "نعم، بالطبع."

حدق في الحلقة الصدئة التي خلفها الشاي في كوبه الفارغ، ورفض عرضًا بملئه مجددًا.

– "تفضل، ألقِ نظرة."

فتحت المرأة مجلدًا مغلفًا بالبلاستيك. لا بد أنها أخرجته خصيصًا لزائرها وتركته في متناول اليد على طاولة القهوة. كانت هناك حتى قصاصة ورق صغيرة موضوعة بين الصفحات.

– "هل ترى ما أعنيه؟ كلهم يضحكون، لكنها لا تنظر حتى إلى الكاميرا."

أدارت الكتاب السنوي لتتيح له رؤية أوضح، لكنه لم يكن بحاجة لذلك. كان يعرف تلك الفتاة ذات الشعر الأشقر المجعد وتقويم الأسنان. كان يحتفظ دائمًا بصورة لها في محفظته. صورة جواز سفر، لكنها لم تكن تبتسم فيها هي أيضًا.

أغمض عينيه. رؤية ابنته آلمته، فقد كان يفتقدها بشدة.

– "هل كل شيء على ما يرام؟" سألت، وشفتاها ترتعشان بارتياب. لم يُجب. وعندما نظر مجددًا إلى الصورة الجماعية في الكتاب السنوي، رأى أن المرأة كانت فيها أيضًا. كانت تقف عند أقصى حافة المجموعة

مرتدية بنطال جينز ضيقًا وحذاءً أسود يصل للركبة. كانت هناك نجمة صغيرة تطفو بجانب رأسها. وجد توأمها في أسفل الصفحة وقرأ النص المكتوب بخط صغير في الحاشية:

كاتيا أديسي، معلمة الفصل 5 ب.

— "هل هناك خطب ما؟"

— "لا، الأمر فقط أن..."

تحسس جيب بنطاله بحثًا عن منديل، فعثر على تذكرة القطار المجعدة التي اشتراها في هامبورغ ذلك اليوم. كان يتوق لطرح كل الأسئلة التي تؤرقه على المعلمة: *متى لاحظتِ هذا لأول مرة؟ كم عدد هذه الصور المقلقة التي رسمتها في حصة الفن؟ هل هناك أي مؤشرات أخرى؟*

قالت كاتيا أديسي وهي تقف:

— "أعتقد أنه من الأفضل أن تذهب الآن. لقد قلت بالفعل أكثر مما ينبغي. أنا لا أتهم أحدًا، هل تفهم؟ ربما أنا فقط أتوهم الأشياء." نظرت إليه نظرة مشفقة تقريبًا، ثم هزت كتفيها. "أنا آسفة."

وجد أنه يفتقر للقوة لطرح ولو سؤال واحد من أسئلته. رفض لسانه التحرك.

— "هل تفهم؟"

تلاشت ابتسامتها.

— "مرحبًا؟ هل من أحد في المنزل؟"

تشوهت ملامح المعلمة المنتظمة، وانتفض كاسبر — بتقزز تقريبًا — حين تغير صوتها أيضًا.

1:58 صباحًا

– "مرحبًا، أنا أتحدث إليك أيها المجنون!"

فتح كاسبر عينيه وقُذف فجأة عائدًا إلى الواقع.

واقع كان فيه شاديك يقف أمامه بوضعية المتحدي.

سخر المسعف:

– "من كنت هذه المرة؟ يوليوس قيصر؟ أم كنت تتذكر أيامك كنجم سينمائي؟"

تدخلت ياسمين بشكل غير متوقع في صف كاسبر قبل أن يتمكن من الرد:

– "دعه وشأنه يا توم! كاسبر لم يكن يمثل – كان في عالم آخر. إنه مريض!"

ابتعدت عن شاديك وهي تعبث بتوتر بالخاتم في إبهامها. ثم، متذكرة واجباتها كممرضة، دفعت كرسي صوفيا بعناية لتعيدها أمام النار.

تابعها كاسبر بنظره بينما كانت نظرات شاديك الغاضبة تثقب ظهره.

سأل بصوت خافت:

– "كيف حالها؟"

– "ليست بخير. يمكنك أن تسمع بنفسك."

كان ذلك صحيحًا. تساءل كم من الوقت ظل "غائبًا"، فصوفيا تدهورت بشدة في تلك الأثناء. أنفاسها التي كانت منتظمة ذات مرة باتت الآن تشبه لهاث كلب مصاب بالربو. كانت تسعل من حين لآخر، مما يتسبب في تأرجح كيس المحلول، الذي عُلق أخيرًا على ملقط النار،

بشكل خطير. يداها كانتا باردتين كالثلج ونبضها بدا أضعف بكثير مما ينبغي.

قال كاسبر:

– "النار تنطفئ."

نهض شاديك واقترب حاملًا حقيبة طعام الطباخ. أخرج زجاجة صغيرة من البراندي، فك غطاءها وسكب بعض محتوياتها قوية المفعول على الجمر، ثم ألقى جذع شجرة بتولا في اللهب.

قال وهو ينظر لقدمي كاسبر الحافيتين:

– "تفضل، قد تحتاج شيئًا ليدفئك أنت أيضًا." ومد الزجاجة التي كان لا يزال فيها قليل من البراندي يترجرج.

– "لا شكرًا، أنا لا أشرب."

فوجئ كاسبر بشعور من الاعتلال يتجذر فيه كبداية نوبة اكتئاب، وعزا ذلك لحالة صوفيا.

قال له شاديك ويداه لا تزالان في الحقيبة:

– "حسنًا، يجب أن تفعل. نوبة النهار لن تبدأ قبل خمس ساعات أخرى، وهذه الأشياء..." – وسحب زجاجة صغيرة أخرى – "... قد تجعل الانتظار محتملاً أكثر قليلًا."

خمس ساعات؟

تباً، هذا وقت طويل جدًا. كان الوقت ينساب ببطء الزجاج المصهور بينما كانت دوامة نوم الموت القاتلة تلتف بلا هوادة حول صوفيا. استغرقت فانيسا ستراسمان أسبوعين لتموت، لكن من يدري كم

تدهورت حالة صوفيا بالفعل، ومتى ستعبر الحدود التي يستحيل بعدها الهروب من سجن جسدها؟ حينها ستأخذ معرفتها بابنته معها إلى القبر.

– "مهلاً، ما هذا؟"

أسقط شاديك كيس الخيش على الأرض. وحين التفت إليه، رأى كاسبر لمحة خوف في عينيه لأول مرة. ترك يد صوفيا بتردد ونهض.

– "هل لي أن أراها؟"

ناول شاديك كاسبر قصاصة الورق الصغيرة.

قال المسعف بصوت خافت، لنفسه أكثر من الآخرين:

– "أعتقد أنها تحية أخرى من صديقنا مُحطّم الأرواح."

سأل باخمان بحماسة:

– "أين وجدتها؟"

– "هنا في الحقيبة مع الطعام. لا بد أن بروك وضعها هناك بعد أن تغلب على الطباخ."

أومأ كاسبر برأسه.

هذا منطقي. بروك يلتزم بأسلوبه المعتاد. ضحية مقابل لغز.

كانت أصابع كاسبر ترتجف. القصاصة كانت مطوية تمامًا مثل الأخريات. بدا اختيار مُحطّم الأرواح للورق سخرية متعمدة من ضحيته. كان من الواضح أنه دخل مكتب صوفيا وكتب الكلمات بسرعة على إحدى وصفاتها الطبية، وكان خط يده مؤشرًا مشؤومًا على حالته العقلية.

سأل باخمان بنفاد صبر:

– "ماذا تقول؟"

- "لا أريد أن أعرف."

أطبقت ياسمين بيديها على أذنيها واستدارت، لكن كاسبر فتح الورقة وقرأ النص الغامض بصوت عالٍ:

الملفات المنجزة هي نتاج
سنوات من الدراسة العلمية ممزوجة
بسنوات من الخبرة

دمدم شاديك بانزعاج:

- "هاه؟"

لكن صوت باخمان اهتز بالتوتر:

- "ماذا تعني؟"

نظر كاسبر للأعلى. أزاح رمشًا من زاوية عينه بظهر يده وأخذ نفسًا عميقًا.

قال بصدق وهو يخفض يده التي تحمل القصاصة:

- "ليس لدي أدنى فكرة. لكن هناك شخص يمكننا سؤاله."

2:07 صباحًا

المصعد، الذي تم تركيبه عندما حُول المبنى لاستخدامه الحالي، كان كبيرًا بما يكفي لاستيعاب سرير مستشفى، لذا كان هناك متسع كبير لهم جميعًا. أصر كاسبر أن يبقوا معًا. حتى في البرية، تتجمع الحيوانات في قطيع لا يقدم للمفترس هدفًا واضحًا - طالما لم يمتلك أي منها ميزة خاصة تميزه عن القطيع المجهول.

وبالنظر لقضبان الكرسي المتحرك الكرومية اللامعة، عرف كاسبر من

سيكون الضحية الأولى للمفترس ما لم يُبقوا صوفيا في وسطهم المحمي.

سأل كاسبر مشيرًا للرقم «ـ 2» بجانب الزر النحاسي السفلي:

— "ما هذا؟"

أجاب باخمان:

— "إنه مستوى القبو السفلي. مختبر راسفيلد. أظن أن بروك يختبئ هناك بالأسفل."

سأل كاسبر وهو يضغط على الرقم «4»:

— "لماذا؟"

— "للوصول للأسفل تمامًا تحتاج لمفتاح خاص، وراسفيلد وحده يملكه. أرأيت؟"

ضغط باخمان الزر السفلي بينما كانت الأبواب تغلق، لكن الضوء بجانبه ومض قليلًا ثم انطفأ.

تذمرت ياسمين بينما بدأ المصعد صعوده المهل:

— "كنت أفضل ألا نصعد أو ننزل. كان الأجدر بنا البقاء في المكتبة؛ أنت قلت ذلك بنفسك."

تنهد كاسبر:

— "لا، أنا قلت فقط ألا نفترق."

على الأقل لم يهاجمه الآخرون؛ باخمان لأنه شعر بالارتياح لعدم اضطراره لاتخاذ أي قرارات بنفسه بعد الكارثة مع سيبيل، وشاديك لأنه فضل البقاء متحركًا بدلاً من الانكماش بسلبية في فخ محتمل.

تابع كاسبر:

– "قد تكونين محقة يا ياسمين، لكن هل تعرفين القصيدة عن القرارات الخاطئة؟"

نفخت الممرضة غرتها عن عينيها وحدقت فيه بعدم فهم:

– "لا، هل يُفترض بي ذلك؟"

– "تقول القصيدة:

نعم؟

لا؟

نعم؟

لا؟

نعم؟

لا؟

نعم؟"

توقف للحظة، ثم أضاف:

– "فات الأوان."

حدقت ياسمين فيه بغضب وكأنه بصق عليها للتو.

– "ما أعنيه هو: إذا استمررنا في فرك أصابعنا في المكتبة ومشاهدة صوفيا تغرق أعمق وأعمق داخل نفسها، سنمنح مُحطّم الأرواح حرية التصرف في المستشفى. يمكنه تسليح نفسه، ولا أتحدث فقط عن المخدرات أو المشارط. أعني سوائل التنظيف القابلة للاشتعال، عبوات الفورمالديهايد والكحول الطبي – أشياء يمكنه استخدامها لصنع قنابل مولوتوف وخنقنا بالدخان. ماذا سنفعل حينها؟ باب بلوط سمكه

سنتيمترين لن ينفع كثيرًا. هذا المكان محكم الإغلاق – سنتخبط بلا هدف وسط الدخان ونختنق."

تجاوزوا الطابق الثالث.

– "قد يكون بروك يخطط لشيء مختلف تمامًا، لكن أخشى أنه، بخلافنا، يمتلك خطة من نوع ما. هذا يتركنا أمام خيارين فقط. إما أن نكتشف ما هي، أو نجد لأنفسنا مخبأً أكثر أمانًا من المكتبة."

"غرفة الماسح الضوئي"، اقترح باخمان قبل انطلاقهم مباشرة. كانت مجهزة بأبواب مقاومة للحريق ونظام تهوية خاص بها.

تنهدت ياسمين:

– "نعم، نعم، حسنًا. أنا أفهم، لكن رغم ذلك..."

توقفت عن اعتراضاتها بمجرد أن توقف المصعد باهتزاز وانزلقت الأبواب مفتوحة.

الطابق الرابع.

على عكس الوضع في الأسفل، كانت مستشعرات الحركة تعمل بامتياز هنا. أضاء نور الممر بمجرد أن غادر أول فرد من المجموعة المصعد.

قال كاسبر:

– "حسنًا، سنفعل ما اتفقنا عليه – ندخل بسرعة، نأخذها، وننزل فورًا."

قال شاديك، الذي تقدمهم:

– "تبًا."

سأل باخمان:

– "ما الأمر؟" لكنه رأى ذلك في اللحظة نفسها التي رآه فيها كاسبر.

الباب.

– "أوه لا..."

باب غرفة غريتا كامينسكي كان مفتوحًا على مصراعيه.

2:10 صباحًا

– "هل ماتت؟"

– "لا أعرف."

أضفى الضوء الخافت القادم من الممر، والمنعكس على الجدران البيضاء المائلة لغرفة العلية، مسحة شمعية على وجه الشخصية الساكنة. كانت العجوز مستلقية في منتصف سريرها كقديسة على ضريح. من زاويته، لم يستطع كاسبر تحديد ما إذا كان الجسد تحت الغطاء يتحرك أم لا.

خطا خطوة أخرى على أطراف أصابعه داخل الغرفة. تساءل: *لماذا نهمس؟* إذا كان مُحطّم الأرواح قد فعل شيئًا لها، فلا داعي للقلق بشأن انتهاك خصوصيتها.

هناك! هل رأى شيئًا؟ هل ارتعشت فتحتا أنفها الرقيقتان الشفافتان تقريبًا؟

همست ياسمين بصوت خافت جدًا لم يلتقط كاسبر الكلمة الأخيرة منه:

– "أعتقد أنها..."

لكنه لم يكن بحاجة لذلك – فقد رأى بنفسه. لم يكن هناك شك: غريتا كامينسكي فتحت عينيها.

سألت وهي تشعل مصباحها الجانبي:

– "ما الأمر؟"

كانت نبرتها هادئة تمامًا، وإذا كانت متفاجئة بوجود أفراد من الطاقم ومريض زميل واقفين فوق سريرها في منتصف الليل، فقد نجحت في إخفاء ذلك ببراعة فائقة.

قال كاسبر، متسائلًا عن أفضل طريقة لشرح الأحداث الجنونية التي نامت خلالها بوضوح حتى الآن:

– "حدث شيء ما. ارتدي بعض الملابس. يجب أن تأتي معنا فورًا."

– "من يقول؟"

– "سأشرح عندما..."

قاطعته:

– "هراء يا بني! أنا معجبة بك يا كاسبر. لقد أصلحت جهاز تلفازي، لكن هذا لا يعني أنني سأتسكع خلفك في الثانية صباحًا – وبالتأكيد ليس مع حشد من الغرباء." ورمقت شاديك بنظرة جليدية. "من أنت، إن جاز لي السؤال؟"

– "توم شاديك. أنا مسعف، وأحضرت ضحية حادث إلى هنا قبل بضع ساعات: مُحطّم الأرواح."

– "من؟"

تنحى شاديك جانبًا ودفعت ياسمين الكرسي المتحرك نحو السرير لتتمكن غريتا من رؤية الشكل المكوم فيه.

وضعت كلتا يديها على فمها:

– "يا إلهي! هذه ليست مزحة، أليس كذلك؟ هل هو جزء من علاج القلق الخاص بي؟"

– "أخشى أنه ليس كذلك."

سرد كاسبر كيف رأى جوناثان بروك يهرب من غرفته، وكيف أنزلوا المصاريع بعد العثور على صوفيا في الحمام، وكيف اختفى كل من راسفيلد، ولينوس، وسيبيل، والسيد إد. حتى أنه تمكن من تلخيص نظرية نوم الموت في بضع كلمات.

– "وتركتموني مستلقية وحدي هنا طوال الوقت؟"

بخفة مدهشة لشخص في سنها، قفزت غريتا من السرير ودست قدميها العظميتين في زوج من الأخفاف المزينة بكرات صوفية وردية.

قال كاسبر وهو يتساءل في الوقت ذاته عن سبب كون الباب مفتوحًا:

– "كنتِ محبوسة."

إذا تكبد مُحطّم الأرواح عناء فتحه، فلماذا أبقى على حياة العجوز؟ حصل على الإجابة أسرع مما توقع.

قالت ياسمين بخجل:

– "لا، لم تكن كذلك. أنا لم آتِ إلى هنا على الإطلاق."

هتف باخمان وكاسبر بصوت واحد:

– "ماذا؟"

– "كنت خائفة جدًا. مهلاً، لا داعي للنظر إلي هكذا – أنتم أفسدتم الأمور بأنفسكم!" قالت مشيرة بذقنها لباخمان. "كنت في غرفة لينوس،

وفجأة طرق شخص ما على المصراع." وأشارت للنافذة المظلمة. "من الخارج! كان هناك شخص بالخارج على الشرفة."

قال كاسبر:

– "الآن تخبريننا؟"

– "كدت أموت رعبًا. لم أجرؤ على الاطمئنان على غريتا بعد ذلك

– نزلت مباشرة للأسفل."

لا عجب أنها أرادت البقاء في المكتبة.

قال شاديك مهدئًا وهو يهب للدفاع عن ياسمينته:

– "اسمعوا، دعونا لا نضيع المزيد من الوقت في الجدال."

ارتدت غريتا ثوب نوم حريريًا ووقفت واضعة يديها على ركبتيها الممتلئين:

– "حسنًا، ظننتم أنني محبوسة بأمان هنا. في هذه الحالة، لماذا جئتم لإحضاري الآن؟"

ناولها كاسبر قصاصات الورق التي وُجدت في يد صوفيا وحقيبة سيبيل.

– "نحتاج مساعدتك."

حفت غريتا بقدميها نحو طاولتها الجانبية ووضعت طرفي نظارتها المقضومين فوق أذنيها.

– "«إنها الحقيقة، رغم أن الاسم كذبة»؟"

– "نعم، وُجدت هذه في يد صوفيا. نعتقد أن حل اللغز قد يوقظها من سباتها."

تنهدت غريتا وهي تنظر لصوفيا:

– "مسكينة." ثم هزت رأسها بأسف. "حسنًا، أنا خبيرة بالألغاز، لكنني سأتجاوز هذا اللغز."

صفق شاديك بيديه:

– "جيد، أضعنا عشرين دقيقة أخرى. لننزل للقبو قبل أن..."

قاطعته غريتا وهي تلوح بالقصاصة الثانية كمن يلوح بمنديل مودعًا:

– "لكن هذا اللغز قديم."

– "حقًا؟"

– "نعم. في الواقع أعتقد أنه من أحد كتبي القديمة للألغاز."

– "فماذا يعني؟"

الملفات المنجزة هي نتاج
سنوات من الدراسة العلمية ممزوجة
بسنوات من الخبرة

FINISHED FILES ARE THE RESULT OF YEARS)
OF SCIENTIFIC STUDY COMBINED WITH
(YEARS OF EXPERIENCE

كان كاسبر يحفظ النص عن ظهر قلب لكثرة ما قرأه.

– "المعنى لا علاقة له بحل اللغز."

سأل باخمان:

– "كيف ذلك؟"

– "عليك عدّ حروف الـ F."

— "حروف الـ F؟"

— "نعم، الحروف. كم حرف F يظهر في النص؟"

أخذ شاديك القصاصة من غريتا وقرأ الكلمات مرة أخرى.

FINISHED FILES ARE THE RESULT

OF YEARS OF SCIENTIFIC STUDY COMBINED

WITH YEARS OF EXPERIENCE

قال:

— "ثلاثة." ومرر الورقة لباخمان وكاسبر بالتناوب.

قال كاسبر:

— "أنا أعد أربعة."

رفضت ياسمين أخذها، فأعادها لغريتا.

— "هذا يضعك ضمن أعلى عشرة بالمائة من السكان. إنه اختبار ذكاء، كما ترى. أفراد القطيع العادي..." — ورمقت شاديك بنظرة محتقرة أخرى من فوق نظارتها — "... يرون ثلاثة. قلة من الناس، مثلك يا كاسبر، يرون أربعة. في الواقع، هناك ستة."

سخر شاديك:

— "ستة؟ سخافة! أين البقية؟"

أعادت الورقة، وهذه المرة بزهو المنتصر:

— "في كلمة «OF»، التي يغفلها الكثيرون ببساطة."

نظر كاسبر من فوق كتف شاديك، وبالفعل، لفتت حروف الـ F الستة انتباهه فجأة كمنارات.

FINISHED FILES ARE THE RESULT

OF YEARS OF SCIENTIFIC STUDY COMBINED WITH YEARS OF EXPERIENCE

تمتم شاديك:

– "اللعنة عليّ."

– "نعم، الدماغ البشري يفكر دائمًا بالصور، ولا يستطيع التفكير بصورة مناسبة لكلمة «OF» (من)، لذا نغفل الحرف رغم أنه أمام أعيننا مباشرة."

هز كاسبر رأسه، متسائلًا للحظة عما تتحدث عنه غريتا، اللغز أم ذكرياته.

– "ستة F؟"

بدا أن شاديك لا يزال غير مصدق. عدهم مرة أخرى.

– "حسنًا، لكن ماذا يخبرنا هذا؟"

أخرج باخمان حزمة مفاتيح كبيرة من ملابسه وقلب بين عدة بطاقات بلاستيكية مختلفة:

– "أنا رأيت ثلاثة فقط، لكن لمرة واحدة أعتقد أنني أعرف الإجابة."

رفع مفتاحًا ببطاقة خضراء وقال:

– "هذا مفتاح الغرفة F6."

قالت ياسمين بذهول:

– "الغرفة F6؟ لم أسمع بها قط. لدينا أربعة طوابق فقط هنا، فأين هي؟"

– "حسنًا، هذه نكتة داخلية صغيرة بيني وبين راسفيلد. ستة F ترمز لـ «ستة أقدام تحت الأرض» (Six Feet Under). صدقوا أو لا

تصدقوا، لديه حس دعابة: «ستة أقدام تحت الأرض» تعني في الأسفل بالقبو."

وعندما رأى أن الآخرين لم يستوعبوا الأمر بعد، أضاف باخمان:

– "إنه مفتاح معمل الباثولوجيا."

2:16 صباحًا

كانت الغرفة مرحبة كمسلخ مهجور. رغم أن راسفيلد وطلابه استخدموها فقط أحيانًا لأغراض التشريح، بدا لكاسبر وكأن مناشير العظام وملاعق الدماغ والمبعاد والمشارط قد نخرت جدرانها كما نخرت مواضيع دراستهم. *روح الغرفة الجريحة*... لا بد أنه قرأ هذه الكلمات ذات مرة في مجلة علمية شعبية، وعلقت العبارة بذاكرته: معرفة عديمة الجدوى عن الـ فنغ شوي مقابل معلومات مفيدة عن هويته الحقيقية.

شعر كاسبر بتمزق داخلي، كطفل في الروضة عاجز عن تسمية الشارع الذي يسكن فيه "ماما وبابا" لكنه قادر، لسبب ما، على إلقاء محاضرة مرتجلة عن الطاقة السلبية – عن أولئك الذين يعتقدون أن الأحداث الصادمة تترك بصمتها ليس فقط على نفسية الأحياء بل أيضًا على الجماد المحيط بهم. كبصمة غير مرئية للشر يستشعرها المرء فورًا في قسم طوارئ المستشفى أو في مسرح جريمة. بصمة يصفها الروحانيون بالهالة والواقعيون بالجو العام، والتي، حسب حساسية الرائي، يمكن أن تولد التوجس، أو القشعريرة، أو الخوف. بدا أن معظم

من في القبو يشعرون بالثلاثة معًا. حتى تنفس صوفيا تسارع، وأصبح متقطعًا تقريبًا، رغم أن تعبيرها الخاوي المتبلد لم يتغير.

همست ياسمين:

– "لا أود أن أرقد هنا حين أموت."

أوقفت الكرسي المتحرك بجانب حوض الغسيل عند رأس طاولة التشريح. في عتمة إضاءة الطوارئ، كان يمكن للمرء، بقليل من الخيال، أن يخلط بين الغرفة المستطيلة ومطبخ مستقبلي غريب الأطوار، بأرضيتها الحجرية الرمادية، وجدرانها المبلطة بالأبيض، وسطح العمل المركزي من الألومنيوم المصقول، لولا أن غطاء التهوية كان في الواقع صفًا من أضواء الهالوجين، والخزائن المبردة المطلية بالكروم كانت مخصصة لأشلاء الجثث لا للطعام.

أضاء باخمان أضواء السقف، مما أبرز الجو المشؤوم.

سأل شاديك:

– "حسنًا، عم نبحث؟"

– "دليل آخر."

كان كاسبر يفحص الأرضية بحثًا عن بقع دماء، لكن مُحطّم الأرواح لم يبدُ أنه ترك أي آثار كما فعل في غرفة الماسح الضوئي المجاورة.

سأل شاديك:

– "لماذا تحتاج مصحة مجانين خاصة لمشرحة كهذه؟"

حك باخمان رأسه الحليق بتفكير:

– "أعتقد أنها اللوائح. كل مستشفى يجب أن يكون مستعدًا لحالة وفاة

مريض – ليس أن ذلك حدث هنا من قبل."

حتى الآن، فكر كاسبر.

سخر شاديك وهو ينقر جبهته:

– "لكن ماذا عن خزائن التبريد التسع هذه؟ اللعنة، ليس لديكم هذا العدد من المرضى!"

قال باخمان:

– "راسفيلد متخصص في التشريح الافتراضي (Virtopsy)."

بدا مسرورًا لأن شاديك بوضوح لم يعرف المصطلح.

– "التشريح الافتراضي. لتقطيع جثة تحتاج إما لأمر محكمة أو موافقة الأقرباء. لكن الكثيرين لا يريدون تشويه أحبائهم، لذا أصبح من الشائع أكثر فأكثر تمرير الجثث عبر الأنبوب. المشكلة هي أن المسح الكامل قد يستغرق عدة ساعات – طوال الليل أحيانًا – وأجهزة الرنين المغناطيسي العادية ليست مبرمجة لتعمل كل هذه المدة. أضف لذلك الضوضاء. لهذا تحب المستشفيات إسناد مثل هذه الفحوصات لجهات خارجية. أدرك راسفيلد بسرعة أن التشريح الافتراضي يمكن أن يكون مصدر دخل جيد. أحيانًا تكون كل ثلاجاتنا مشغولة."

كلانغ!

انتفض كاسبر واستدار. كانت غريتا كامينسكي قد فتحت للتو إحدى خزائن التبريد في الجدار خلفه.

صرخ شاديك، الذي كان مفزوعًا بنفس القدر:

– "ما الذي تفعلينه بحق الجحيم؟"

– "ماذا يبدو لك يا شاب؟"

سحبت غريتا نقالة معدنية طويلة من الجدار.

– "يظن المرء أن هذه كاتدرائية بالطريقة التي تتهامسون بها. لا يمكن أن يكون احترامًا للموتى. الحقيقة هي أنكم خائفون فقط، لكن إذا ترك لنا مُحطّم الأرواح دليلاً آخر، فسيكون في أحد هذه الأشياء، أليس كذلك؟"

كلانغ! أعادت النقالة للجدار، أغلقت الباب وفتحت خزانة أخرى.

ضحك المسعف بجفاف:

– "ظننتك قلتِ إنك تتلقين علاجًا للقلق." التفت للآخرين ورفع حاجبه.

تدخل باخمان:

– "أود الحصول على بعض من تلك الحبوب لنفسي."

مثل ياسمين، ابتسم كاسبر رغمًا عنه. شعر بأنهم ينزلقون لحالة مزاجية حمقاء كالمعزين الذين يتبادلون النكات بعد جنازة، آملين أن تمكنهم البهجة المتكلفة من اجتياز وادي الدموع الذي يواجههم.

كلانغ!

– "لا شيء هناك أيضًا." أغلقت غريتا الباب الثالث من الأبواب التسعة.

انتفضوا جميعًا، هذه المرة لصوت جديد ومختلف قادم من الجدار المقابل. كان كاسبر أول من نفض عنه الجمود.

سأل مشيرًا للصندوق البلاستيكي المستطيل الملاصق للجدار النهائي للمعمل:

– "ما هذا؟"

ذكّره للوهلة الأولى بالمُجمّد (Chest Freezer).

قال باخمان:

– "مجرد صندوق ثلج آخر."

– "أرى ذلك. عنيت الضجيج."

شق طريقه متجاوزًا طاولة التشريح.

– "إنه سائل التبريد." حاول باخمان حقن ابتسامة مطمئنة في صوته. "يبدو كجزازة عشب تحتضر، أعلم، لكن هذا قديم جدًا. ظننت أنه مفصول. راسفيلد لم يعد يستخدمه."

– "حقًا؟" تبعه شاديك. "إذًا لماذا هو موصول بالكهرباء؟"

أمسك كاسبر الغطاء بكلتا يديه. انفتح بصوت كشخص يمط شفتيه وتدفق بخار جليدي فوق الحافة. وضع يده غريزيًا على فمه، لكن الأوان كان قد فات. الرائحة النفاذة كانت قد اتخذت طريقًا مختصرًا لدماغه. عبر أنفه.

سعل ودمعت عيناه، ولكن ليس بسبب الغازات الحلوة اللاذعة. المنظر الذي قابله كان لا يُحتمل.

قال شاديك من خلفه:

– "حسنًا؟"

اقترب المسعف خطوة، ممسكًا أنفه.

– "ما هذا؟" سأل، وبدا صوته مفزوعًا بقدر ما شعر كاسبر.

لم يكن المجمد يحتوي على إضاءة داخلية، فلم يستطع تمييز ما إذا كانت الجثة الخالية من الدماء لا تزال تحتفظ بكل أطرافها. كل ما

رآه بالتأكيد قبل أن يأتي ياسمين وباخمان خلفه أيضًا، هو أن شخصًا ما قد سلخ نصف جمجمة الكلب مفقوع العينين.

2:18 صباحًا

أنّت ياسمين:

– "السيد إد."

شعر كاسبر، الذي توصل لنفس النتيجة، بالخزي لأن رؤية المخلوق المشوه تركته غير متأثر تمامًا.

ربما هو مجرد كلب ضال. ربما ليس السيد إد على الإطلاق، فكر محاولًا تهدئة ضميره المذنب. *ربما أتفاعل ببرود لأنني كنت أتوقع شيئًا أسوأ بكثير.*

لا، ليس هذا.

سأل باخمان بتردد:

– "هل نخرجه من هناك؟"

الأمر غير منطقي.

لم تستطع ياسمين إبعاد عينيها عن بقايا الكلب:

– "مُحطّم الأرواح قطع قوائمه، أليس كذلك؟"

لم يبدُ أنها تكترث للرائحة المقززة أيضًا، لأنها انحنت أكثر فوق الصندوق. ولارتياحه غير المعلن، اضطر كاسبر لفسح المجال لها.

– "نعم، الجلد مسحوب فوق أذنه اليمنى وقوائمه مفقودة. يا إلهي، أي نوع من المنحرفين المرضى يفعل شيئًا كهذا؟"

قال باخمان:

– "راسفيلد."

ولرعب الممرضة، استخرج عظمًا مسطحًا من الصندوق.

– "تفضلي، انظري."

حدقت ياسمين وشاديك في الحمال بذهول.

– "هذا عظم ورك الكلب. راسفيلد نشره شخصيًا، لكن ليس في الأمر أي انحراف."

أومأ كاسبر. بدأ يفهم لماذا بقي غير متأثر. لماذا لم يحزن لموت السيد إد. كان ذلك لأن...

– "إنه ليس السيد إد إطلاقًا." قال باخمان. "راسفيلد يعمل أحيانًا هنا بالأسفل مع طلابه، كما أخبرتكم. كانت هذه قطعة للعرض."

ألقى العظم عائدًا للصندوق وأغلق الغطاء.

– "الكلب تعرض للدهس. طبيب بيطري زوّدنا به."

– "كيف أنت واثق هكذا؟"

– "لم تنظري بدقة كافية يا ياسمين. السيد إد كلب هجين، هذا لابرادور، والمادة التي تفوح رائحتها هي الفورمالين. الحيوان يطفو فيها، إنه خالٍ تمامًا من الدم – كل سوائل جسده استُبدلت. حتى لو كان مُحطّم الأرواح محنطًا، لم يكن ليتمكن من فعل كل ذلك في هذا الوقت."

– "لـ ـ لكن..." قالت ياسمين متلعثمة. "ماذا يحاول إخبارنا؟"

– "لا شيء. ألا تفهمين. إنه يريد أن..."

همست غريتا من الطرف الآخر للغرفة:

– "... يقتلنا."

لم يبدُ كصوتها إطلاقًا.

التفت الجميع لينظروا إليها. لم يسأل أحد أي أسئلة – لم يكن ذلك ضروريًا. أظهرت خزانة التبريد التاسعة، المفتوحة الآن، ما كانت تفعله العجوز بينما كانوا يضيعون الوقت على جيفة كلب.

سألت غريتا مشيرة للأسفل:

– "هل هو... أعني، هل هذا هو؟"

لم تعد تبدو غير هيابة. جبهتها كانت مجعدة بعمق وبشرتها اتخذت مسحة خضراء تحت إضاءة السقف التي لا ترحم. خشي كاسبر أن تتقيأ. ثم، وهو يخطو نحوها، عدّل رأيه: هي ستكون بخير غالبًا، لكنه لم يكن واثقًا بشأن نفسه. ابتلع ريقه ليبقي محتويات معدته الضئيلة التي كانت تحاول شق طريقها لأعلى. ثم نظر بدقة أكبر للرأس البارز من أدنى خزانة تبريد.

نعم، كان هو.

لم يكن راسفيلد رجلًا وسيمًا في حياته، لكن الموت حوله إلى مسخ.

2:20 صباحًا

بدا وكأنه لا يزال في خضم عملية الموت. وكأنه كان ينتظر فقط أن يفتحوا الخزانة ليشهدوا لحظاته الأخيرة. كان رأسه مائلًا للخلف كطفل يحاول متابعة طائرة تعبر السماء دون أن يستدير.

كان راسفيلد يصرخ. ليس بفمه، الذي تدلى منه لسان متورم بنفسجي،

بل بعينيه الميتتين الشاخصتين، اللتين لم تبرزا من محجريهما بهذا القدر من قبل. كان يصرخ بصمت، ومع ذلك بصوت عالٍ لدرجة أن كاسبر لم يستطع سماع الأصوات المضطربة حوله. حتى أنه وجد صعوبة في فهم أفكاره الخاصة.

خدان منتفخان، بشرة شمعية مزرقة، بقع داكنة على الحلق. *زرقة الموت* (*Post-mortem lividity*) تظهر عادة في الأماكن التي يترسب فيها الدم أسرع بعد الوفاة. ليس على الوجه بل على الظهر أو الأرداف، بعبارة أخرى، أجزاء الجسم التي يغطيها ثوب نوم راسفيلد، الذي لا بد أنه ارتداه في عجلة عندما سمع الجلبة القادمة من غرفة بروك.

بحرص، أغلق كاسبر جفني المدير الطبي. ليس احترامًا بل لأنه أراد غريزيًا التحقق من علامات *تخشب الموت* (*Rigor mortis*). *كيف أعرف هذا؟ كيف أعرف أن تلون ما بعد الموت يصبح مرئيًا بعد ثلاثين دقيقة، بينما علامات التخشب تستغرق عمومًا ما بين ساعة وساعتين لتظهر — في الجفون أولاً؟*

لم يستطع الإجابة عن تلك الأسئلة. أصبح واعيًا بشكل مؤلم لشيء واحد فقط في اللحظة التي ركلت فيها ياسمين خزانة الأدوات خلفه بغضب وشبك باخمان يديه خلف رأسه بذهول. جزء منه رحب بالمشهد المروع حوله. نعم، كان شاكرًا تقريبًا لأنه كان إلهاءً. ورغم فظاعته، ضمن له ألا يضطر للتعامل مع وحش أشد رعبًا بكثير: نفسه.

سأعود قريبًا يا حبيبتي، ثم سيكون كل شيء على ما يرام — سيعود كل شيء كما كان سابقًا. لا تقلقي يا عزيزتي، حسنًا؟ لقد ارتكبت خطأً لكنني سأخرجك من هناك، وبعد ذلك...

قرقرت معدته. تساءل إن كان ذلك غثيانًا حقًا، أم أن الأرواح الحيوية لذاته الحقيقية كانت تحاول بغضب إسماع صوتها.

قال باخمان بجانبه:

— "هل تسمح؟"

بدا وكأنه طرح السؤال أكثر من مرة بالفعل.

تنحى كاسبر جانبًا. حاول التركيز على ما يُقال حوله، لكن عبثًا. حدق في جثة راسفيلد، وأفكاره تزداد تشوشًا.

ربما أنا مجرد نذير، حصان طروادة محمل بشيء قاتل ينتظر اللحظة المناسبة لينفجر؟

بالنسبة لكاسبر، بدا السبب غير المفسر لفقدان الذاكرة الذي لا بد أنه قاده لبوابات هذه المصحة العقلية المحاصرة بالثلوج، وحقيقة أنه رأى وجه مُحطّم الأرواح عدة مرات في أحلامه، فجأة كمعاملين في معادلة تحوي ثلاثة مجاهيل — معادلة لم يستطع حلها لأن دماغه المصدوم استمر في تحويل أفكاره إلى سكة مهجورة تؤدي لابنته.

ماذا فعلت؟

قال شاديك بحسم:

— "لقد اختنق."

بدا لكاسبر وكأنه يسمع صوته عبر ستارة كثيفة. أومأ برأسه.

المسعف كان محقًا. غازات التحلل لا يمكن أن تكون المسؤولة عن

انتفاخ الوجه؛ كان راسفيلد في بيئة باردة جدًا. كل شيء يشير إلى أن البروفيسور كان فاقدًا للوعي عندما دسه مُحطّم الأرواح في المقصورة محكمة الإغلاق.

كان كاسبر على وشك التحقق من تخشب الموت مرة أخرى حين سمع صوت قرقرة خلفه. استدار ببطء شديد، مقتنعًا بأنهم وقعوا في فخ. بدا الصوت كالتنفس الرطب لمطاردهم، أثر الجرح الذي أحدثه بنفسه في حلقه. ولارتياحه، لم يكن جوناثان بروك قد تسلل خلفهم. مصدر الصوت كان صوفيا، التي كانت تتشنج في كرسيها المتحرك في تلك اللحظة.

أنت ياسمين وتراجعت خطوة للوراء:

– "أوه تباً."

سألت غريتا:

– "ما خطبها؟"

أظهرت حضور بديهة أكثر من أي شخص آخر بذهابها لصوفيا ومسح اللعاب من زاوية فمها بمنديل.

كذب كاسبر، كاتمًا عمدًا تعريف القاموس الطبي الذي كان، لسبب غير مفهوم، قادرًا على سرده حرفيًا:

– "ربما اختنقت فقط، هذا كل شيء."

حشرجة الموت. تعبير عامي يستخدمه طاقم المستشفى بشكل رئيسي لأصوات التنفس التي تسبق بدء عملية الاحتضار بمجرد أن يفقد المرضى السيطرة على منعكس البلع. تستمر في المتوسط لسبع وخمسين

ساعة وتكون عمومًا مزعجة ومقلقة للمرضى الآخرين لدرجة أن المحتضرين يُعزلون عادة في غرف منفصلة.

لا بد أنني طبيب، فكر، وليس للمرة الأولى، متسائلاً في الوقت ذاته لماذا وجد الفكرة بغيضة لدرجة أنها أصابته بالقشعريرة.

ما السيء في ذلك؟

سيفسر ذلك معرفته الطبية، وكذلك ذكراه لآلة التسجيل التي ربما أملى فيها تقرير مريض على مكتبه.

لهذا ومضت مصطلحات مثل «تصلب جامودي»، «غيبوبة يقظة» و«متلازمة المنحبس» في ذهنه كلما نظر لصوفيا.

إذًا ما السيء في ذلك؟

قال، غير متأكد مما إذا كان يقول ذلك فقط لقطع حبل أفكاره:

— "أعتقد أنها تحاول إخبارنا بشيء."

كان يقف بجانب الكرسي المتحرك مع غريتا الآن، بينما بقي شاديك وباخمان مع جثة راسفيلد. نظر إليهم. الحمال، وجبهته تتصبب عرقًا وعلى وجهه نظرة اشمئزاز، كان يرفع جثة المدير الطبي ليتمكن شاديك من البحث عن شيء تحتها.

قصاصة ورقة أخرى.

أشاح كاسبر بنظره، لكن المشهد الذي قابله لم يكن أقل إيلامًا. كانت صوفيا تفتح فمها وتغلقه كسمكة جانحة. نفخت شفتها المفترقة فقاعة صغيرة من اللعاب. ثم اندفع لسانها وفجر الغشاء الرقيق.

تمتمت وهي تدير عينيها:

— "سبات (Sopor)..."

همست العجوز:

– "يا لكِ من مسكينة. يا لكِ من مسكينة حقًا."

نادى كاسبر بتوتر دون أن يستدير:

– "هل وجدتم شيئًا؟"

– "تعني لغزًا؟"

– "نعم."

أجاب شاديك:

– "لا حظ. لم يكن يمسك شيئًا في يديه ولا يوجد شيء في جيوب بيجامته أو ثوب نومه. لا شيء ملقى فوق جثته أيضًا."

– "فهمت." تراجع كاسبر، وعيناه لا تزالان مثبتتين على شفتي صوفيا المفترقتين. كان لسانها يتحرك الآن بشكل لا إرادي جيئة وذهابًا بينهما. مشمئزًا من السؤال كما كان، اضطر لطرحه:

– "هل نظرتم في فمه أيضًا؟"

2:22 صباحًا

ترددوا في البداية، غير متأكدين من الذي يجب تكليفه بالمهمة البشعة. في النهاية كان كاسبر نفسه من أخرج زوجًا من القفازات الجراحية من علبتها وارتداها قبل أن يفتح الفكين المتيبسين بأصابعه الخدرة. سارت الأمور بسرعة كبيرة بعد ذلك. كانت قصاصة الورق المطوية مرتين ملقاة على اللسان كرقاقة قربان، ظاهرة بوضوح. عندما أزالها كاسبر، تبعها خيط رمادي من اللعاب.

وضعها على طاولة التشريح تحت وهج أضواء الهالوجين العاكسة القاسية. خطر له، وهو ينظر لأطراف أصابعه المغلفة باللاتكس الملطخة باللعاب، أنه لا يزال بلا حذاء. لم يشعر بالبرد، لغرابة الأمر، ربما لأن جسده بالكامل اتخذ حرارة البلاط تحت قدميه الحافيتين.

سألت غريتا، حاثة إياه بإيماءة:

– "حسنًا، ماذا فيها؟"

بدت تفترض أن من يجدها يحق له النظر أولًا.

فتح القصاصة الصغيرة، التي مزقها مُحطّم الأرواح من دفتر وصفات كما في السابق.

قرأ بصوت عالٍ:

– "«أنت تدخل من مدخل واحد وتخرج من ثلاثة»."

– "ماذا؟"

قرأها كاسبر مرة أخرى.

– "لم أفهم."

– "أنا لم أسمع به من قبل أيضًا..."

صفق شاديك بيديه وأشار للمخرج:

– "حسنًا، لنذهب، بسرعة!"

بدأت غريتا تقول:

– "لكنني أعرف..."

سألها شاديك بفظاظة:

– "تعرفين الإجابة؟"

ردت بتحدٍ، وذقنها بارز:

– "لا، ليس بعد، لكن قد أكتشفها إن لم تستمر في مقاطعتي. هل لي أن أتحدث؟"

– "أوه بالتأكيد، لدينا كل الوقت في العالم."

منحت المسعف الساخر ابتسامة مشفقة وتوجهت لكاسبر.

– "أعرف نوع هذا اللغز. بمجرد اكتشاف ذلك، الباقي ليس بتلك الصعوبة. هذا، على سبيل المثال، ما يسمونه لغزًا مجازيًا."

سأل شاديك بنفاد صبر:

– "بمعنى ماذا؟"

قالت دون النظر إليه:

– "بمعنى أن الكلمات في اللغز يمكن أن يكون لها عدة معانٍ. عليك فقط رصد المعاني المهمة."

نحنح باخمان وخطا خطوة نحوها.

– "لا أفهم تمامًا يا سيدة كامينسكي."

– "سأعطيك مثالاً إذًا. اللغز المجازي الوحيد الذي أعرفه هو هذا: «تشتريه، فقط لترميه فورًا»."

سمع كاسبر شاديك يتمتم "لا أصدق هذا!" في الخلفية بينما تابعت غريتا مقدمتها عن اللغز الحديث غير عابئة.

– "الفعل «يرمي» يمكن أن يعني أشياء كثيرة. أول ما يخطر بالبال، خاصة مع «يشتري»، هو القمامة. لكنك لن تصل للإجابة بهذه الطريقة."

سألت ياسمين:

— "لماذا لا؟ كيس القمامة يناسب الوصف، أليس كذلك؟"

— "لا، إطلاقًا. أنت تشتري كيس القمامة لتضع فيه شيئًا أولاً، لا لترميه فورًا."

قال كاسبر:

— "فهمت، إذًا ليس واقيًا ذكريًا أو منديلًا أيضًا. لكن ما الإجابة؟"

ابتسمت له غريتا بمكر.

— "«الرمي» هو المهم، وليس «التخلص». أي نوع من الأشياء مصمم فقط ليُرمى؟"

— "القرص الطائر (Frisbee)."

— "أصبت! أو كرة مطاطية. هناك عدة حلول ممكنة، أرأيت؟"

دفع شاديك كاسبر جانبًا وزرع نفسه أمام غريتا. كانا قريبين جدًا لدرجة أنها لم تستطع تجاهله بعد الآن.

— "من أخبرك بذلك اللغز؟"

— "ما شأنك أنت؟"

— "أنا لا أعرفك أيتها السيدة. أنت هنا فقط لأنه هو أراد ذلك."

رمش كاسبر لا إراديًا حين صوب شاديك سبابته نحوه. لمح مرة أخرى الندبة التي تشبه الصليب المعقوف على باطن معصم المسعف.

تابع شاديك:

— "السيد «فقدان الذاكرة»، الذي يزعم أنه لا يتذكر من هو وصادف قبوله هنا تمامًا حين كان مُحطّم الأرواح يأخذ استراحة. والآن تقف هنا تتآخى مع هذه الشخصية المجهولة وتحل لغزًا تلو الآخر."

هزت غريتا رأسها.

— "أعتقد أنك شاب وقح وسليط اللسان للغاية."

— "وأنا أعتقد أننا جميعًا نستحق تفسيرًا، بما أن حياتنا في خطر. حسنًا، ممن سمعتِ ذلك اللغز؟"

— "البروفيسور راسفيلد."

— "بالطبع، كنت سأختاره أنا أيضًا. يا للأسف أنه ليس في وضع يسمح له بتأكيد كلامك."

نحنح باخمان وتدخل بحدة غير معهودة:

— "هدئ من روعك يا توم. السيدة كامينسكي مريضة هنا منذ سنوات. لا سبب للشك في كلامها. أنا أصدقها."

— "حقًا؟" برزت عروق رقبة شاديك.

— "نعم. فحص راسفيلد ضحايا مُحطّم الأرواح السابقين في مستشفى «ويست إند»، فمن المحتمل أنه تعامل مع الألغاز التي جاءت معهم. ربما حاولا حل الإجابات معًا، ولكن بعد فوات الأوان."

— "أوه نعم، وربما ذلك مجرد شخص في الخارج مصاب بالحازوقة، ولا يمكنه التخلص منها إلا بقتل الناس. كف عن الهراء!" أمسك شاديك بذراع ياسمين. أراد أن يكون هناك شخص واحد على الأقل في صفه، نظرًا لأن الآخرين بدوا وكأنهم تكتلوا ضده، لكنها نفضت يده والتفتت لغريتا.

— "هل يمكنك حل اللغز الآخر؟ لغز راسفيلد، أعني؟"

نظرت ياسمين بإيجاز لخزانة التبريد التي تحوي جثته، والتي كان كاسبر قد أغلقها بالفعل.

– "بالتأكيد. لقد فعلت بالفعل."

اتسعت عينا ياسمين:

– "حقًا؟"

قالت غريتا بانتصار:

– "بالطبع. كما أخبرتكم، بمجرد فك شفرة لغز مجازي، البقية ليست بتلك الصعوبة."

ذهب كاسبر لطاولة التشريح والتقط قصاصة الورق التي وُجدت في فم راسفيلد. وقرأ بصوت عالٍ:

– "«أنت تدخل من مدخل واحد وتخرج من ثلاثة»."

اقترح باخمان:

– "متاهة؟ جحر أرنب، ربما؟"

نخر شاديك بنفاد صبر. وضع مسدسًا وهميًا على رأسه وضغط الزناد.

قالت غريتا:

– "مستحيل. كيف تخرج من ثلاثة مخارج في نفس الوقت؟"

– "فما هو إذًا؟"

كان كاسبر يفقد صبره هو الآخر. كانت الساعة تقارب الثانية والنصف صباحًا، عاصفة ثلجية تهز أساسات العيادة، وعاصفة أعنف تزمجر داخل جدرانها، أطلقها سيكوباتي يعذب ضحاياه حتى الغيبوبة، يقتلهم، أو ببساطة يجعلهم يختفون. ومهما نظرت للوضع، لم تكن هذه بالتأكيد اللحظة المناسبة للعبة تخمين في مشرحة.

قالت غريتا وهي تتلفت حولها بترقب. توم شاديك كان الوحيد الذي تجنبت النظر في عينيه.

– "الإجابة بسيطة للغاية. إنه التيشيرت (T-shirt)."

– "قميص؟"

– "نعم. كان بإمكانك التفكير في ذلك بنفسك."

بمجرد أن اتضح له المعنى، أصبح كاسبر واعيًا للبرد الذي كان طوفان الأدرينالين الحارق في دمه يفقده الإحساس به حتى الآن.

بالطبع. تدخل من الأسفل ويخرج رأسك وذراعاك من ثلاث فتحات في الأعلى.

سأل في الصمت المفاجئ الذي هبط:

– "ما الأمر؟"

كان شاديك، على وجه الخصوص، يرمقه بريبة.

وبالنظر للآخرين – لبلوزتي غريتا وياسمين، وكنزة شاديك ذات الرقبة العالية، وجمبسوت باخمان – أدرك بشكل غير سار أنه الشخص الوحيد الحاضر الذي يرتدي تي شيرت (T-shirt).

2:26 صباحًا

– "اخلعه."

– "لا تكن سخيفًا."

– "أنا أعني ذلك. اخلع ذلك القميص اللعين. حالاً!"

هب باخمان لنجدة كاسبر:

– "هل جننت؟" لكن شاديك لم يدع الأمر يمر.

– "هل تظن حقًا أن كل ما يحدث هنا صدفة بحتة؟ هذا السيكوباتي يعرف شيئًا! قد يكون متواطئًا مع مُحطّم الأرواح!"

ارتجفت ياسمين واحتضنت نفسها، لكن لم يعرها أحد أي انتباه. سألت غريتا باستنكار، مشيرة للقصاصة على طاولة التشريح:

– "لماذا يترك لنا بروك لغزًا يلقي الشبهة على شريكه؟"

قال باخمان:

– "علاوة على ذلك، هذا سيعني أنك متورط أيضًا. فأنت من أحضره إلى هنا..."

تراجع غريزيًا حين اندفعت يد شاديك، لكنه لم يكن هدفها.

كان كاسبر قد رأى اليد قادمة أيضًا وربما كان ليصدها لولا أن عقله الباطن كبح رد فعله فجأة. لولا التفاته السريع، ربما لم يكن شاديك ليتمكن من الإمساك بقميصه وجذبه لأسفل. سمع تمزق القطن الرخيص. وللمفارقة، بدا صوت الألياف المتقطعة متناغمًا مع الصفير في أذنيه. لقد عاد قطار الذاكرة، مالئًا أنفه بدخان كثيف.

سمع شاديك يصرخ:

– "ما هذا بحق الجحيم؟"

وذلك قبل لحظة من شعور كاسبر بنفسه يسقط للخلف ويهوي في الفراغ. شُل لسانه بعد ذلك. عاجزًا عن تفسير مصدر الحروق التي اكتشفها المسعف للتو على صدره، افتقر للقوة للتركيز على أي شيء سوى مقاطع الذاكرة التي كانت تُعرض على شاشته العقلية.

فلاش باك

– "لقد حان الوقت. إنها جاهزة لك."

كان جالسًا إلى مكتبه مرة أخرى وصوت المرأة ينبعث من جهاز الاتصال الداخلي.

– "لقد أعددنا كل شيء يا دكتور هابرلاند."

وضع جهاز الإملاء جانبًا.

هابرلاند؟ هل هذا اسمي؟

سجينًا في فلاش باك ثلاثي الأبعاد، وقف ببطء ومشى عبر المكتب متجاوزًا الشهادات الطبية المعلقة على الجدار، وفتح بابًا أبيض مبطنًا.

ثم سرّع مخرج فيلم ذاكرته الأحداث، فلم يرَ سوى لقطات عابرة ومحمومة: ابتسامة الفتاة الصغيرة المتعبة التي كشفت عن تقويم أسنانها. شعرها الأشقر المجعد، ورأسها يغرق بنعاس على سرير العلاج.

ثم الرعشات. التشنجات العنيفة لذلك الجسد الضئيل، تتلوى كشخص يخضع لجلسة طرد أرواح بينما يحاول زوج من الأيدي القوية عبثًا تثبيته على الطاولة. يداه.

سمع كاسبر صوت فرقعة وبدأ خده يلسعه، لكنه اكتفى بأن يرمش. ثم أظلم كل شيء. دخل قطار الذاكرة نفقًا أو كان يعبر منطقة غير مأهولة – غابة ربما – في منتصف الليل. لم يرَ شيئًا لفترة طويلة حتى اهتز القطار فجأة وبعنف كأنه خرج عن القضبان.

ارتج جسده. سمع فرقعة أخرى، أعلى هذه المرة، ومن لحظة لأخرى وجد نفسه في محيط مختلف تمامًا. ذكره بالحلم الذي أيقظه منه لينوس قبل ساعات قليلة.

لم يعد في قطار، كان في سيارة — سيارته. الأمطار الغزيرة كانت تغرق الزجاج الأمامي — تهطل عليه أسرع حتى من الأشجار التي كانت تتطاير خارج نافذته.

لماذا أقود بهذه السرعة خلال عاصفة كهذه؟

شغل مساحات الزجاج، لكنها فشلت في إزالة غشاء الرطوبة الضبابي حتى بأقصى سرعة.

أنا أبكي! لماذا؟ ولماذا لا أركز على الطريق — لماذا أبحث بيدي عن شيء... على مقعد الراكب؟

التقط المجلد وقلب صفحاته. كانت الصور في المنتصف تقريبًا.

كانتا اثنتين. الكبرى، صورة جوناثان بروك، سقطت على مقعد الراكب بجانب زجاجة ويسكي نصف فارغة.

لكن ذلك لم يهم. صورة الجواز الصغيرة كانت أهم بكثير.

لماذا أخرج صورة ابنتي من السجل الطبي وأحدق فيها؟ لماذا لا أنظر للطريق أمامي، الطريق الغارق بالمطر الذي بالكاد تراه عيناي اللتان أعماهما الدمع على أية حال؟

انفجرت الوسادتان الهوائيتان وغاص حزام الأمان في صدره، لكن أنظمة الأمان المدمجة في سيارته وقفت عاجزة أمام النيران التي اندلعت من لوحة القيادة بعد لحظات. حاول تحريك ساقيه، معتصرًا صورة

جواز ابنته في يده وهو يكافح، متألمًا، للالتفات وفتح الباب، لكنه كان مشلولًا. أو محشورًا.

اللعنة، أنا عالق. لا أستطيع الخروج، يجب أن... أستيقظ... يجب أن...

2:31 صباحًا

– "... استيقظ!"

سمع صفعة أخرى، أعلى هذه المرة. لسعه خده الأيسر.

قال صوت فوق رأسه:

– "هذا يكفي، ليس بهذه القوة."

– "إنه يتظاهر."

قال شاديك.

بمجرد أن فتح كاسبر عينيه، جاءت سيارة مسرعة نحوه، وأضواؤها الأمامية ساطعة. رفع ذراعيه، فأمسكت بهما يدان قويتان فورًا. ثم رمش واندماجت الأضواء الأمامية في مصباح هالوجين كاشف. لا بد أنه فقد وعيه مرة أخرى، وقد مددوه على طاولة التشريح. سعل، وتذوق طعم الدم في فمه.

سأل باخمان بقلق:

– "هل أنت بخير؟"

طفا وجه شاديك الصبياني بجوار رأس الحارس المستدير.

سأله بحدة:

– "ما الذي تذكرته؟"

قال كاسبر:

– "تعرضت لحادث."

أخبره باخمان:

– "نعم، سقطت للخلف وضربت رأسك."

– "لا، لا أعني ذلك."

هز كاسبر رأسه، رغم أن ذلك فسر الألم النابض في جمجمته، والذي كان يزداد سوءًا. استند على مرفق واحد وسعل مرة أخرى.

– "الحادث لا بد أنه وقع منذ بعض الوقت."

– "ماذا حدث بالضبط؟"

تردد في كشف الحقيقة كاملة، تمامًا كما تكتم حتى الآن على ذكرياته المجزأة عن «مُحطّم الأرواح».

اعترف أخيرًا:

– "انزلقتُ عن الطريق في عاصفة مطرية. اشتعلت النيران في سيارتي وكدتُ أحترق حتى الموت. ومن هنا جاءت الندوب."

– "إذن الأمر بهذه البساطة؟"

لا، ليس كذلك، فكر كاسبر. وتفهم لماذا لم يصدقه شاديك.

– "هذا كومة من الهراء."

سألت جريتا بتعب وهي متمسكة بمقابض كرسي صوفيا المتحرك:

– "ولماذا يختلق الأمر؟"

صوب شاديك سبابة مهددة نحو كاسبر:

– "لصرف الانتباه عن السيكوباثي وألغازه المشؤومة تلك. غريب، أليس كذلك؟ إجابة اللغز الأخير قادتنا لقميص كاسبر وما كان يخفيه تحته: ندوب تبدو وكأنه حشر صدره في ميكروويف."

هزت جريتا رأسها الرمادي بضعف:

– "ربما كنتُ مخطئة. كنزة صوفية كانت لتفي بالغرض أيضًا، وأنت ترتدي واحدة."

– "نعم، لكن ليس لدي حروق. صدره يبدو وكأنه شوه في طقوس منحرفة ما، لا في الحادث البريء الذي يحاول بيعه لنا."

– "لم يكن بريئًا، كنتُ ثملًا."

مستجمعًا كل قوته، جلس كاسبر وأدلى ساقيه على حافة طاولة التشريح.

ضحك شاديك بسخرية:

– "حقًا؟ عرضتُ عليك رشفة قبل قليل، لكنك رفضت. ظننتك لا تشرب؟"

– "كان لدي سبب حينها."

– "مثل ماذا؟"

تنهد كاسبر:

– "لست متأكدًا تمامًا بعد، لكن هناك الكثير من المؤشرات على أنني طبيب. كان لدي مريضة صغيرة، فتاة. أعتقد أنها كانت ابنتي. كنت أعالجها على أية حال، وأظن أنني ارتكبت خطأً ما."

– "خطأ مهني، تعني؟ أعطيت ابنتك العلاج الخاطئ؟"

– "على الأرجح. أخشى ذلك."

حاول طرد صورة تشنجاتها العنيفة. وبدلًا منها، وبعنف كرة طبية أُفلتت تحت الماء، طفت ذكرى كاتيا أديسي، معلمتها والضحية الثانية، للسطح.

— "على أية حال، مباشرة بعد علاجها أغرقتُ يأسي في نصف زجاجة ويسكي، وجلست خلف مقود سيارتي واصطدمت بشجرة."

واضعًا يده تحت بقايا قميصه الممزق، مرر كاسبر إبهامه على أكبر ندوبه، التي كانت تتلوى أسفل صدره حتى ما فوق السرة بقليل. نظر لجسده. في الضوء الاصطناعي، بدا نسيج الندبة الخالي من الشعر كتيار من الحمم الوردية يتدفق من شق زلزالي.

وفجأة تبخر خوفه، ليحل محله شعور أشد: الحزن. عرف المعنى الحقيقي لندوبه: كانت تعني أنه ارتكب خطأً مروعًا ولن يتمكن أبدًا من الوفاء بوعده.

سأعود قريبًا يا حبيبتي، وحينها سيكون كل شيء على ما يرام — سيعود كل شيء كما كان.

قال شاديك مقلدًا محاولات كاسبر للشرح:

— "لست متأكدًا... أعتقد... أظن أن... إذن أنت غير متورط تمامًا، هاه؟ كيف، بحق السماء، عرف «مُحطّم الأرواح» بشأن ندوبك؟ هاه؟ هاه؟"

قفز كاسبر عن الطاولة بغضب وقبض كفيه:

— "لست مضطرًا لتحمل هذا الهراء منك! لديك جرأة لمحاولة إلصاق التهمة بي. أين كنت حين اختفى راسفيلد؟ من أخرج ذلك اللغز الثاني من الحقيبة؟ هاه؟ هاه؟"

سخر مقلدًا شاديك بدوره.

— "أرأيت؟ اثنان يمكنهما لعب هذه اللعبة."

تدخلت جريتا:

— "كفاكما شجارًا، أنتما الاثنان."

وبدا أن شاديك قد هدأ قليلًا بالفعل.

— "حسنًا، لنفترض أنك لست متورطًا. ماذا يمكن أن يعني اللغز غير ذلك؟"

— "لا فكرة لدي."

— "قد يكون لدي فكرة."

استداروا جميعًا، مندهشين من مقاطعة ياسمين غير المتوقعة.

— "ما هي؟"

نظفت حلقها بتوتر وبدأت تفتل خاتم إبهامها مرة أخرى.

— "حسنًا، أنا... فكرتُ في الأمر حين كنت جالسة أمام المدفأة مع صوفيا."

سألها شاديك، الذي كان يقف بجانبها، وهو يزيح بلطف خصلة شعر حمراء عن جبهتها:

— "فكرتِ في ماذا؟"

أجابت:

— "النار. لا ينبغي إنزال المصاريع أصلًا، قلت ذلك بنفسك. بسبب خطر الحريق وما إلى ذلك."

— "حسنًا؟"

– "ربما تكون هذه الألغاز المجنونة طريقة «مُحطّم الأرواح» لإعطائنا تلميحات. إنها كلعبة مطاردة ورقية مريضة، وندوب حروق كاسبر مجرد مؤشر آخر."

نظر إليها كاسبر بتساؤل:

– "لمخرج طوارئ، تعنين؟"

– "نعم. الأمر هو..."

ترددت ياسمين مرة أخرى قبل صياغة خطتها في كلمات.

– "لماذا لا نشعل حريقًا؟ المصاريع سترتفع حتمًا حين تنطلق أجهزة إنذار الدخان."

بدأ كاسبر يقول:

– "فكرة ليست سيئة."

لكن الكلمات غرقت في صوت باخمان المضطرب.

– "ماذا لو لم ترتفع؟ لا، لا، لا، هذا خطر جدًا. لا أعرف النظام جيدًا بما يكفي. لم نشغله قط."

أشار شاديك بيده رافضًا:

– "إنه محق. إذا لم ينجح الأمر سنحترق حتى الموت هنا."

قال كاسبر:

– "ليس بالضرورة."

توقف حتى حاز على انتباه الآخرين الكامل، ثم شرح خطته.

2:36 صباحًا

كان خطأً بالطبع. لم يكن ينبغي لهم التخلي عن نيتهم الأصلية والافتراق. خمن كاسبر أن فكرته ستنتهي بكارثة بمجرد اقتراحها. ومع ذلك، كانت هذه الطريقة الوحيدة التي ستنجح إن كان لها أن تنجح أصلًا.

تطوعت جريتا، الوحيدة التي راقتها فكرته، لمرافقته في رحلته لغرفة الماسح. كان ذلك مستحيلًا تمامًا، بالطبع. فباستثناء صوفيا، كانت هي الحلقة الأضعف في السلسلة. سيجدون صعوبة كافية في الوصول لبر الأمان حين يحين الوقت، ولا يمكنه تحمل الركض برفقة أرملة في التاسعة والسبعين تعاني من مشاكل في الورك. في النهاية كان باخمان من ذهب معه، وإن كان ذلك تحت الاحتجاج فقط. أما الآخرون، فبعد جدال قصير ولكن حاد، عادوا للأعلى وأقفلوا على أنفسهم في المكتبة.

تمتم الحارس وهو يأخذ الحاوية البلاستيكية التي وجدها كاسبر في إحدى الخزائن المدمجة في الغرفة الخارجية:

— "هذا خطأ أكبر حتى من زواجي."

كانت الحاوية لـ «كلينكس_ كلين»، سائل تنظيف كحولي ممزوج بالأمونيا. ملصق على واجهة الحاوية مثلث تحذير أصفر وأسود وعليه شعلة متراقصة.

أومأ كاسبر باتجاه الحاجز الزجاجي المحتوي على الرصاص الذي يفصل الغرفة الخارجية عن غرفة الماسح كنافذة في استوديو تسجيل:

– "ما الذي يمكن أن يسوء؟ لديها أبواب مقاومة للحريق ونظام تهوية خاص بها، أليس كذلك؟ غرفة الماسح كانت اقتراحك أنت."

– "نعم، كمكان للاختباء. لا لإحراقها."

أخرج كاسبر حاوية ثانية وأغلق باب الخزانة. أمل ألا يكتشف باخمان من نبرته الواثقة بحزم أنه، أي كاسبر، يشاركه شكوكه.

– "إذا حالفنا الحظ سترتفع المصاريع بمجرد انطلاق إنذارات الدخان. حينها يمكن للآخرين الهروب من المكتبة إلى الأراضي الخارجية."

أدرك كاسبر أن خطته المرتجلة على عجل لم يُفكر فيها بما يكفي. على سبيل المثال، لم يكن لديه أدنى فكرة كيف سيدفعون صوفيا أسفل التل دون أن يعلق كرسيها في جرف ثلجي. لكنه، مثل بقية أفراد المجموعة، لم يستطع التفكير إلا خطوة بخطوة. أمل أن يطرأ له شيء بمجرد نجاحهم في الهروب من جدران العيادة الساجنة.

تابع قائلًا:

– "أسوأ ما يمكن أن يحدث هو بقاء المصاريع مغلقة. لكن بما أننا سنشعل النار في غرفة الماسح، فإن الأبواب المقاومة للحريق ستمنعنا على الأقل من تدمير المبنى بأكمله. علاوة على ذلك..."

أشار لمطفأة حريق على الجدار بجانب الباب المؤدي للممر.

– "لديك ولاعة؟"

ربت باخمان على جيب صدره في بدلته:

– "أعواد ثقاب."

– "حسنًا، لنبدأ..."

توقف كاسبر فجأة ونظر للسقف.

– "ما الخطب؟"

– "ألا تسمعه؟"

– "ماذا؟"

– "ذلك الصوت."

كان باخمان على وشك هز رأسه حين تجمد والحاوية في يده. الصوت النابض كان بالكاد مسموعًا في مستوى القبو العلوي، لكنه كان محسوسًا رغم ذلك، كصوت «الباس» الخفي لمضخم صوت سينمائي. وللغرابة، خطر لـ كاسبر أن الصوت الغريب كان ليشكل خلفية صوتية جيدة لتسلسل الذاكرة في رحلته الأخيرة بالسيارة.

قال باخمان معبرًا عما كان كاسبر يأمله:

– "يبدو كهبوط مروحية."

تسارع نبضه، ولأول مرة منذ ساعات شعر بأمل ضئيل.

ربما استدعى لينوس المساعدة؟ هذا ممكن.

بالطبع. ألم تقل ياسمين إن هناك شخصًا بالخارج على الشرفة؟

عاقدًا حاجبيه، وضع باخمان أذنه على الجدار الذي عليه المطفأة.

نعم، بالطبع، غادر لينوس بعد بروك. المصاريع حبسته في الخارج. لا بد أنه ذهب وأبلغ الشرطة.

ارتفعت آمال كاسبر أكثر مع ارتفاع صوت النبض. ثم أطفأها باخمان بهزة رأس.

قال بأسف:

– "إنها العاصفة فقط. تضغط على المصاريع من الخارج. ذلك المصراع في الطابق الثالث محشور بقضيب معدني، لا تنسَ. الرياح تصفر من خلاله على الأرجح وتسبب فراغًا جزئيًا. المبنى محكم الإغلاق، في النهاية."

فراغ؟ محكم الإغلاق؟

تساءل كاسبر إن كان يصبح أكثر ارتيابًا شيئًا فشيئًا. بالنسبة لأذنيه، بدا هذا تفسيرًا احترافيًا أكثر من اللازم لحارس. من ناحية أخرى، لا يمكن اعتبار باخمان حارس مستشفى تقليديًا. كان على علاقة وثيقة بـ راسفيلد وثقف نفسه بقراءة كتب عن الخطابة العامة. ومع ذلك... كانت هناك تلك المسألة الأخرى التي أثارت شكوكه قبل بضع ساعات.

سأل وهو يأخذ رزمة ورق سميكة من طاولة الحاسوب أمام الحاجز الزجاجي:

– "ماذا كانت قصة مركبة الثلج تلك؟"

– "هاه؟"

– "أعني، بعد أن التقطت شاديك وبروك من سيارة الإسعاف المنقلبة في الممر وأحضرتهما لهنا. أراني لينوس إياها. أحدهم نزع خرطوم الوقود."

– "حقًا؟"

بدا باخمان محتارًا، وشعر كاسبر بالضيق من نفسه لإثارة الموضوع أصلًا. ما الذي أمل في استخلاصه بطرح أسئلة غبية؟ اعتراف؟ نعم، أنا آسف. لم أرد لأحد مغادرة العيادة.

– "لا بد أنه شاديك. لطالما ظننت أن هناك شيئًا مريبًا بشأنه."

قال كاسبر باقتضاب:

– "نعم."

حشر ثلاثة كتب طبية تحت ذراعه.

– "على أية حال، لا يهم الآن."

دخلا الغرفة المجاورة معًا.

سيطر على الغرفة جهاز الرنين المغناطيسي ذو المظهر المستقبلي، والذي ربما استخدمه مخرج فني لفيلم خيال علمي كبوابة لعالم آخر. تمركز كاسبر بجانبه ونظر للأعلى.

– "هل ذلك الشيء ذو الضوء الوامض هو ما أظنه؟"

– "نعم."

– "إذن هذا هو المكان المناسب لفعلها."

آخذًا منشفتين من سرير الماسح المنزلق، كومهما كاسبر وأسقطهما على الأرض تحت كاشف الدخان. ثم مزق عدة صفحات من أحد الكتب وسند الأخريات كحطب الموقد.

قال لـ باخمان:

– "فقط اسكب تلك المادة عليها."

فك الحارس غطاء العلبة، وبدا وكأنه لا يصدق ما يفعله.

– "تدرك أن هذه الآلة كلفت عدة ملايين من اليوروهات؟"

ابتسم كاسبر بوهن.

– "يؤسفني قول ذلك، لكننا لن نقع في ورطة مع المدير، أليس كذلك؟"

أومأ لـ باخمان.

– "لذا هيا افعلها قبل أن ننتهي مثله."

انسكب سائل التنظيف فوق موقدهم المرتجل، بقرقرة بدت بذيئة تقريبًا. أخرج باخمان علبة ثقاب من جيب صدره وكان يهم بإشعال عود حين انغلق باب الاتصال خلفهم بنقرة خافتة.

– "ماذا بحق الجحيم...؟"

استدار كاسبر في الوقت المناسب ليرى شخصية مظلمة تمر بسرعة عبر غرفة التحكم خلف الحاجز الزجاجي. ثم بدأ الماسح يومض. وفي الوقت نفسه، صدر من أعماق الأنبوب صوت كفأس تطرق برميلًا معدنيًا فارغًا. حدث كل هذا في جزء من الثانية، تمامًا حين أسقط باخمان، فزعًا، عود الثقاب المشتعل.

2:39 صباحًا

قفز عمودان من اللهب نحو السقف في وقت واحد، لكن واحدًا منهما فقط كان حقيقيًا. الآخر تبين أنه انعكاس في الحاجز الزجاجي. ظن كاسبر في البداية أن الوجه خلفه كان وهمًا بصريًا أيضًا. ثم ضرب الرجل نصف العاري الزجاج بقبضته وتعرف على الملامح الملتوية بالغضب. لم يكن هناك شك في ذلك. جوناثان بروك كان لا يزال يرتدي ثوب المستشفى الأخضر، لكن مقدمته كانت الآن ملطخة ببقع بلون الصدأ وبدا أن كمية كبيرة من الدم قد تسربت عبر الضمادة حول عنقه، التي انزاحت عن مكانها.

بدأ كاسبر يتعرق. التفت، فشعر بالحرارة تلفح وجهه وصرح بالبديهي.

– "يجب أن نخرج من هنا!"

قالها لـ باخمان، الذي رأى «مُحطّم الأرواح» أيضًا وكان يتراجع نحو الباب وظهره للحائط. الحريق كان ينتج دخانًا أكثر فأكثر.

صرخ كاسبر، بصوت أعلى من اللازم، في استراحة بين دفقين من ضوضاء الماسح:

– "لا فائدة."

هز مقبض باب الاتصال ليبرهن على هذه الحقيقة. لأسباب تتعلق بالسلامة، القفل الزمني التلقائي لا يفتح إلا بعد اكتمال برنامج الماسح، وكان بروك قد فعّله للتو. إذا كان مضبوطًا على برنامج التشريح الافتراضي، فسيستغرق ذلك ساعات!

صرخ كاسبر، طارقًا الزجاج بنفسه الآن:

– "أخرجنا!"

بالكاد اهتز اللوح الكبير تحت قبضتيه. لم يكن لدى بروك أي نية لتحريرهم. وكأنه يريد زيادة رعب أسيريه، الذي كان قد بلغ ذروته بالفعل، انحنى للحظة. حين اعتدل كان يحمل مقصًا. تحركت شفتاه، متمتمًا بكلمات غير مفهومة، ثم...

يا إلهي...

... غرس المقص في باطن يده اليسرى.

تساءل كاسبر: ماذا يفعل؟ جاءت الإجابة فورًا. بصق بروك على الزجاج وضغط بيده المجروحة على سطحه الأملس. ظن كاسبر أنه يستطيع سماع الصرير الحاد للحم الممزق على الزجاج بينما انزلقت يد «مُحطّم الأرواح» ببطء لأسفل اللوح، تاركة لطخة دم طويلة خلفها.

إنه يحاول إخبارنا بشيء! إنها إشارة كالسكين في حنجرته.

كان كاسبر مرعوبًا ومسحورًا في آن واحد. في تلك الأثناء، بدأ أنفه يسيل بينما يلسع الدخان المتكاثف أغشيته المخاطية. مر وقت قبل أن تتمكن عيناه الدامعتان من تمييز ما كتبه بروك على الزجاج بكتابة معكوسة. فكرته الأولى كانت ثعبانًا، ثم إشارة استغاثة (SOS). أخيرًا، ورغم نفاد دم «مُحطّم الأرواح» قبل أن يتمكن من كتابة الحرف الأخير، وصل للاستنتاج الواضح:

صوفيـ...

بالطبع. المجنون كان يريد الوصول للطبيبة النفسية وإنهاء عمله عليها. ولهذا لم يتوقعوا أن يهاجمهم بروك هنا بالأسفل في قسم الأشعة العصبية بينما فريسته الحقيقية تنتظره بالأعلى في المكتبة. لكنه الآن هزمهم بضربة قاضية ("كش ملك"). كانوا مسجونين في جحيم من صنع أيديهم. حتى لو ارتفعت المصاريع فورًا، لن يفيدهم ذلك هنا بالأسفل: سيموتون من استنشاق الدخان ما لم يجدوا طريقة لإطفاء النار بسرعة فائقة.

لكن كيف؟ مطفأة الحريق اللعينة بالخارج.

حدق كاسبر في النيران و«مُحطّم الأرواح» بالتناوب.

تركتها بالخارج عمدًا، لنتمكن من منع انتشار الحريق.

لم يضع في حسبانه احتمال أن يُحبسوا بالداخل بعد إشعال النار. والأسوأ من ذلك، أنه نسي أمر حاوية سائل التنظيف الثانية، التي اختارت تلك اللحظة لتنفجر.

2:43 صباحًا

دفعته موجة الانفجار النارية المفاجئة للخلف كعاصفة ريح. حتى أنه ظن أنه شعر بها تشيط الشعيرات الدقيقة على جلده العاري.

صاح باخمان:

— "ساعدني!"

كانت ساق بنطاله اليمنى قد اشتعلت. مزق كاسبر البقايا المهترئة لقميصه وأخمد النيران بضربات قصيرة وحادة وموجهة.

ماذا الآن؟

قميصه بالكاد كفى لإطفاء بنطال الحارس. كيف سيتعاملون مع الحريق الهائل، الذي كان يلعق بالفعل السقف الخشبي لغرفة الماسح؟

دار كاسبر حول نفسه، آملًا بيأس اكتشاف مطفأة حريق ثانية في مكان ما على الجدار. وأثناء ذلك، التقط لمحة أخرى لـ بروك. لا يزال يحدق عبر الزجاج والرغوة على شفتيه والجنون في عينيه، وكان يهز رأسه باعتذار تقريبًا وكأنه يقول: «آسف، لكن أخشى أنكم أضرار جانبية.» شعر كاسبر كحيوان حبيس في حديقة حيوان يراقبه زائر مجنون أشعل النار في قفصه وسد وسيلة هروبه الوحيدة. جثا على ركبتيه، آملًا أن يكون الدخان أخف هناك، ورأى لرعبه أن النيران قد انتشرت بالفعل للمقعد القماشي للكرسي الدوار بجانب الماسح.

دون لحظة تردد، أمسك الكرسي من أرجله المعدنية الساخنة، وغير عابئ بالألم، قذف الجسم المشتعل نحو النافذة. اهتز الزجاج بعنف أكبر هذه المرة، وظهر شق دقيق في نقطة الارتطام، لكنهم ما زالوا محبوسين.

أراد الإمساك بأرجل الكرسي مرة أخرى لكنه بالكاد استطاع الرؤية. الدخان كان أكثر كثافة مما كان عليه في كوابيس حادث سيارته، واضطر لفرك عينيه الملتهبتين. هزته نوبة سعال، وظن أن رئتيه على وشك الانفجار حين أخبره تيار هواء على وجهه أن باخمان لا بد قد التقط الكرسي وقذفه عبر الحاجز الزجاجي.

مغلقًا عينيه نصف إغلاق، رأى الحارس يركل بقية الزجاج المهشم بحذائه ثم، كغريق يستجمع آخر قواه، يتسلق فوق حافة الإطار وإلى الأمان النسبي في الغرفة الخارجية.

صرخ كاسبر:

— "أحضر المطفأة!"

النيران خلفه كانت تتغذى الآن على الأكسجين الجديد. الماسح، الذي لم يمسسه سوء حتى الآن، استمر في بث دفعات نبضاته المغناطيسية الإيقاعية بأعلى صوت وبوحشية.

نادى كاسبر:

— "مرحبًا؟"

لم يتلقَ إجابة، فقرر تحرير نفسه. لا يمكنه البقاء في هذا الجحيم، رغم أن التسلق عبر النافذة المحطمة سيكون أكثر إيلامًا له بكثير من باخمان. قدماه حافيتان، في النهاية.

مثل بروك.

سند كاسبر نفسه بكلتا يديه على إطار النافذة المسنن، مما مزق كفيه. صرخ من الألم وهو ينقل وزنه بالكامل عليهما دافعًا نفسه جانبيًا للغرفة الخارجية. تدحرج عن الإطار وسقط على الأرض. اجتاحته موجة

ألم جديدة قبل أن تهدأ الأولى، لأنه غرس شظية زجاج بحجم ملعقة مسطحة في كتفه عند الهبوط. انغرست شظية أخرى في كعبه العاري كغطاء زجاجة وانكسرت عميقًا في اللحم مع أول خطوة خطاها.

عرج نحو الجدار وأمسك بمطفأة الحريق، لكنه بالغ في تقدير قوته المتبقية وكاد يسقطها، ومع ذلك نجح أخيرًا في جر الأسطوانة الفولاذية الثقيلة للمكتب، وشغّل الرافعة وسلط نفاثة الرغوة البيضاء على الحريق حتى انطفأت كل شعلة في غرفة الماسح.

منهكًا، استند على الشاشة العريضة على المكتب، محضرًا نفسه داخليًا للهجوم التالي. بروك لا بد أن يكون في مكان ما، في النهاية.

عرف أنه تخلص فقط من أقل الأخطار التي تهدده شأنًا، لذا كان الارتياح أكبر حين ظهر وجه مألوف في المدخل المؤدي للممر.

قال واضعًا المطفأة جانبًا:

— "شاديك؟ هل نجحت؟ هل ارتفعت المصاريع؟"

هز شاديك رأسه ودخل. إما أن النار لم تشتعل لفترة كافية أو أن كاشف دخان غرفة الماسح لم يكن مرتبطًا بنظام الأمن العام.

— "إذن لماذا أنت هنا؟ هل أرسلك باخمان؟"

قال شاديك مقتربًا خطوة:

— "لا."

ثم سحب مسدسًا وأطلق النار مباشرة على صدر كاسبر.

الوقت الحاضر

بعد وقت طويل جدًا، وبعد سنوات عديدة من «الخوف»

1:32 ظهرًا

جعلت العاصفة المبنى يرتجف وكأن قطار أنفاق يمر تحته. نظر البروفيسور للأعلى، لكن طلابه كانوا مستغرقين في القراءة لدرجة تمنعهم من الانشغال بصوت الرياح. أصبح الجو أكثر ظلمة الآن، وكانا قد أشعلا مصباح القراءة الصغير الذي أخذه كإجراء احترازي ووضعه على الطاولة بينهما.

من الطرف الآخر للطاولة، بدا كلاهما كتلميذين يراجعان للامتحان.

كان باتريك يقرأ ورأسه مسنود على يديه، بينما تتبعت ليديا مسار كل سطر بقلمها، تحرك شفتيها بالكلمات وتدون ملاحظات عرضية في دفتر على يمين نسختها.

وقف البروفيسور وقوس ظهره. ورغم الألم الذي سببه له ذلك، اتبع نصيحة طبيب العظام وأدار مفاصل كتفيه كل ساعتين. في نظره، نصيحة الطبيب كانت عديمة الجدوى كنصيحة الصديق الذي أقنعه بالذهاب لنادي ليديا للتعري.

دونت ملاحظة أخرى، وعزم على اختلاس النظر لدفترها في وقت ما.

مر بجوار الأرفف الفارغة التي أزيلت منها كل الكتب، ربما للبيع على الإنترنت أو في سوق للسلع المستعملة. مجلد واحد فقط فشل في العثور على مأوى في مكان آخر. مغطى بالغبار، كان يقبع خلف زجاج خزانة كتب مشقوق. ورغم أن كعبه كان مخدوشًا وملطخًا بفضلات الفئران، بدا وكأنه وضع هناك ذلك الصباح، خصيصًا من أجل زوار المبنى غير العاديين.

تابع البروفيسور المشي، لسبب واحد وهو أنه لم يستطع تحمل رؤية وجهه المذنب غائر الخدين منعكسًا في خزانة الكتب. ولسبب آخر، لأنه لم يرغب في معرفة أي مجلد من القاموس الطبي هو المعني. كان قد تجنب النظر للمدفأة حتى الآن، لكن عينه التقطت الآن قنية بلاستيكية مسحوقة تبرز كعود ثقاب من كومة قمامة: هوائي تلفزيون مثني، قصاصات أسلاك كهربائية، بلاطة سجاد ممزقة.

لا تفعلها!

أمره صوت داخلي بترك الشيء حيث هو.

لم يكن داعيًا للصراخ بهذا العلو. لم تكن لديه نية لاستخراج القنية، وربما، التسبب في انهيار بيت الورق في عقله.

نظف حلقه بهدوء لينبه الطلاب لاقترابه، لكنهم كانوا بعيدين في عالمهم الخاص. دليل على وجود التخاطر، كتب ستيفن كينغ ذات مرة. المؤلف يزرع أفكاره في عقول قرائه. غالبًا على مسافة آلاف الكيلومترات، يجعلهم يرون ويشعرون ويحسون ويكتشفون أماكن لم يزوروها من قبل.

ولكن ماذا لو كانت تلك الأفكار شريرة؟

بينما لا يزال غير ملحوظ من طلابه، تجنب البروفيسور إلقاء ظل على دفتر ليديا وهو يتسلل خلفها. خط يدها الأنثوي طابق كل الكليشيهات الجنسانية المعتادة: أنيق، مرتب، ومستدير.

كتبت في رأس الورقة الرمادية المعاد تدويرها: كاسبر؟ وتحتها، بين قوسين، المعلومات التي استخلصتها من النص حتى الآن:

(طبيب / والد ابنة؟ / هامبورغ؟ / خطأ مهني؟)

خصصت ليديا العمود التالي لـ «مُحطّم الأرواح». ابتسم البروفيسور بحزن وهو يقرأ الكلمة الأخيرة، التي زينتها بثلاث علامات استفهام وخطين تحتها.

«مُحطّم الأرواح» = جوناثان بروك (طبيب، زميل، تشويه ذاتي، دافع؟؟؟)

من الواضح أنها اعتبرت السؤال الأخير جديرًا بفقرة فرعية خاصة به: الدافع

تعذيب صوفيا؟ منعها من إفشاء ما تعرفه؟ عن كاسبر؟ عن ابنة كاسبر؟

لم يستطع التأكد تمامًا مما جاء بعد ذلك لأن كوع ليديا كان يحجب بعض الكلمات. اعتقد أنها تقول:

دخول كاسبر للعيادة = صدفة؟ (ما علاقة شاديك بالأمر؟ ما الصلة بالضحايا الأخريات؟)

الكلمات النهائية كانت واضحة وبأحرف كبيرة:

انتقام مُحطّم الأرواح؟

ضربت الرياح زجاج النوافذ الملطخ بالمطر. رفع باتريك نظره لأول مرة، لكن لفترة وجيزة وللوصول لزجاجة الماء أمامه. لم يلاحظ أن المسؤول عن التجربة النفسية قد غادر مكانه ويقف خلفه مباشرة.

مفاجئ، فكر البروفيسور وهو يبتعد عن ليديا وملاحظاتها. مفاجئ حقًا كيف يمكن للمرء، رغم استخلاص استنتاجات خاطئة، أن يصل للسؤال الصحيح والأهم.

وكأن مغناطيسًا غير مرئي يجذبه، عادت نظراته للمدفأة. من حيث كان يقف، بدا وكأن فوهتها قد سُدت بالقمامة لمنع النار من إفشاء سر آخر أبدًا.

طرقعت الورقة كمفصل إصبع حين قلبت ليديا للصفحة 196 من السجل الطبي.

باتريك، الذي كان يقرأ ببطء أكبر قليلًا، تبعها لعالم أحلام ذكريات كاسبر بعد بضع دقائق.

من سجل المريض رقم VL/131071، الصفحة 196 وما يليها.

فلاش باك

تجسَّد الحزن الذي شعر به كاسبر في حلمه ككائن حي؛ مسخٍ مكوّن من طفيليات لا حصر لها، ضربت جذورها في أعماق نفسيته وراحت تمتص منه كل قطرة فرح.

كلما همَّ بفتح فمه ليعتذر لابنته ذات الأحد عشر ربيعًا، تلك التي تركها بلا حماية، زحف سرب جديد من تلك الطفيليات إلى فمه؛ جائعة، عطشى، متأهبة لحفر طريقها عبر أغشية حنجرته ومريئه لترتوي من جوهر حياته. كان يدرك يقينًا أنه لن يعرف السعادة مجددًا. ليس بعد تلك الخطيئة.

لذا، رفع الزجاجة إلى شفتيه مرة أخرى وتجرع رشفة طويلة، رغم أن الرؤية كانت شبه منعدمة أمامه وسط هذا المطر المنهمر، وبينما كان يقود سيارته بسرعة جنونية على طريق ريفي، هاربًا من نفسه.

لم يصدق أن الأمر قد ينتهي هكذا. طريقته في العلاج لم تخطئ قط من قبل، لكنها خذلته الآن. خذلته مع أهم مريض في حياته.

مد يده نحو حقيبته، وأخرج الصورة وقبّلها، ثم رفع الزجاجة مرة أخرى.

يا إلهي، ماذا فعلت بكِ؟

كان يتلمس مقبض ماسحات الزجاج بيده التي تقبض على الصورة، باحثًا عن السرعة القصوى، حين لاح الشجر أمامه. ضغط على المكابح بقوة، محتميًا بذراعيه ليغطي وجهه.

صرخ مجددًا:

– "ماذا فعلت بحق السماء؟"

ثم غمر المكان ضوء ساطع. كان لا يزال نائمًا بالطبع. كان يسمع صوت أنفاسه المضطربة – أنفاس شخص نائم أو مريض – لكنه عجز عن الاستيقاظ. كان لا يزال سجين كابوسه، رغم أن محيطه تبدل فجأة. لم يعد في سيارته، بل كان جالسًا على حافة سرير صلب، ساقاه العاريتان تتدليان من الجانب، وحول معصمه سوار بلاستيكي يحمل رقمًا.

قال صوت ما:

– "أنت لم تفعل شيئًا."

رغم أنه لم يسمع هذا الصوت في كوابيسه من قبل، إلا أنه بدا مألوفًا. ودودًا، لكنه يحمل نبرة مبطنة بالشر؛ صوت شخص إما مدخن شره أو يعاني علة في الحنجرة. أو كلاهما.

أجاب كاسبر:

– "بلى، فعلت. لقد قتلت ابنتي."

رد الصوت:

– "كلا، لم تفعل."

رأى كاسبر بابًا يُفتح — بابًا لم يكن موجودًا قبل لحظة — ودخل رجل. طويل القامة وممتلئ الجسم، بنيته تتناسب تمامًا مع صوته. كان وجهه مغطى بظل قاتم.

سأل كاسبر:

— "إن لم أكن أنا، فمن إذًا؟"

قال الصوت، بينما ارتفع الظل قليلًا:

— "هذا سؤال خاطئ."

سأل كاسبر:

— "ما الذي حدث في عيادتي؟"

أجاب الرجل:

— "هذا أفضل. هذا السؤال يصيب كبد الحقيقة. وقد أجبتك عنه في رسالتي إليك."

تساءل كاسبر بدهشة:

— "رسالة؟ أي رسالة؟ لا أفهم ما تعنيه. لا أعلم شيئًا عن أي رسالة. أنا حتى لا أستطيع تذكر اسم ابنتي."

قال الصوت:

— "بلى، تستطيع."

وفي ومضة خاطفة، تجسد الصوت أمام عينيه ليتحول إلى وجه مألوف للغاية.

صرخ كاسبر حين تعرف على جوناثان بروك. وارتفع صراخه أكثر حين خضع مُحطّم الأرواح لتحول آخر.

أربعون دقيقة قبل حلول «الخوف»

2:58 صباحًا

– "من أنت؟"

أدرك كاسبر من الأوردة المنتفخة في رقبة شاديك أن المسعف كان يصرخ في وجهه للتو. لم يشعر هو سوى بضغط خفيف على طبلتي أذنيه. ومنذ استعاد وعيه، كان يسمع أزيزًا مستمرًا. كان جسده يرتجف من البرد، ومع ذلك يتصبب عرقًا.

أجاب بصوت واهن:

– "لا أعرف."

كان لسانه يبدو كقطعة لحم مجففة في فمه، بالكاد يستطيع تحريكه، لكن تلك كانت – بلا شك – أقل مشاكله إلحاحًا في هذه اللحظة.

ما الذي حدث؟ أين أنا؟

حاول رفع ذراعيه وساقيه، لكنهما لم يتحركا سوى مليمترات قليلة.

أنا مقيد.

شد جسده ضد الأحزمة المطاطية التي تثبته على طاولة التشريح. وفجأة، سرى ألم حاد من ساعده الأيسر، عبر كتفه، وصولًا إلى صدغيه. شعر بالغثيان. أصبح الألم لا يطاق حين سقط رأسه مرة أخرى على السطح المعدني البارد للطاولة.

يا إلهي، لا بد أن شاديك قد حصل على مسدس التخدير من الصيدلية، وأطلق النار عليّ، وسحبني إلى معمل الباثولوجيا.

أغلق كاسبر عينيه لأن أضواء الهالوجين كانت تعميه، وشعر أنه على وشك التقيؤ في أي لحظة. من الخوف. وبسبب السم الذي يسري في دمه.

نأى بصوت مبحوح، غير متأكد مما إذا كانت كلماته مفهومة:

— "ماذا فعلت بي؟"

كان صوت الطنين والقرع يزداد ارتفاعًا.

صاح شاديك:

— "تماسك، مفعول المخدر يستمر لعشر دقائق فقط، والوقت انتهى، هيا انطق! من أنت؟ وما الذي تفعله في هذا المكان؟"

هبّ تيار هوائي أزاح الشعر عن جبهة كاسبر المتعرقة. كان مصدره شيئًا يلوح به شاديك كالمروحة. وحين سقطت ورقة منه، ميزها كاسبر؛ كانت سجلاً طبيًا لمريض. سجله هو.

قال شاديك:

— "تتساءل من أين حصلت عليه؟ كان في المكتبة، مفتوحًا على الطاولة. صديقك جوناثان تركه هناك لنا."

رد كاسبر وهو يتساءل عن سبب وجود إبرة مغروزة في ذراعه:

— "إنه ليس صديقي."

في الوقت ذاته، أدرك أن القرع في أذنيه كان قادمًا من الغرفة المجاورة. جهاز الرنين المغناطيسي! برنامج «التشريح الافتراضي» لا يزال يعمل! يبدو أن الحريق لم يتلف الآلة باهظة الثمن.

أطلق شاديك ضحكة ساخرة وقال:

— "يؤسفني القول إن الإنكار بلا جدوى."

رمش كاسبر بقوة عدة مرات ليقشع الغشاوة الرمادية التي كانت تضبب رؤيته مثل ضباب الأرض.

سأله شاديك:

— "حسنًا، هل تتذكر الآن؟"

صفعه شاديك على جبهته بمظروف ملطخ بالسخام، ثم أخرج الورقة التي بداخله، وكانت محترقة بشدة. ملأت رائحة الورق المحترق أنفه.

سأل شاديك:

— "هل تتعرف على خط اليد؟"

قرأ كاسبر: إلى ن. هـ. لم يملك إلا أن يومئ برأسه، ليس لأن الخط بدا مألوفًا، بل لأنه تعرف على الحرف الأول من اسم عائلته الذي خطر بباله لأول مرة قبل دقيقتين فقط: هابرلاند.

افترض أن هذه قطعة أخرى من أحجية الصور المقطوعة التي أراد راسفيلد وصوفيا تعريفه بها تدريجيًا، وبالتأكيد ليس في ظروف كهذه. قلب شاديك المظروف، فبدت الأحرف الأولى للمرسل على ظهره — ج. ب. — وكأنها اتهام صامت.

جوناثان بروك.

تساءل كاسبر لمَ كانت الرسالة أكثر احتراقًا من غلافها الخارجي.

قال شاديك بنبرة مسرحية، مستبدلًا الفقرات والعبارات التي طمستها النار بوقغات درامية:

– "أعتقد أن صاحبك بذل جهداً كبيرًا في انتقاء كلماته. على الأقل في الجزء الذي تمكنت من فك شفرته."

عزيزي الزميل...

... حدث مأساوي، لكنك ـ حسب علمي ـ لا تتحمل أي لوم بسببه، لأن...

عند هذه النقطة، كانت فقرة كاملة قد طُمست تمامًا.

... وبالتالي يجب عليك الالتزام بالخطة التي ناقشناها. سيكون من الأفضل لك الذهاب إلى عيادة «تويفيلسبيرغ» قبل عيد الميلاد... و...

أعاد شاديك الورقة إلى المجلد الذي يحتوي على سجله الطبي، ثم ضرب وجه كاسبر به، مما جعل رأسه يرتد جانبيًا.

صرخ شاديك:

– "«عزيزي الزميل»؟ «خطتنا»؟ ماذا يعني هذا، هاه؟ ما الذي تفعله هذه الرسالة في ملفك؟"

أجاب كاسبر:

– "لا أعرف."

ضربه شاديك مرة أخرى بالمجلد، فأصاب حافته الحادة جبهة كاسبر:

– "توقف عن الألاعيب يا كاسبر، أو السيد «ن. هـ.»، أو أيًا كان اسمك. الحقيقة هي أنك تعرف مُحطّم الأرواح. لقد رأيته من قبل، ونصحك بالمجيء إلى هنا. كزميل."

– "لا."

قال شاديك وهو يركل عربة أدوات بغضب، مسبباً تناثر عدة أشياء على الأرض:

– "حسنًا... فلنجرب شيئًا مختلفًا."

انحنى والتقط منشار عظام خشن الأسنان وعاد ليظهر أمام كاسبر.

– "إذًا سأضطر لانتزاع الحقيقة منك بطريقة أخرى."

3:01 صباحًا

كان أسوأ ما في الأمر كله هو عجزه عن إنكار كل شيء.

كان شاديك محقًا تمامًا في أمر واحد، بل وقدم دليلًا دامغًا عليه: هو يعرف بروك. كانت معرفته به توازي على الأقل معرفته بالضحية الثانية، كاتيا أديسي، معلمة ابنته في المدرسة الابتدائية. كان يعلم أنه رأى كليهما من قبل – في تلك الحياة الحقيقية التي لم يتبق له منها سوى ذكريات مفتتة. لكن، إذا كانت هناك حقًا خطة لجمعهم جميعًا في هذه المصحة النفسية ليلة عيد الميلاد، فلا بد أنها من تدبير مجنون. وربما كان هو نفسه ذلك المجنون.

ماذا فعلت بحق السماء؟

رأى كاسبر قطع الأحجية المتناثرة أمامه. ورغم أنه استطاع أن يخمن من شكلها وألوانها كيف يمكن أن تجتمع لتشكل صورة، إلا أن الصورة نفسها ظلت عصية عليه.

العلاج الخاطئ، القيادة الكارثية عبر الليل التي تركت ندوبها عليه للأبد.

كيف يترابط كل هذا؟

وكيف وجده باخمان فاقد الوعي في خندق إذا كان قد حاول التسلل إلى العيادة قبل ساعات برفقة كلبه؟

سأل ليكسب بعض الوقت:

— "أين الآخرون؟"

كان شاديك يقف خلف رأسه الآن، مما ضاعف مخاوفه، إذ لم يعد قادرًا على رؤية ما يفعله المسعف. ومن صوت الهسيس، استنتج أنه يرش شفرة المنشار بمطهر.

قال شاديك، وصوت الهسيس يتكرر:

— "لا تقلق بشأن النساء، لقد حبستهن في المكتبة."

— "وباخمان؟"

— "على من تضحك؟ كنت معه في اللحظة الأخيرة."

جُذب رأس كاسبر فجأة إلى الخلف بقوة. توقع أن تُسلخ فروة رأسه في أي لحظة من شدة شد شاديك لشعره. كان وجه المسعف المقلوب يطفو على بعد سنتيمترات قليلة فوق وجهه، ملوياً بغضب. انفصل خيط من اللعاب عن شفتي شاديك وكاد يسقط في عين كاسبر.

قال شاديك:

— "حسنًا، هذا يكفي للإحماء. لتبدأ الحفلة الآن."

دخلت الشفرة اللامعة المبللة مجال رؤية كاسبر. ابتلع ريقه لا إراديًا وشعر بتفاحة آدم تصطدم بألم في حلقه المشدود.

توسل من أجل حياته:

— "لا، لا تفعل. أرجوك..."

قاوم القيود، وقوّس صدره العاري وصرخ بأقصى ما سمح به صوته المبحوح.

قال الوجه فوقه:

– "هذا لن ينفعك. الحقيقة وحدها هي ما سينقذك الآن."

– "لكنني لا أعرف شيئًا!"

سأله شاديك وهو يمسك بيده المشوهة:

– "أتدرى لمَ لا أصدقك؟"

هز كاسبر رأسه بقوة، كاتمًا عصارة المرارة التي صعدت إلى حلقه.

تابع شاديك:

– "لأنك تذكرني بنفسي كثيرًا، تذكرني باللعنة."

رفع شاديك يده المليئة بالندوب.

– "أخبرتك عن والدي. في الليلة التي لم تضع فيها أمي ما يكفي من الملح في البطاطس المهروسة، خطرت له فكرة مسلية؛ أن يحشر يدي في آلة صنع الوافل."

اختفت اليد مرة أخرى.

– "بعد أن كسر فك أمي ذهب إلى الحانة. وبحلول الوقت الذي ترنح فيه عائدًا إلى المنزل، كانت هي قد ذهبت إلى المستشفى، لكنها هذه المرة تركته إلى الأبد وأخذت أخي وأختي معها. بقيت أنا وحدي لتسوية الأمور مع العجوز مرة واحدة وإلى الأبد، لكنني استهنت به. ربما شرب الحانة بأكملها، لكنه كان لا يزال قويًا كالثور."

دار شاديك حول طاولة التشريح.

- "أطبق بآلة الوافل على يدي وطالب بمعرفة أين ذهب الآخرون. صرخت وقاومت وتوسلت إليه ليتوقف، لكنه اكتفى بالضحك. أتعرف ما تعلمته في تلك الليلة؟" سأل شاديك بصوت خافت مشؤوم، قبل أن يجيب عن سؤاله بنفسه: "القوة الغاشمة لا توصلك إلى شيء."

ألقى بمنشار العظام على الطاولة الجانبية. أطلق كاسبر أنين ارتياح. تابع شاديك:

- "كان الألم لا يطاق، لكنني لم أفشِ سرهم. لم يتوقف أبي إلا عندما جعلته رائحة اللحم المحترق يشعر بالغثيان. اعتقد، ذلك السكير الأحمق، أنني فعلاً لا أعرف أين ذهبوا. لو أنه نظر في قاموس طبي ولو لمرة واحدة في حياته، لتمكن من انتزاع الحقيقة مني بسهولة أكبر بكثير."

سأل كاسبر وقد تحول ارتياحه إلى توجس غامض:

- "ماذا تعني؟"

ضحك شاديك:

- "سأريك. أنت طبيب في نهاية المطاف. هل يعني لك «بنتوثال الصوديوم» شيئًا؟"

قال كاسبر بشكل تلقائي:

- "إنه من الباربيتورات. فعال للغاية، يسبب فقدان الوعي التام خلال ثوانٍ. يُستخدم عادة في مرحلة التمهيد للتخدير العام."

قال شاديك:

- "صحيح. جرعة كبيرة سترسلك إلى العالم الآخر. وفي الجرعات الأقل يعمل كمهدئ، يجعل الشخص مسترخيًا وثرثارًا بشكل لا يقاوم.

لهذا تعشق أجهزة المخابرات استخدامه في الاستجواب. حسنًا، ما رأيك؟ أليس رائعًا كم هي صيدلية العيادة مجهزة جيدًا؟"

أشار إلى إبرة المحلول المغروزة في ذراع كاسبر.

— "ابقَ هادئًا وإلا سأحقن البنتوثال في عينك بدلًا من الوريد."

3:03 صباحًا

تحتل أسطورة "مصل الحقيقة" مكانة بارزة في عالم الخرافات الحديثة. يعتقد معظم الناس بوجود مادة كيميائية يمكن للمُعذِّب من خلالها كسر إرادة ضحاياه؛ مادة، بمجرد دخولها مجرى الدم، تنتزع منهم أي سر مهما كان محميًا بعناية.

لكن الواقع الذي كان كاسبر سجينًا فيه في هذه اللحظة كان من طبيعة مختلفة. أسوأ. وبلا أمل.

فالمخدر الذي كان يُحقن به يرفع السجادة البيوكيميائية التي كنس الشخص تحتها أكثر أسراره حميمية. وهي ظاهرة يعرفها جميع أطباء التخدير، إذ تحولهم إلى "قساوسة اعتراف" حين يبوح المرضى لا إراديًا بأفظع خطاياهم في الثواني الأخيرة قبل الجراحة. النساء، على وجه الخصوص، يملن للكشف عن ميولهن العاطفية بشكل صارخ. لذا، فإن البنتوثال يضعف مركز التحكم في الدماغ. لكنه يحرر فقط الأفكار المكبوتة عمدًا، لا تلك المدفونة بلا وعي تحت أنقاض الروح.

توسل كاسبر، أساسًا لكسب الوقت:

— "توقف، لا، انتظر..."

كان شيء بارد يخدر ذراعه اليسرى من الداخل. لم يستطع رؤية كمية السائل التي يحقنها شاديك في عروقه، لكنه شعر وكأن نصف لتر من سائل التبريد يسري فيه.

قال شاديك بضحكة خشنة:

– "لا تقلق، أنا أجيد الحقن. تلقى والدي أول حقنة أعطيتها في حياتي بينما كان يغط في نومه، لكن الجرعة كانت أكبر، إذا فهمت قصدي. وماذا عنك أنت؟ بماذا ستعترف؟"

بدا صوت المسعف غريبًا، كصوت شخص يتحدث في كنيسة فارغة. اختلط مع الضربات النابضة لجهاز المسح الضوئي، لكنها كانت قد خفتت، وكأن شخصًا أغلق بابًا عازلًا للصوت كان مفتوحًا حتى اللحظة.

كذب كاسبر:

– "لقد... لقد تذكرت شيئًا للتو."

الفكرة التي واتته قبل لحظة اختفت في ضباب وعيه. المخدر كان يشتت ذهنه.

قال شاديك:

– "أنا أستمع."

كان الإحساس الجليدي ينتشر بثبات. صعد إلى كتفه واقترب من قلبه.

ابتسم كاسبر رغمًا عنه:

– "أنت... أنت قلت شيئًا قبل قليل..."

كان الأمر عبثيًا. شاديك لم يكن طبيب تخدير مؤهلاً. لو أخطأ المسعف في تقدير وزن جسده وحسب الجرعة بزيادة مليمترات قليلة، لانطفأ كاسبر كالمصباح في ثوانٍ، لكن حتى ذلك الحين كان المخدر يخدر مخاوفه. بدلًا من ذلك، بدت أفكار كثيرة تتزاحم لتُسمع في آن واحد، وشعر بصعوبة بالغة في منع فمه من الثرثرة بلا توقف.

حدق في الإبرة في ذراعه وتمنى لو يرشه أحد بماء بارد ليبقيه واعيًا:

— "ماذا أسميت تلك المادة؟"

بدا صوت شاديك قادمًا من بعيد رغم أنه كان يقف بجانبه تمامًا:

— "بنتوثال؟"

— "لا، لا..."

رمش، ثم فتح عينيه على اتساعهما وجاهد بكل قوته لمنعهما من الانغلاق.

بالطبع، هذا هو.

رفع رأسه قدر ما استطاع، بقدر ما سمح به دواره وغثيانه، مما سرّع العملية. كلما شد رقبته، تحولت نقاط الاتصال في رأسه، مما مكن قطار الذاكرة من التوجه نحو أول محطة وسيطة مهمة.

قال، وطقطقت فقرات عنقه وهو يومئ بقوة:

— "منوّم... لقد قلت إنه منوّم. حررني، هذا هو الجواب!"

3:06 صباحًا

خف الضغط لكن البرودة استمرت. في الوقت نفسه، شعر كاسبر بنشوة غير مريحة. قفز قلبه كقرص مضغوط تالف. تارة ينبض بشكل

طبيعي، وتارة يرفرف صعودًا وهبوطًا تحت قفصه الصدري بإيقاع متقطع، مفوتًا دقة هنا وهناك.

كان الأمر مؤلمًا للغاية. خطف الألم أنفاسه، لكنه على الأقل كان لا يزال قادرًا على الكلام رغم أن صوته بدأ يشبه صوت مخمور أكثر فأكثر.

كرر:

– "هذا هو الجواب."

اضطر شاديك لتكرار سؤاله مرتين قبل أن يستوعبه:

– "ماذا تقصد؟"

قال كاسبر متلعثمًا:

– "اللغز الذي كانت صوفيا تمسكه في يدها."

– "إنها الحقيقة، رغم أن الاسم كذبة؟"

– "نعم."

– "حسنًا؟"

ابتلع كاسبر ريقه بصعوبة. كان حلقه ملتهبًا ولسانه كأنه تضاعف حجمه.

– "الجواب... الجواب هو «التنويم المغناطيسي»."

– "لماذا؟"

– "الكلمة تأتي من اليونانية. هيبنوس، إله النوم."

شعر كاسبر بإحساس غير واقعي وكأنه يستمع لنفسه وهو يتحدث، ولكن بتأخير طويل، مثل شخص يجري مكالمة عبر المحيط في الأيام الخوالي. لكنه على الأقل صاغ جملة كاملة.

سأله شاديك بحدة:

– "إلام تلمح بحق الجحيم؟"

ركز كاسبر على تنفسه. قبل الرد أخذ نفسًا عميقًا ثم زفره وهو يعد حتى ثلاثة.

– "كان يُعتقد سابقًا أن التنويم المغناطيسي حالة شبيهة بالنوم. هذا خطأ."

أغلق عينيه مرة أخرى وتحدث بصوت أعلى، جزئيًا لمنع نفسه من الاستسلام للنوم على وقع صوته.

– "على العكس، الخاضع للتنويم يكون مستيقظًا. فقط وعيه المسيطر هو المقيد، كما في حالة الضحايا. كما حدث مع صوفيا. مُحطّم الأرواح قام بتنويمهم مغناطيسيًا. هذه هي الحقيقة، رغم أن الاسم (النوم) كذبة."

زأر شاديك بالكلمة، وسحب صوته صدىً معدنيًا من أبواب خزائن التبريد المصنوعة من الألمنيوم في المعمل:

– "هراء!"

فتح كاسبر عينًا واحدة ثم الأخرى. اخترق شعاع من الألم المتركز شبكية عينيه وكأنه يطعن دماغه.

صرخ رادًا عليه:

– "لماذا؟" أو على الأقل، اعتقد أنه رفع صوته لكنه لم يكن متأكدًا. "ليس لدي القوة لشرح كل شيء الآن. استمع إلي."

ناضل ضد قيوده، لكنه لم يستطع تحريك الذراع التي بها الإبرة لأن شاديك كان يثبته الآن على الطاولة بكلتا يديه.

— "أنت تحتاجني واعيًا."

— "لماذا؟"

قال كاسبر بصوت مبحوح:

— "السبات (Sopor)."

سعل. حلقه الذي التهب بالفعل من الدخان تمزق أكثر بسبب الكلمات القليلة التي نطقها. شعر بعطش لا يصدق، وتمنى جزء منه لو أن شاديك ينهي صداعه بحقن بقية المخدر أخيرًا. لكنه لم يستطع تحمل فقدان الوعي إذا أراد الخروج من هناك حيًا.

تابع، وهو يحاول التقاء عيني شاديك:

— "صوفيا نفسها قدمت الدليل. مُحطّم الأرواح يضع ضحاياه في نوم يشبه الموت تحت التنويم — في تلك الدوامة المؤلمة بين اليقظة والنوم التي لا يستطيعون الهروب منها."

ردد شاديك بذهول:

— "تنويم مغناطيسي؟"

— "نعم. تشتيت، صدمة، مفاجأة، شك، ارتباك، تفكك."

كان كاسبر على دراية بالعوامل التي، سواء منفردة أو مجتمعة، تخلق حالة يمكن فيها التلاعب بأفكار الشخص وأفعاله خارجيًا.

صرخ شاديك:

— "حسنًا، هذا يكفي! الجميع يعلم أنه من المستحيل تنويم شخص مغناطيسيًا ضد إرادته."

قال كاسبر بوهن:

— "أنت مخطئ!"

وارتكب خطأ مد ذقنه للأمام. بعد جزء من الثانية، ولأنه لم يعد مسيطرًا على حركاته، ارتطم رأسه بطاولة التشريح. وميض مبهر آخر سمّر عينيه المغمضتين. للحظة قصيرة ورهيبة، أضاء صورة من الماضي كان يود لو يمحيها: ذكرى طفلة شقراء تهز رأسها مشيرة إلى أنها لا تريده أن يعالجها.

أوه لا، لقد فعلت ذلك. لقد فعلت ذلك ضد إرادتها...

سمع شاديك يقول بغضب:

– "أساطير هوليوود. مواطنون أبرياء يتم غسل أدمغتهم ليصبحوا إرهابيين ويزرعوا القنابل بالأمر، هاه؟ أناس ينتحرون لأن شخصًا نطق بكلمات سحرية؟ ما الذي ستخبرني به أيضًا لتنقذ جلدك؟ كله هراء."

قال كاسبر:

– "كلا، ليس هراء. أستطيع أن أثبت لك ذلك. حررني."

التقط شاديك المحقنة مرة أخرى:

– "احلم."

– "توقف، توقف، توقف."

كان طوفان الأفكار في رأس كاسبر قد تجاوز علامة الخطر. سد الفيضان الذي يضمن قدرته على التواصل كان على وشك الانهيار.

الطب الكلاسيكي يفترض بالفعل أنه لا يمكن وضع أحد في غيبوبة ضد إرادته. لكن ماذا لو كانت الضحية غير مدركة أن التنويم المغناطيسي جارٍ؟ ماذا لو تم إضعاف تصميمهم على المقاومة مسبقًا بصدمات، أو رضوض نفسية، أو عقاقير؟

أراد أن يخبر شاديك عن مشروع لوكالة الاستخبارات المركزية يعود للحرب الباردة — مشروع استكشف تقنيات غسل الدماغ المفيدة عسكريًا وأنتج نتائج مذهلة. لسبب لا يمكن تفسيره، وجد أنه يحفظ «مذكرة الأرتيشوك[1]» هذه عن ظهر قلب:

تحت ستار قياس ضغط الدم، قد يتم استدراج الشخص للاسترخاء. أو قد يُستخدم فحص الدم لحقن عقار. أو فحص العين لجعل الشخص يتابع حركات ضوء صغير أو يحدق في مصباح يدوي بينما تُعطى تعليمات شفهية.

أراد أن يخبر شاديك عن حقن "الفيتامينات" التي أعطيت لفئران تجارب بشرية دون علمهم، والتي احتوت في الواقع على أميتال الصوديوم، وعن بروتوكولات "ألز نر" الغامضة، التي كانت قراءتها وحدها تغير العقل. أراد أيضًا أن يقتبس من التقرير النهائي للجنة الأخلاقيات:

بعد إلحاق ألم جسدي شديد وتعذيب عقلي، ولا سيما إحداث حالات صدمة قصوى ومسببة للرضوض، فإن إعطاء عقاقير مغيرة للعقل يجعل من الممكن وضع الأشخاص القابلين للإيحاء في غيبوبة تنويمية ضد إرادتهم، والسيطرة على وعيهم.

كان كل هذا وأكثر على طرف لسانه، لكنه افتقر للقوة لقوله. في غضون ذلك، وقعت حباله الصوتية فريسة لنوع من التعب المحموم، فكان كل ما استطاع فعله هو التمتمة بشكل غير مترابط.

— "أنت أيضًا، يمكنك..."

[1] مشروع أرتيشوك كان برنامجًا سريًا لدراسة أساليب الاستجواب والسيطرة على العقل شمل تجارب على التنويم المغناطيسي، والعقاقير، والضغط النفسي لمعرفة إن كان بالإمكان إجبار شخص على الاعتراف أو التعاون.

– "ماذا؟"

– "... فعل ذلك أيضًا."

– "ماذا؟"

– "تنويمي مغناطيسيًا."

قبض كاسبر يده، دافعًا شظية زجاج عمدًا داخل لحمه. الألم شتت انتباهه.

– "الأمر كله يعتمد على الظروف. انظر إلي. أنا تحت رحمتك. كلما حقنت المزيد من السم، أصبح كسر إرادتي أسهل."

سعل مرة أخرى، هذه المرة لأنه اختنق بلعابه.

ركل شاديك الطاولة بغضب:

– "ولكن ليس لعدة أسابيع، بالتأكيد؟ وبالتأكيد ليس حتى الموت، مثل الضحية الأولى. بدأت أعتقد أنك لست طبيبًا بعد كل شيء، وإلا لعرفت أن كل تنويم مغناطيسي معيب يتطور عاجلًا أم آجلًا إلى نوم طبيعي. كان الضحايا سيستيقظون من تلقاء أنفسهم. بالتأكيد لم يكونوا ليموتوا."

نعم، أنا طبيب. كان كاسبر متأكدًا من هذا الآن، الذكريات كانت تعود أسرع فأسرع. لو كانوا في مكتب راسفيلد لكان بإمكانه إثبات ذلك لشاديك – يريه دليل الأطباء النفسيين. كان يرى قيده الخاص بوضوح: الدكتور نيكلاس هابرلاند، متخصص في الطب النفسي العصبي والتنويم المغناطيسي فائق العمق.

قال، محاولًا تهدئة شاديك قبل أن يضخ المزيد من البنتوثال فيه:

– "أنت محق. التنويم المغناطيسي الطبي عادة ما يكون غير ضار. فقدان «الرابط النفسي» هو أسوأ ما يمكن أن يحدث..."

فوجئ كاسبر بمدى ألفته بالمصطلحات التقنية.

– "بمعنى آخر، عندما لا يستطيع المنوم التواصل مع مريضه ويتوقف الأخير عن الاستجابة له. نعم، أنت محق في هذا الجانب. كل ما عليك فعله هو الانتظار – الجميع يستيقظ في النهاية. الإصابات غير المقصودة الناجمة عن الإهمال شيء – كما يحدث مثلاً عندما تزحف امرأة من جمهور التلفزيون على أربع مثل الكلب وتسقط في حفرة الأوركسترا. لكن لم يجرِ أحد قط بحثًا حول ما إذا كان من الممكن إيذاء شخص عمدًا، ألا ترى؟"

كان كاسبر يهمس الآن ولم يكن متأكدًا مما إذا كان قد قال كل تلك الأشياء بصوت عالٍ. كانت قدرته على الإدراك قريبة من الصفر. لقد فقد السيطرة على نفسه – ومن المفارقة، حدث ذلك تمامًا عندما احتاج لإلقاء محاضرة عن تقنيات التنويم.

– "إذا طور شخص ما حقًا طريقة للتنويم يمكن بها إرسال الناس عمدًا في غيبوبة يقظة – طريقة يمكن أن يكون لها في النهاية آثار جانبية مميتة – فلن نقرأ عنها أبدًا في أي مجلة طبية لأن ذلك سيكون تجربة بشرية محظورة. لكن هذا، أخشى، هو ما يحدث هنا. هنا في هذه العيادة، ونحن جزء منه!"

أدرك كاسبر أن بعض ما قاله قد أصاب الهدف. عندما شبك شاديك يديه خلف رأسه وحدق فيه بتردد، أضاف كاسبر:

— "فك قيودي، أرجوك. أعتقد أنني أعرف كيف أحرر صوفيا من نوم الموت هذا ونخرج جميعًا من هنا."

زم شاديك شفتيه بشك ومرر أصابعه في شعره. تنهد، وبعد لحظة شعر كاسبر بالضغط على ذراعه يخف. أُزيلت إبرة المحلول وكانت ملقاة بين أدوات التشريح على الطاولة الجانبية.

— "حركة خاطئة واحدة وسأقضي عليك."

كان المسعف يفك الحزام حول معصم كاسبر الأيسر عندما حدث المستحيل. في مكان ما في المبنى، رن جرس هاتف.

3:09 صباحًا

صرخ كاسبر:

— "توقف، لا..."

لكن شاديك كان قد اندفع بالفعل إلى الممر دون أن يلتفت خلفه.

إنه فخ، أراد أن يصرخ، لكن صوته خذله.

مستندًا على يده اليسرى التي أصبحت حرة الآن، انقلب على جنبه وشرع في فك الأحزمة الأخرى بأصابع مرتجفة. تغيرت الألوان من حوله، وكذلك الأصوات. كان جهاز الرنين المغناطيسي لا يزال يقرع مثل أسطوانة «تكنو» صاخبة في الغرفة المجاورة. تسارعت ضربات المطرقة، مغرقة صوت الهاتف الذي ما كان ينبغي له أن يرن. لسبب واحد هو أن الخطوط كانت مقطوعة؛ ولسبب آخر لأنه بدا عاليًا جدًا. ما كان ينبغي أن يكون مسموعًا هنا في القبو.

إلا إذا...

حاول كاسبر الوقوف، فاختل توازنه وسقط بضجة عالية على الأرضية الحجرية الصلبة. سمع شيئًا يطقطق في كتفه الأيسر وأطلق صرخة. قد تكون حواسه مخدرة، لكن مركز الألم لديه لم يكن كذلك.

سقطت طاولة الأدوات عندما حاول سحب نفسه للأعلى متمسكًا بها. وبدافع غريزي التقط مشرطًا سقط بجوار ركبته تمامًا. ثم استبدله بالمحقنة. إذا اضطر للدفاع عن نفسه، فإن حقنة مسددة جيدًا ستكون أسرع مفعولًا حتى لو فقدت المحقنة جزءًا كبيرًا من محتوياتها.

أطلق صرخة أخرى عندما حمل وزنه عن طريق الخطأ على القدم المصابة وغرس الشظية أعمق في كعبه. بصعوبة بالغة، عرج بطول طاولة التشريح وتوجه نحو المخرج. كان على بعد خطوات قليلة، لكن كل شيء كان يسبح أمام عينيه. في البداية تولد لديه انطباع بأن المسافة بينه وبين الباب المفتوح تزداد باطراد.

فقد توازنه مرة أخرى واضطر للتحميل على قدمه المصابة، لكن الألم على الأقل منعه من فقدان الوعي. كان هناك تناقض غير قابل للحل يعتمل بداخله. من ناحية، أراد الهرب قبل أن يصل إليه مُحطّم الأرواح؛ ومن ناحية أخرى، كان يتوق للنوم إلى الأبد.

نوم، فكر، وفجأة عادت رائحة الدخان إلى أنفه، رغم أن هذا ربما كان لأنه الآن في الممر، على بعد أمتار قليلة من غرفة المسح الضوئي التي أشعل فيها النار بنفسه.

لماذا لا تسقط صوفيا ببساطة في نوم عميق؟

بحلول ذلك الوقت كان قد وصل بطريقة ما إلى المصعد وضغط الزر. صعود الدرج كان خارج النقاش. في وضعه الحالي، كانت كل خطوة ستكون عقبة لا يمكن تجاوزها.

أسند جبهته على باب المصعد وحاول التفكير، شاعرًا باهتزازات الماسح الضوئي وخطوات شاديك الثقيلة في الطابق الأرضي فوقه.

توقف الهاتف عن الرنين.

شاديك محق. لماذا لا يستيقظ الضحايا ببساطة، ولماذا يحملون جميعًا قصاصة ورق عليها لغز؟

أصدر كابل المصعد صريرًا كأنه يعاني التهاب مفاصل حين خطرت له فكرة أخرى.

لحظة واحدة...

كان الجواب واضحًا جدًا، لدرجة أنه لم يصدقه في البداية.

سبات. نوم يشبه الموت. بالطبع.

كنا عميانًا تمامًا.

لقد حدث الأمر أمام أعينهم مباشرة. كانت صوفيا تظهر كل أعراض المريض الذي تم التلاعب به من قبل منوم مغناطيسي عديم الضمير.

لا بد أن بروك أعادها إلى صدمة ما في ماضيها — إلى خوفها الأعظم، تجربتها الأكثر إيلامًا. ربما إلى اللحظة التي أخذ فيها شريكها السابق ابنتها منها؟ ثم قام مُحطّم الأرواح بقطع الاتصال عمدًا بينه وبين ضحيته، كما فعل مع الضحايا الآخرين.

لقد أحدث عمدًا "فقدانًا للرابط" وضمن أن صوفيا لم تعد تستجيب للمحفزات الخارجية، بحيث لا يمكن لأحد غيره الوصول إليها.

ومع ذلك، فإن ظهور لينوس غير المتوقع أزعج بروك قبل أن يتمكن من اتخاذ الخطوة النهائية الحاسمة، مما أدى إلى قيام صوفيا بما يحدث عادة في حالة التنويم المعيب: استيقظت مرارًا وتكرارًا.

تذكر كاسبر رفرفة جفونها، أنينها، واللحظات القليلة التي أظهرت فيها رد فعل وحاولت التحدث، لتعود بعدها للانتكاس في غيبوبة.

وكان بإمكاننا تحريرها.

كان بإمكانهم كسر الدائرة وإلغاء الأمر "ما بعد التنويمي" الذي أخضع له مُحطّم الأرواح ضحاياه: أن ينتكسوا إلى حالة تنويمية بمجرد أن يفتحوا أعينهم؛ بمجرد تعرض بؤبؤ أعينهم للضوء.

يا إلهي.

طرق كاسبر على الباب وكأن ذلك سيسرع نزول المصعد، لكن المؤشر الإلكتروني فوق رأسه لم يسجل أي تغيير.

إذًا هو الدرج بعد كل شيء.

ترنح جانبيًا، وتفادى سقطة أخرى بالتشبث بالدرابزين في اللحظة الأخيرة، وجر نفسه بصعوبة صعودًا على الدرج ساحبًا ساقه خلفه.

كان الأمر بسيطًا جدًا. حل اللغز كان هو حل اللغز.

3:11 صباحًا

قبض بيده المصابة على صدره كشكل من أشكال الضغط المعاكس لقلبه الذي كان ينبض أسرع مع كل خطوة يخطوها.

صرخ:

– "شاديك؟"

كان تواقًا لإخبار المسعف باستنتاجاته وآملًا أن تكون منطقية.

إذا كان محقًا، فكل ما عليهم فعله هو الانتظار حتى تفتح صوفيا عينيها في المرة القادمة ثم ينطقون بالكلمة المفتاحية. إذا لم تكن نفسيتها قد تضررت بشدة، فستستعيد السيطرة على وعيها. أو تغرق في نوم رحيم.

– "شاديك؟"

لا رد، رغم أنه صرخ بأعلى صوته.

وصل إلى قمة الدرج أخيرًا، وتركت قدماه الداميتان بصماتهما الأولى على السجاد الكريمي السميك في منطقة الاستقبال. كانت أبواب المصعد تصدر طقطقة خلفه. لم تكن مغلقة تمامًا وظلت تتحرك جيئة وذهابًا بضعة سنتيمترات. تساءل عما إذا كان يجب عليه إزالة الإسفين الخشبي الذي يمنعها من الإغلاق، لكن ما ثناه عن ذلك هو عدم تسرب أي ضوء من الداخل. ماذا لو اختار مُحطّم الأرواح هذه اللحظة ليقفز عليه من الكابينة المظلمة؟

قرر أنه بحاجة إلى مساعدة.

أين ذهب شاديك؟

ولأنه كره مواجهة الخطر المجهول مسلحًا بحقنة فقط، حدق في الممر الكئيب المؤدي إلى المكتبة بحثًا عن العون.

ولماذا الباب موارب؟

ما حير كاسبر أكثر هو الشيء اللامع على بعد أمتار قليلة أمامه. بدا وكأنه يدور، وعكس الضوء المرتعش لنار المدفأة المفتوحة في المكتبة.

عندما اقترب، رأى ما كان ملقى ومقلوبًا في منتصف الممر: كرسي صوفيا المتحرك، وعجلته التي كانت تدور ببطء تكاد تتوقف.

3:12 صباحًا

أنا نيكلاس هابرلاند.

وعيناه مضيقتان، أوقف الإطار المطاطي بإصبعه السبابة.

همس وهو يدفع باب المكتبة الثقيل بقدمه العارية:

– "صوفيا؟"

أنا نيكلاس هابرلاند، طبيب نفسي عصبي.

تحركت شفتاه كشفتي طفل يقرأ كتابًا مدرسيًا بصمت.

كرر نفس الكلمات مرارًا وتكرارًا كتعويذة صممت لدرء الشر الذي توقع أن يجده داخل المكتبة.

أنا نيكلاس هابرلاند، طبيب نفسي عصبي متخصص في مجال التنويم المغناطيسي الطبي.

شدت أصابعه على المحقنة في يده. ثم دخل.

رأى الشكل أمام المدفأة. وأغلق عينيه.

أنا نيكلاس هابرلاند، طبيب نفسي عصبي متخصص في مجال التنويم المغناطيسي الطبي. وقد ارتكبت خطأً.

كانت لا تزال هناك عندما فتح عينيه مرة أخرى: جالسة على أحد كراسي غرفة الطعام بالقرب من النار المدخنة. اكتسى جلدها شحوب الرماد المميت المتناثر على الموقد.

ذقن غريتا كامينسكي كان يستقر على صدرها. يدها اليمنى تتدلى بوهن، ويدها اليسرى تستقر في حجرها. بدت متيبسة وبلا حراك كدمية قد تنقلب جانبيًا مع أدنى تيار هوائي.

للحظة تخيل كاسبر أنه يرى السيدة العجوز تنزلق عن كرسيها، يرتطم رأسها بالأرض وتتفتت إلى غبار.

همس باسمها وخطا خطوة حذرة نحوها، غير متأكد مما إذا كان صدرها يرتفع وينخفض، أم أن هذا مجرد وهم خلقه الوهج المتقطع للنار خلفها.

شاديك، ياسمين، أين أنتما؟ تساءل وهو يبحث عن أي علامة للحياة. نبض في الشريان السباتي، رفة للشفاه البنفسجية. أي شيء.

عندما أصبح في متناول ذراع غريتا، ركع على ركبتيه. وضع المحقنة على السجاد بجانب قدميها خوفًا من إيذائها، ونادى اسمها بصوت عالٍ. حدث كل شيء بسرعة كبيرة بعد ذلك.

لم يستطع أن يحدد أيهما سمع أولاً، صرخة الاحتضار أم النقر المعدني. لم يعرف حتى كيف تمكن من الركض عائدًا عبر الممر بتلك السرعة – عائدًا في اتجاه المصعد الذي كانت تنبعث منه أصوات صراع. كانت الأبواب مفتوحة أوسع قليلًا والضوء يتدفق من الكابينة:

الشعاع الرفيع المرتجف لمصباح يدوي صغير يلعب فوق مكتب باخمان بالقرب من المدخل. توقف كاسبر.

كان الممر أضيق من اللازم والمصعد لا يزال بعيدًا جدًا ليرى ما بداخله. كل ما رآه بالتأكيد هو أن الأبواب لم تعد معاقة بإسفين خشبي. فقط ساقاها وقدماها كانتا لا تزالان بارزتين. مُحطّم الأرواح كان قد سحب بالفعل بقية جسد صوفيا إلى الكابينة المظلمة.

خارج العيادة

3:13 صباحًا

أصبحت العاصفة أكثر تقطعًا. رغم أنها لا تزال تضرب بغضب بدائي بلاط الأسطح، ومصاريع النوافذ، والكابلات الهوائية، وأي أجسام غير مثبتة بحماقة كافية لتعترض طريقها، إلا أنها كانت تأخذ استراحة عرضية وكأنها تستعد لكسر هوائيات التلفزيون أو اقتلاع الأشجار بقوة مكتسبة حديثًا. ورفيق العاصفة المخلص في درب الدمار كان الثلج، شريك يخفي أسوأ الأضرار تحت عباءة بيضاء من التخفي، ويقذف نفسه في وجه أي شخص يحاول مشاهدة العاصفة وهي تمارس عملها التدميري.

رغم أن الرياح انخفضت درجة واحدة على مقياس بوفورت، لم يكن أحد ليغادر مأمن منزله في هذه الساعة. إلا إذا كانوا مضطرين بالطبع. مثل مايك هافنر.

زمجر هافنر وهو وحده في كابينة كاسحة الثلوج:

— "أسهل وظيفة في العالم؟ نعم، ياللعنة!"

ضرب عجلة القيادة البلاستيكية بكلتا يديه.

كان ينبغي أن يعرف. ما كان ينبغي له أبدًا الاستماع لـ شواكه. ذلك المحشش الذي بالكاد يميز بين سيجارة الحشيش والناي، فكيف له أن يدبر صفقة مربحة لصديق.

قال شواكه متهللاً: "ألفي يورو يا صاحبي. ألفان مضمونان، حتى لو لم تمطر ثلجًا، ونحن جميعًا نقرأ الصحف، أليس كذلك؟" ثم سحب جفنه السفلي بإصبعه الأوسط وغمز بتواطؤ: "الاحتباس الحراري، ثاني أكسيد الكربون، تأثير الصوبة الزجاجية. إذا حصلنا على شتاء ثلجي آخر يا صاحبي، سأنضم لجمعية المتعافين من المنشطات."

أخرج هافنر هاتفه المحمول بنية الاتصال بصديق دراسته السابق وتمني أن يصاب بسرطان في الخصيتين. لا، يفضل شيئًا معديًا — إيبولا، على سبيل المثال. كان شواكه هو من أقنعه بترك وظيفته الآمنة في متجر الفيديو وبدء العمل مع شركة «ف. أ. وورمز وشركاه»، شركة إزالة الثلوج الخاصة.

"الديدان تزحف في العواصف"، هكذا كان الشعار على ظهر كاسحة الثلوج، واكتشف هافنر، عندما رن الهاتف قبل عشرين دقيقة، أن الشركة اللعينة تأخذ الأمر حرفيًا. "طالما الحافلة منتصبة، يمكنك قيادتها!" هكذا قال له مدير العمليات بفظاظة. والآن كان من المفترض أن يفتح طريقًا إلى مرآب قط سمين في هذه الضاحية الخارجية الراقية.

لا توجد إشارة!

ألقى هافنر هاتفه في مكان الأقدام وشغل الراديو، الذي كان صوته يتقطع أيضًا. لا بد أن منسق الأغاني اعتقد أنه خفيف الظل للغاية، لأنه

كان يشغل أغنية "ريغي الشمس المشرقة". أو أن محرر الموسيقى مجنون مثل شواكه. تركه يعمل على كل حال. بالكاد تسمع أي شيء أصلاً، مع هدير الديزل المزعج داخل الكابينة وعويل الرياح في الخارج. مسرعًا، انزلق بشكل أعمى حول منعطف في الطريق. كان ينبغي أن يقود ببطء أكثر في هذه العاصفة الثلجية، لكن ذلك كان سيقلل من ضجيج المحرك. إذا كان عليه العمل، فلماذا ينعم هؤلاء القطط السمان بليلة نوم هانئة؟ داس دواسة الوقود حتى النهاية.

اللعنة عليك يا شواكه، سأجعل من أمعائك أربطة حذاء، فكر للحظة، قبل أن يلوح شكل في أضوائه الأمامية مباشرة.

لا بد أنني أتخيل أشياء، قال لنفسه. لا أحد أحمق بما يكفي ليتنزه في هذا الجو.

كان مخطئًا. توقف في الوقت المناسب، وأنزل النافذة وأخرج رأسه.

صرخ:

— "تبًا، ما الذي تفعله هنا بحق الجحيم؟"

كان الرجل شبه العاري يلوح بذراعيه بذعر. يداه كانتا زرقاوين داكنتين من البرد، وملامحه منهكة ومشدودة. لم يستطع هافنر تحديد ما إذا كان يرتجف من الخوف أم البرد، كما لم يستطع فهم ما كان يصرخه.

— "فوسيا! فوسياباتيكيل!"

بدا الأمر كثرثرة غير مفهومة. بالنسبة لهافنر، على الأقل.

داخل العيادة

3:15 صباحًا

لم يفهم كاسبر بعد الخطة الأساسية، لكنه أدرك هدفها الشرير.

مُحطّم الأرواح دفعهم لمغادرة معمل الباثولوجيا. لقد أسدوا إليه هذا المعروف وتفرقوا، وتمكن هو من التسلل دون أن يلاحظه أحد إلى المصعد الذي يحتاجه لنقل ضحيته المحكوم عليها بالموت إلى مخبئه في القبو السفلي: المختبر الذي لا يمكن الوصول إليه إلا بمساعدة مفتاح راسفيلد الخاص، والذي لا شك أن بروك أخذه من المدير الطبي المقتول، ولا بد أنه الآن يدخله في الفتحة بجانب الزر النحاسي المكتوب عليه «ــ 2».

بخطوة مترددة تلو الأخرى، مثل طفل يكره الدوس على شقوق الرصيف، اقترب كاسبر ببطء من المصعد للتحقق من صحة شكوكه الرهيبة. كانت أرجل بيجامته تحف ببعضها مع كل حركة. توقف لفترة وجيزة، ملاصقًا للجدار وغير قادر بعد على الرؤية داخل المصعد الذي استمرت أبوابه في الفتح والإغلاق على فخذ صوفيا السفلي. سمع شهيقًا يصفر ويقرقر. ثم ارتعشت قدماها، وانقلبت أصابع قدميها لأعلى، واختفى جزء آخر منها داخل الكابينة.

غير عابئ بقدميه الممزقتين، انطلق كاسبر راكضًا. لم يستطع الانتظار أكثر من ذلك. إذا أراد إنقاذها، فعليه التصرف.

دون تفكير، اندفع نحو المصعد، وضغط زر الاستدعاء وكبت خوفه بالصراخ باسم شاديك.

استمر في الصراخ بينما انزلق الباب مفتوحًا ورفض دماغه قبول المشهد الذي التقت به عيناه.

كان بروك جاثيًا على أرضية الكابينة يطبق بكلتا ذراعيه على رأس صوفيا. ربما كان يحاول تطبيق قبضة تقويم العمود الفقري. أو كسر رقبتها.

المصباح اليدوي المثبت تحت ذراعه اليسرى انزلق أثناء محاولته سحبها للداخل. شعاعه الآن يضيء الجزء العلوي من جسده، وكأنه يريد الإعلان عن مظهره المرعب. ملتفًا حول رقبته كوشاح متيبس بالدم، كشف الضماد الممزق عن الجرح أسفل تفاحة آدم، الذي انفتح، مبرزًا إياه بطريقة مروعة.

مُحطّم الأرواح يبدو رجلًا محطمًا هو الآخر، كانت هذه فكرة كاسبر الأولى وهو يضع قدمه العارية في الباب. مترنح وغير قادر على سحب أي شخص إلى أي مكان، ناهيك عن قتلهم. كانت عيناه أكثر ملامحه حيوية، تعكسان ضوء المصباح بطريقة شبحية.

قبل أن يتمكن كاسبر من تقييم فرصه، أطاع دافعًا غريزيًا وقفز بشكل أعمى إلى داخل المصعد. ترنحت الكابينة المكسوة بالمرايا تحت قدميه وهو يلقي بكامل وزنه على بروك. وبفعله هذا خنق الصرخة على شفتي مُحطّم الأرواح، التي بدت كاسم ضحيته الرابعة.

— "صوفيييييي..."

فوجئ في البداية بالضعف النسبي لمقاومة بروك. في الثواني القليلة الأولى بدا الأمر كقتال بين خصمين متكافئين — بين رجلين مصابين يضربان عشوائيًا على أمل إبعاد خصمهما. ثم تدفق الدم من أنف

كاسبر. المصباح اليدوي سقط على الأرض منذ فترة وكان ينزلق بين أقدامهما العارية، لذا لم يرَ الكوع القادم نحوه من الظلام.

مستشيطًا غضبًا، تلمس كاسبر وجه بروك وأطبق بيده على فم السيكوباتي رغم الركبة التي استمرت في صدم معدته. ثم انزلق إبهامه وانغرس في جرح الحلق. ضغط بقوة، وتحول عواء بروك غير المفهوم إلى صراخ. كان إبهام كاسبر الآن عميقًا في قصبته الهوائية، بظفره وما حوله.

بدأت مقاومة بروك تضعف، لكن كاسبر شعر فجأة بألم لا يطاق في فم المعدة — ألم استولى على جسده بالكامل. حاول الابتعاد قبل أن يركله بروك في منطقة حساسة مرة أخرى، لكن الأوان كان قد فات. انثنى جسده، وارتطم جبهته برأس صوفيا، واستلقى متكورًا على الأرض بجانبها. توقعًا لضربة أخرى، حمى وجهه بأفضل ما يستطيع، لكن بروك كان قد سقط على ركبتيه وراح يتقيأ من شدة الألم.

تراجع كاسبر للخلف، متلمسًا ساقي صوفيا، واحتك بالمصباح اليدوي. وبينما كان يمسكه ويلتقطه، ناويًا تسليطه في عيني مُحطِّم الأرواح لإعمائه، التقط شعاعه حذاء رياضيًا نسائيًا.

حذاء؟

رأى الآن فقط أنهم لم يكونوا وحدهم. بالإضافة إليه، وبروك وصوفيا، كان هناك شخص آخر ملقى في الزاوية البعيدة من مصعد المستشفى الكبير.

ياسمين.

كانت تنزف. كان ذلك، على الأقل، السبب المنطقي الوحيد الذي وجده لتلون بلوزتها الشاحبة حيث كان مقبض مطاطي أسود يبرز من صدرها.

لا وقت لهذا.

بصق كاسبر الدم الذي تجمع في فمه ولف ذراعيه حول ركبتي صوفيا. ثم نهض بصعوبة وتراجع خارج المصعد منحنيًا، ساحبًا إياها معه مثل لفافة سجاد. وفي أثناء ذلك انتزع خصلة كبيرة من الشعر الذي كان بروك جاثيًا عليه، وهو لا يزال ممسكًا بحلقه بكلتا يديه. كان الدم يخرج من فمه أيضًا.

كانت صوفيا تقريبًا في الخارج عندما انزلقت ساقاها من بين أصابع كاسبر الدامية. متجاهلًا الألم في اليد التي جرحها في غرفة المسح الضوئي، مسح الدم على صدره المليء بالندوب، وطوّق وركيها في عناق يائس وألقى بنفسه إلى الخلف.

كان بروك قد وقف أيضًا، لكنه ترنح كملاكم يتلقى العد وقوفًا وبدا مفتقرًا للقوة لشن هجوم آخر. وقف هناك فقط وفمه مفتوح، فقاعة من اللعاب تتشكل على شفتيه. مد ذراعيه، لكن صوفيا كانت بعيدة عن متناوله.

لقد فعلها كاسبر. ارتطم رأس صوفيا عبر عتبة المصعد وهو يسحبها بعيدًا. بدا وكأن مُحطّم الأرواح يصرخ باسمها مرة أخرى قبل أن تنزلق أبواب المصعد مغلقة، كاتمة صوت صوته المعذب.

كان آخر ما رآه كاسبر هو الساق المثنية للممرضة التي لم يستطع فعل شيء لها.

متنفسًا بصعوبة، سقط على جانبه دون أن يترك قدم صوفيا المتجمدة. مرر إبهامه عبر باطن قدمها، ورأى أصابع قدميها تلتف تحت ضغطه، وشعر برغبة في الاكتفاء بعلامة الحياة هذه — أن ينام هناك بجوار الدرج، على سجاد منطقة استقبال عيادة تويفيلسبيرغ. كان يعلم أن هذا خطأ — وأنه يجب أن يظل مستيقظًا — لكنه كاد يغفو عندما أيقظه سعاله مرة أخرى. كان عليه الجلوس وإلا لاختنق.

بصق، وهبط رذاذ من الدم واللعاب على الحذاء الأسود الطويل الذي ظهر فجأة بجانبه.

نظر لأعلى.

سأل شاديك بصوت واهن:

— "أين كنت؟"

— "ذهبت للبحث عن الهاتف. ذلك الوغد أوصله ليرن بنفسه وأعاده أمام الميكروفون، لنسمعه في الأسفل عبر نظام الإذاعة الداخلية."

أومأ كاسبر. كان يشك في ذلك.

— "وهل استغرق ذلك وقتًا طويلًا؟"

ضحك شاديك واقترب خطوة:

— "لا. قضيت بقية الوقت أراقبك."

للمرة الثانية في نصف ساعة سحب مسدس التخدير. لكن هذه المرة، استخدم المقبض فقط — ليضرب كاسبر على رأسه بأقصى قوة لديه.

فلاش باك

– "مهلاً، لا تشدّني هكذا يا طرزان. الأرض كاسية بالجليد."

كانت محاولة فاترة لكبح جماح كلبه الذي كان يشد المقود بقوة. ما الخطب؟ هل أفزعه شيء ما؟

أم أن طرزان كان منزعجًا لأنه تركه مقيدًا لفترة طويلة هنا في هذا العراء القارس؟ ربما ظن أنه سيتعرض للهجر مجددًا، تمامًا كما فعل مالكه السابق حين تركه مع بقية الجراء ليموتوا في تلك السيارة المهجورة بعد أن فقأ عينه بعصا.

نادى الكلب الشاب:

– "حسنًا، حسنًا.. أنا أرغب في الرحيل من هنا بقدر رغبتك تمامًا."

لا بد أن الهجين التقط رائحة ما. ثعلب أو خنزير بري ربما. الروائح تعلق أحيانًا في الهواء لساعات بعد مرور الحيوانات، لكن لم تكن هناك رائحة تُذكر هنا في الممر سوى دخان الحطب، وهو أمر غير مستغرب نظرًا للمداخن الكثيرة البارزة من المبنى خلفه.

تمتم مترددًا:

– "انتظر، ألا يمكنك..."

تساءل إن كان عليه إفلات المقود. كان المسير يزداد صعوبة كلما توغل في المنحدر. غطى الثلج الجديد بقع الجليد على الأسفلت، ويبدو أن الحمال لم ينثر الملح بعد. لقد تعمد الانتظار حتى يغادر هو، لكن انتظاره ذهب سدى.

تحسس معطفه من الداخل، لكن جيب الصدر كان فارغًا. لقد احترق للتو أمام عينيه.

انتصب ألم الحزن العميق والكئيب أمامه كجدار لا يمكن تجاوزه. كل شيء كان عبثًا، بلا طائل. قام بمحاولة أخيرة وفشل كما كان متوقعًا. وها هو يقف الآن في الممر، عاجزًا عن الحركة، غير قادر على اختراق حاجز الاكتئاب الذي يحول دون عودته إلى حياة طبيعية.

انتفضت ذراعه حين جذبه طرزان جذبة أخرى، لكن جسده ظل متسمرًا في مكانه، باردًا كأشجار التنوب المصطفة بجانب الطريق، التي هددت أغصانها بالانكسار تحت وطأة الثلج الجديد. وفجأة... سمع صوت بقبقة. وبينما كان يسقط، بدأ الهواء من حوله يغلي كقدر حليب يفور. امتزج ذلك الصوت بهمس، ودار العالم من حوله. سمع تكسر أغصان، ولمح ومضات خاطفة للأشجار من زاوية مختلفة، وشعر بالمقود يشتد حول معصمه.

ثم جاء صوت طقطقة، رغم أن أيًا من الأشجار لم تفقد غصنًا. في الوقت ذاته، ارتفع صوت البقبقة والهمس، وإن لم يعد الهمس همسًا حقًا، بل تحول إلى صوت حاد مشوه قليلًا يبتعد تدريجيًا في المدى.

ثم سمع شيئًا ينكسر — قطعة خشب أو عظم — وأدرك أن الارتطام بالأرض لا مفر منه. حدث ذلك قبل لحظة من ظهور النيران أمامه مباشرة. لم تكن نيران لوحة القيادة كما في اليوم الذي بدأ فيه كل شيء، بل نيران المدفأة التي كانت الأغصان تطقطق فيها، بينما كانت الرياح الجليدية تسحب اللهب المتوهج إلى المدخنة. ثم سمع الصوت أيضًا. معدنيًا غريبًا، لكنه عالٍ وواضح.

قال الصوت:

— "هي لك.. تعال وخذها."

3:20 صباحًا

حاول كاسبر فتح عينيه والهروب من الحلم، لكن بلا جدوى: كان مستيقظًا بالفعل. النار أمامه — تلك التي كان يحدق فيها لفترة — كانت حقيقية تمامًا مثل الكلمات التي سمعها عبر نظام الإذاعة الداخلية للمبنى.

انبعث صوت شاديك الخشن من مكبر الصوت فوق رأسه:

— "تعال وخذها!"

شاديك؟ أي لعبة يلعبها بحق الجحيم؟

فشلت محاولة كاسبر للنهوض من كرسي المكتبة لعدة أسباب. كان السبب الرئيسي عجزه عقليًا وجسديًا عن القيام بأبسط الأفعال بعد نوبات الألم والعنف التي تجرعها في الساعات القليلة الماضية. كاد يموت اختناقًا بالدخان، وتم تخديره رغماً عنه. وبالإضافة إلى تمزق يديه وقدميه، ربما كُسر أنفه على يد بروك، كما كان يدين بموجات الغثيان الجليدية التي تعتريه لارتجاج في المخ سببه له شاديك.

لم يملك القوة للوقوف، لذا كان حزام ثوب النوم الذي قيده به المسعف إلى ظهر الكرسي إضافة لا لزوم لها.

— "يمكنك الحصول عليها يا بروك. لقد دفعتها إلى قاعة المدخل."

أصدر الميكروفون صريرًا لحظيًا ناتجًا عن التشويش قبل أن يحرر شاديك زر التحدث.

يا إلهي. إنه ينوي التضحية بها.

وكأن كلمات شاديك تطفئ آخر بصيص أمل لديه، خمدت ألسنة اللهب في الموقد فجأة وتدفق سحاب كثيف من الدخان إلى المكتبة.

أغلق كاسبر عينيه الدامعتين وابتهل أن تهدأ العاصفة الثلجية التي كانت تشق طريقها عبر المدخنة.

– "أتريدها يا بروك؟ هي لك، إنها هدية عيد الميلاد الخاصة بك. خذها وافعل بها ما شئت، ولكن اغرب عن وجهنا بعد ذلك. هذا هو الاتفاق، موافق؟"

حاول كاسبر النهوض مرة أخرى. كاد يسقط إلى الخلف في النار، لكن ذلك كان كل ما حققه. بدأ يتصبب عرقًا.

– "يمكنك أخذ الباقين أيضًا. إنهم في المكتبة، حيث طعنتَ ياسمين. العجوز لا تزال حية."

استدار كاسبر ليرى، فلاحظ تغييرًا طفيفًا في وضعية غريتا. كان فمها مغلقًا الآن.

– "والمجنون مقيد، لذا فهو صيد سهل. خذهم جميعًا أو خذ صوفيا فقط، لا أهتم. الشيء المهم..."

توقف شاديك عن الكلام لكنه أبقى الزر مضغوطًا.

– "تبًا، لا! ما الذي..."

بعد ثانيتين دوى صوت تحطم. ثم صرخة مبتورة ترددت أصداؤها في غرف العيادة الخالية ورنت في أذني كاسبر.

أنت أحمق يا شاديك! يا لك من أحمق...

ماذا قال باخمان؟ لم يكن هناك سوى ميكروفونين متصلين بنظام الإذاعة العامة، وقد جعل المسعف من نفسه هدفًا بجانب أحدهما. الشك الوحيد المتبقي هو ما إذا كان بروك قد قضى عليه قبل ذهابه لإحضار صوفيا أم بعد ذلك.

هناك يقين واحد فقط...

شد كاسبر قيوده بيأس وعين واحدة تراقب الباب المؤدي للممر، الذي كان مواربًا. لقد أخذ شاديك المفتاح.

... بروك في طريقه إلى هنا!

لم يمض وقت طويل حتى أكد صوت الخطوات التي تزحف عبر الممر صحة ظنه.

3:23 صباحًا

نار.

دخان.

كتب.

غريتا.

بينما كان يبحث عن وسيلة للهروب من المحتوم، دخل دماغ كاسبر في وضع توفير الطاقة. لم يعد قادرًا إلا على أفكار من كلمة واحدة وعيناه تجولان في المكتبة.

ألغاز.

بروك.

غريتا.

كتب.

وبينما سجل عقله في مستوى ما من الوعي حقيقة أن الخطوات الزاحفة في الممر قد توقفت لعدة ثوانٍ، كانت غريزة البقاء تستنزف آخر قطرات الأدرينالين لديه. حدق في النار، مفكرًا في السيارة التي كاد يحترق فيها حتى الموت، وتساءل عما إذا كانت تلك النهاية ستكون أكثر رحمة. ثم أغمض عينيه، عاجزًا عن طرد صورة ساعة وهمية على لوحة قيادة مشتعلة تدق ثواني الحياة المتبقية له. كان العقرب الدائر قد دخل المنطقة الحمراء بالفعل.

أحمر كالنار.

هذا هو. الاحتمال الأخير.

موقد.

دخان.

نار!

تخلى عن محاولاته العقيمة لفرد كتفيه وقطع الحبل. وبدلًا من ذلك، ألقى بكامل وزنه للأمام ودفع الكرسي أقرب إلى الموقد.

النار. يجب أن أقترب أكثر...

ألقى بنفسه جانبيًا. مرة، مرتين، حتى اختل توازنه أخيرًا. تولت الجاذبية الأمر وسقط على الأرض. كان الارتطام تذكيرًا مؤلمًا بأن كتفه قد خُلع جزئيًا بالفعل عند سقوطه من طاولة التشريح. هبط رأسه برفق نسبي على كومة من الرماد البارد.

يجب أن أصل للنار، قال لنفسه مرارًا وتكرارًا، مرددًا الكلمات في رأسه كالتعويذة.

كان لا يزال مقيدًا بالكرسي، ملقى بزاوية تجاه الموقد وبعيدًا جدًا عن اللهب، لكنه على الأقل حظي برؤية أفضل للباب الذي لم يتزحزح مليمترًا واحدًا. لم يضع كل شيء بعد. سحب ساقيه، موقعًا أدوات الموقد أثناء ذلك، لكنه أدرك من الحرارة المتزايدة على ظهره أنه لا بد قد اقترب من هدفه.

بعد ذلك، ألقى بوزنه ضد ظهر الكرسي الذي أصدر أنينًا. وفجأة، ودون سابق إنذار، أصبحت الحرارة مؤلمة بشكل لا يطاق. مرة واحدة فقط في حياته صرخ بهذا الصوت العالي، وكان ذلك حين كاد يحترق حيًا في سيارته. بدت ألسنة اللهب وكأنها تشتم فرصة لإكمال العملية، لكنها لم تحرق صدره هذه المرة؛ بل كوت ذراعيه من الخلف كشفرات حلاقة ملتهبة، مما أخبره أنه في الوضع الصحيح تقريبًا.

تقريبًا. بضعة سنتيمترات أخرى، ولن يكتفي الجذع المتوهج بحرق معصميه بل سيحرق الحبل حولهما أيضًا.

صر كاسبر على أسنانه ليكتم الصرخة التي صعدت إلى شفتيه. بالإضافة إلى الرائحة الحلوة للحم المحترق، خُيِّل إليه أنه يشم أخيرًا رائحة ألياف قطنية تحترق ببطء.

بالفعل، بدأ الحبل يرتخي قليلًا.

أم أن هذا خيالي فقط؟ هل يقودني الألم للجنون التام؟

شد الحبل ليعرض أكبر قدر ممكن منه للنار.

هل يرتخي؟ أظن...

نعم.

لا.

نعم.

لا.

فات الأوان.

سحب ذراعيه من النار ونظر إلى الباب. كان مفتوحًا على مصراعيه الآن — أوسع بكثير مما كان عليه قبل ثوانٍ. تيار بارد عبر الأرضية وصفر في أذنيه ولفح عينيه المتسعتين رعبًا. لم يستطع انتزاع نظره من مُحطّم الأرواح، الذي كان يدخل الغرفة للتو.

3:25 صباحًا

انكمش كاسبر بعيدًا عن الحرارة التي لا تطاق وحنى رأسه. كانت معصماه أكثر حرية الآن بالتأكيد، لكن ما نفع ذلك؟

لم يكن في حالة تسمح بقتال آخر.

تلمست أصابعه الرماد خلف ظهره، وأطبقت على جمرة متوهجة. ألقاها فورًا من شدة الألم. كان الأمر بلا جدوى.

في وضعه هذا، ومعصماه لا يزالان مقيدين خلف ظهره، لم يكن ليستطيع قذف أي شيء في وجه بروك. وحتى لو فعل، ماذا كان سيحقق؟

كان يجب أن نتسلق عبر المدخنة... يا للسخرية أن تخطر له فكرة كهذه الآن، بعد أن أهدرت كل فرصهم وسُدت كل طرق هروبهم. على أي حال، كانوا سيجدون المخرج مسدودًا بشبكة بالتأكيد. التفكير في مثل هذه الأمور كان عبثًا الآن ومُحطّم الأرواح على بعد خمس خطوات متعرجة فقط من فريسته المقيدة.

كان تنفس بروك المجهد يصفر عبر الجرح في حلقه وهو يخطو خطوة ثقيلة أخرى. نقل شيئًا لامعًا من يده اليمنى إلى اليسرى.

أربع خطوات أخرى.

سكين؟ مقص؟

كان ضوء النار خافتًا ومتقطعًا جدًا ليميز كاسبر الشيء دون عدساته اللاصقة. ربما حصل بروك على مشرط من الصيدلية. ربما استخدمه بالفعل للتخلص من شاديك.

ثلاث خطوات أخرى.

تلوى كاسبر على الأرض كعنكبوت محكوم عليه بالدوران في مكانه لأن طفلًا نزع إحدى أرجله. تمنى حدوث معجزة، ابتهل أن تستعيد غريتا وعيها وتهشم رأس مُحطّم الأرواح بملقط النار، لكنه رأى بطرف عينه أن ساقيها لا تزالان تتدليان بوهن من حافة الكرسي على بعد ثلاثة أمتار على الأقل. كان توقعه لذلك أشبه بتوقع أن تركض ماراثونًا.

شعر برغبة في الصراخ طلبًا للمساعدة. للمفارقة، ذكره الدخان في رئتيه بأن أحدهم نصحه ذات مرة أن يصرخ دائمًا "حريق!" إذا واجه خطرًا، وليس "النجدة!"، لأن معظم المارة يستجيبون للنداء الأخير بالنظر إلى الجهة الأخرى. كاد يضحك على هذه الفكرة، لولا أن الموت كان قريبًا جدًا.

خطوتان أخريان.

وعندها، وفي اللحظة التي رأى فيها كاسبر أن الشيء الممسوك كقلم الرصاص في أصابع بروك الطويلة كان بالفعل مشرطًا، وفي اللحظة

التي طغى فيها ذعر أخير هائل على إحساسه بالألم — في تلك اللحظة بالذات، بدأ مُحطّم الأرواح يرقص.

3:26 صباحًا

كان باليه مرعبًا يؤديه مجنون أشعث بدا وكأنه فقد السيطرة تمامًا على أطرافه. بالنسبة لكاسبر، بدا وكأنه يؤدي رقصة الموت بالحركة البطيئة. في الواقع، لم يستغرق العرض كله سوى بضع ثوانٍ.

بدأ الأمر حين انفتح فم بروك — ببطء، مثل فم سمكة. ارتعشت ساقه اليسرى بشكل تشنجي. رفع قدمه ولوّح بكلتا ذراعيه في الوقت نفسه، فيما بدا كمحاولة يائسة للحفاظ على توازنه.

ثم انثنى كأن أحدهم لكمه في معدته. تجمدت ذراع كانت تدور في منتصف حركتها، ووصلت اليد الأخرى لقدمه.

دار بروك حول نفسه وكأنه يمنح كاسبر فرصة لتفحص الشعر الخفيف على ساقيه، وهكذا تمكن كاسبر من رؤيتها.

لا! يا إلهي...

الحقنة.

بالطبع. لقد وضعتها على الأرض قبل إلقاء نظرة على غريتا.

لم يصدق حظه. قبل بضع دقائق حاول شاديك تعذيبه بها. والآن، وعلى بعد خطوة قصيرة واحدة منه، داس مُحطّم الأرواح على الأسطوانة البلاستيكية وغرس الإبرة في قدمه الحافية، مباشرة في مشط القدم. لو لم يكن يزحف بتلك الطريقة — لو كان يجر قدمًا وراء الأخرى — لربما

اصطدمت الإبرة بعظم وانكسرت. لكن كما حدث، انغرست في الأنسجة الرخوة وضغط وزن بروك نفسه على المكبس.

لذا كانت الرقصة. لذا كان الارتعاش.

بحلول الوقت الذي حاول فيه بروك سحب الإبرة من قدمه، كان الأوان قد فات. كان الـ بنتوثال أحد أسرع الباربيتورات مفعولًا في الوجود، وفي حالته المنهكة، سيحدث التخدير في غضون ثوانٍ.

اتسعت عيناه في دهشة، وانقلبتا لأعلى حتى لم يعد يظهر منهما سوى البياض. ثم هوى السيكوباتي، مباشرة فوق كاسبر، ودفنه تحت جسده.

تكسرت أضلاعه أولاً، ثم ظهر الكرسي. لم يستطع كاسبر التنفس، واكتسب خوفه من الموت بعدًا خانقًا.

ماذا الآن؟ ماذا سأفعل؟

كانت الحقنة نصف فارغة، لذا سيستعيد بروك وعيه في غضون دقائق. كان كاسبر مقيدًا بشكل مزدوج بقيوده ووزن السيكوباتي، الذي بدا وكأنه يزداد ثقلًا مع كل نفس مؤلم يسحبه.

كان المشرط، الذي سقط من يد بروك، قريبًا جدًا من النار بحيث لا يمكن الوصول إليه.

علاوة على ذلك، أنا لست خبير هروب. أنا نيكلاس هابرلاند، طبيب نفسي عصبي متخصص في مجال التنويم المغناطيسي الطبي. وقد ارتكبت خطأً.

حابسًا أنفاسه، سحب ساقيه بقدر ما سمح به الوزن الجاثم فوقه وحاول العثور على نقطة ارتكاز تمكنه من زحزحة جسد الرجل فاقد الوعي عنه.

طقطقة.

مصدر الصوت هذه المرة لم يكن جذعًا مشتعلًا ولا ضلعًا مكسورًا؛ بل الكرسي، الذي لم يصمم ببساطة ليتحمل وزن جسدي رجلين.

رغم أن معصمي كاسبر كانا لا يزالان مقيدين، فإن ظهر كرسي غرفة الطعام كان ملصوقًا بشكل رديء وانفصل عن المقعد.

سحب ساقيه مرة أخرى حتى أصبحت ركبتاه في فم معدة بروك، مسندًا إياه كشريك في تمرين جمباز ثنائي. ثم، صاكًا على أسنانه، تدحرج جانبًا. نجح الأمر من المرة الأولى — ولحسن الحظ، لأنه لم يكن ليملك الطاقة لمحاولة أخرى وكان ليموت في عناق بروك القاتل.

متحررًا من عبئه الهامد، ثبت كاسبر قدميه ضد الأرض ودفع نفسه للخلف موازيًا للموقد. عندما فشل ذلك في تحقيق النتيجة المرجوة، أطلق محاولة يائسة أخيرة لتحرير نفسه: انقلب على جنبه، محملًا وزنه مرة أخرى على كتفه المصاب، وتدحرج بعيدًا عن الموقد. كان ذلك كل ما تطلبه الأمر لتحطيم ظهر الكرسي وفصله عن المقعد تمامًا. رغم أن يديه كانتا لا تزالان مقيدتين خلفه، كان حرًا من نواحٍ أخرى. كان بإمكانه التحرك — كان بإمكانه الوقوف ونفض ظهر الكرسي المزعج — لكن كل ما أراده في تلك اللحظة هو إغلاق عينيه والنوم. لاستبدال

الواقع المرعب بحلم. مثل بروك، الذي تكور في وضعية الجنين، يتنفس بصوت عالٍ.

لكن إلى متى؟ عشر دقائق؟ خمس؟

أغمض كاسبر عينيه واستمع إلى تنفسه المتحشرج، الذي كان يحاول عبثًا تنظيف خليط الدم واللعاب وجزيئات الدخان من فمه. كان إيقاعه متقطعًا كإيقاع جهاز الرنين المغناطيسي في القبو حيث ترقد صوفيا بلا شك في هذه اللحظة. وحيدة وعلى أعتاب الموت.

تشكلت صورتها في مخيلته – صورة الطبيبة النفسية التي اعتنت به برفق حين احتاج مساعدتها لإعادة اكتشاف نفسه والابنة التي تخلى عنها في أقصى الظروف. الآن وقد أعاد تجميع بضع ذكريات متناثرة، كانت صوفيا تائهة أكثر مما كان هو عليه في أي وقت مضى. سجينة داخل نفسها، محبوسة في زنزانة جسدها. من يدري، ربما أتمكن من رد الجميل لك يومًا ما، قال لها ذات مرة، حين كانت تبذل قصارى جهدها لتخفيف كربه العقلي، الذي لم يكن شيئًا مقارنة بما اضطروا جميعًا لتحمله في هذه الليلة الرهيبة.

ياسمين، سيبيل، باخمان، السيد إد، لينوس، راسفيلد... صوفيا.

أطبق جفنيه بقوة في محاولة للاحتفاظ بصورة تلك المرأة الشابة الضعيفة التي لم يعد لديها الآن سوى فرصة ضئيلة واحدة للنجاة: كاسبر نفسه.

موقنًا بأنه يشرع في قضية خاسرة سلفًا، فتح كاسبر عينيه وتدحرج على ركبتيه. بعد دقيقتين كان قد حرر يديه ونهض على قدميه على أمل إنقاذ صوفيا، وبالتالي، إنقاذ نفسه.

3:29 صباحًا

من المفترض أن يكتشف الناس ذواتهم الحقيقية في المواقف المتطرفة — في اللحظات التي تجعل الظروف من المستحيل عليهم التصرف وفقًا للقيم التي غرستها فيهم سنوات من التكيف على أيدي الآباء والمعلمين والأصدقاء وغيرهم من المؤثرين.

يقال إن الأزمة تشبه سكين فاكهة حاد. تزيل القشرة وتكشف اللب: الحالة البدائية غير المشكلة التي تحكمها الغريزة بشكل كبير، حيث تهيمن غريزة البقاء على الأخلاق.

إذا كانت تلك النظرية صحيحة، فقد توصل كاسبر لاكتشاف مفاجئ: أنه في أعمق أعماق روحه كان شخصًا ضعيفًا. لماذا؟ لأنه ببساطة لم يستطع فعلها. لم يستطع، رغم أن الأمر بدا صحيحًا — بل وحاسمًا لنجاته — ورغم أنه كان من المشكوك فيه أن تتاح له فرصة أفضل لقتل بروك.

حدق بالتناوب في الرجل فاقد الوعي عند قدميه والمشرط في يده، محاولًا إقناع نفسه بقطع حنجرة السيكوباتي أو على الأقل معصميه. لكنه لم يستطع. حتى مع توفر كل المبررات في العالم، لم يستطع.

مبتعدًا عنه، عرج نحو غريتا. حاول إقناع نفسه بأنه يفتقر فقط للقوة الجسدية لإنهاء حياة مُحطّم الأرواح، لكنه كان يعلم أن ذلك غير صحيح. لم يقتل أحدًا من قبل قط. لم يؤذِ أحدًا عمدًا من قبل قط، رغم أنه اتخذ أحيانًا قرارات كانت تؤدي لنفس النتيجة.

أنا نيكلاس هابرلاند، وقد ارتكبت خطأً.

كانت غريتا تتنفس بشكل سطحي من خلال فمها نصف المفتوح. جفناها يرتعشان، وأصابعها المنحنية تقرع على حجرها بتناغم مع لحن ما تسمعه في أحلامها الاصطناعية. قطعة قماش بيضاء من اللباد كانت ملفوفة على صدرها كمريلة صغيرة الحجم. لم يضطر كاسبر لشمها ليعرف بماذا شُبعت.

لكن لماذا؟ لماذا لم يلتزم بروك بنمط سلوكه المعتاد؟ لماذا قتل راسفيلد لكنه اكتفى بتخدير غريتا بالكلوروفورم؟ ولماذا يريد وضع صوفيا، من بين جميع الناس، في حالة تحبسها بشكل دائم في المنطقة الحرام بين الحياة والموت؟

تمتمت غريتا باستهجان ومال رأسها جانبيًا بزاوية خطرة حين أمال كرسيها للخلف، لكنها لم تسقط — لحسن الحظ، وإلا لما نجح أبدًا في إخراجها من منطقة الخطر. ورغم أنها كانت خفيفة كالريشة، تركت أرجل الكرسي أخاديد صغيرة في أرضية الباركيه القديمة وهو يسحبها للخلف خارج المكتبة.

إلى أين الآن؟

كان سحب الكرسي أصعب بكثير في الممر المفروش بسجاد كثيف، واضطر لأخذ استراحة. غارقًا في العرق، استند إلى الجدار الذي لا بد أن تقع خلفه غرفة التخزين حيث واجهت سيبيل باتزوالك مصيرها المشؤوم مع بروك. هنا في الممر، بدا هدير النار المعزز بالرياح أخف، لكنه استطاع سماع الماسح الضوئي يطرق مجددًا في القبو بطابق واحد لأسفل.

طراخ. طراخ. طراخ.

مثل طلقات مسدس تُطلق بانتظام، تردد صدى النبضات المغناطيسية صاعدًا بئر السلم. بالنسبة لكاسبر، بدا انتظامها الميكانيكي تذكيرًا ملحًا بأن الوقت ينفد.

نصف حقنة من البنتوثال المخفف. كم بقي من الوقت؟

أمسك غريتا من تحت إبطيها ورفعها. جعل ثوب نومها الحريري سحبها أسهل على طول الممر المفروش بالسجاد وإدخالها إلى غرفة التخزين بتلك الطريقة.

الحمد لله.

على عكس المكتبة، كان المفتاح لا يزال في باب غرفة التخزين. أزاله كاسبر وقفل الباب من الخارج. كان يرتجف بالكامل — يرتجف بشكل لا يمكن السيطرة عليه — لاحظ ذلك الآن فقط. الفرق الوحيد بين حالته وحالة صوفيا كان القدرة على اتخاذ قرارات واعية. في هذه اللحظة لم يكن ليقوى حتى على الصراخ طلبًا للمساعدة. بهذا القدر كان محقًا في استنفاد آخر قواه لنقل غريتا لمكان آمن. بروك كان ثقيلاً جدًا ببساطة. كان سينهار به في منتصف الطريق.

يجب أن أستمر.

أزال مفتاح غرفة التخزين وجربه في باب المكتبة. لم يناسبه بالطبع. لقد استنفد حصته من الحظ في اللحظة التي غرس فيها مُحطّم الأرواح الإبرة في قدمه.

طراخ. طراخ.

إلى أين؟

كان يشعر وكأنه عداء ماراثون مصاب بالجفاف في الشوط الأخير، إلا أن شريط النهاية الذي يتوق لقطعه بعد سباق أخير بلا رحمة، كان يبتعد باستمرار. لكنه شق طريقه عبر الممر حتى وقف في العتمة بمنطقة المدخل. نظر حوله لكنه لم ير شيئًا. لا آثار عجلات على السجاد ولا كرسي متحرك، ناهيك عن صوفيا نفسها. إذا كان شاديك قد تركها هنا كأضحية، فقد أخذها بروك بالفعل.

ولكن أين هي الآن؟

طراخ. طراخ. طراخ.

نظر أمامه مباشرة، وسحب حاجبيه للخلف بسبابتيه لتغيير بؤرة تركيز تلاميذه، لكنه لم يستطع تمييز ما في نهاية الممر حتى مع العدسات اللاصقة. عيناه المتعبتان كانتا مغشاتين بالدموع والدخان. ظن أنه يرى شعاع ضوء خلف مبرد الماء مباشرة. باب مكتب راسفيلد كان مواربًا. تساءل إن كانت لديه الطاقة لجر نفسه إلى هناك.

ولكن لماذا؟ للعثور على جثة شاديك المصفاة من الدم؟ لاكتشاف أدوات التعذيب الطبية التي سلح بروك نفسه بها قبل خطف صوفيا والمجيء لأخذهم في المكتبة؟ إحداها، المشرط، كان كاسبر يقبض عليه في يده.

طراخ. طراخ.

استدار بسرعة وحدق في المصعد. كان دافعه الأول هو الهروب من الشخصية التي كانت بوضوح تتربص به في الظلام. شخصية بدت مألوفة بغرابة.

كانت قدراته الإدراكية المحدودة بحيث لم يدرك، إلا حين رفع اليد التي تحمل المشرط، أن الرجل الذي يشبهه كثيرًا كان انعكاس صورته هو.

طراخ.

خطا نحو انعكاسه، تعثر في قدميه، وسقط مندفعًا داخل المصعد المظلم. تهشم شيء ما — ومن الألم النابض في إصبع قدمه الكبير، كانت بقايا مصباح محطم.

طراخ.

نظر إلى لوحة المؤشرات. حزمة مفاتيح راسفيلد الفضية اللامعة كانت معلقة في أحد ثقوب المفاتيح. دمعت عيناه حين رأى ما أضافه مُحطّم الأرواح إليها. قلادة صوفيا كانت تتدلى أمام عينيه كبندول منوم مغناطيسي.

تميمتها. لقد استخدمها كتذكار للنصر. لا...

صحح كاسبر نفسه.

ليس كتذكار. كدليل، بدلًا من لغز.

مد يده نحو القلادة الصدفية. بدت رطبة، لكن ربما كان ذلك لأن يديه تتعرقان.

حسنًا. لا مجال للتراجع على أي حال.

مد يده وضغط زر «ــ 2». الظلام الذي غلفه لحظة انغلاق الأبواب كان أشد ظلام عرفه في حياته.

3:31 صباحًا

لم يستطع كاسبر أن يتذكر، في رحلته إلى منبع الخوف، ما إذا كان ملحدًا أم مؤمنًا. شك في أنه استمتع بالذهاب للكنيسة ذات مرة، لكن لا بد أن ذلك كان منذ زمن بعيد، لأنه لم يستطع تذكر أي صلاة تطمئنه كلماتها الآن.

ضغط على مقلتي عينيه لتحفيز رد فعل من أعصابه البصرية. عادة ما يتسبب هذا في رقص ومضات ضوئية ملونة كالكاليدوسكوب أمام الشبكية، لكن حتى تلك الظاهرة لم تتحقق. بدلًا من ذلك، أصيب بنوع آخر من الوهم، إذ بدأ المصعد بالدوران وجن جنون دورته الدموية تمامًا. فقد توازنه آخر نقطة ارتكاز له في الظلام. دون أن يتحرك مليمترًا واحدًا، كان يدور داخليًا حول نفسه.

نصف حقنة، مخففة للغاية...

لم يستطع منع نفسه من التفكير، بدوار، أن بروك قد يكون يستعيد وعيه الآن. أدهشه مدى الهدوء الذي تقبل به فكرة أن مُحطّم الأرواح قد يكون، في هذه اللحظة بالذات، يقبض على أرجل طاولة الطعام ويسحب نفسه للوقوف.

طالما أنا داخل المصعد، أنا في أمان.

كان كاسبر مقتنعًا لفترة وجيزة ولكن راسخة أنه لن يتمكن من المغادرة مرة أخرى أبدًا. كل ثانية تمر كانت تعزز يقينه بأن المصعد لن يتوقف أبدًا بل سيستمر في الانزلاق للأبد في بئر لا نهائية تزداد فيها الحرارة والظلمة باطراد.

لذا كانت دهشته أكبر حين بهره ضوء ساطع. انفتحت الأبواب.

-2.

لقد وصل إلى المكان الذي لم يرغب أبدًا في التواجد فيه.

رامشًا، خرج إلى الضوء.

طوك. طراخ. طوك. طوك.

لا بد أن مستوى المختبر مضاء بقوة ومتصل بالطابق الأعلى عبر قنوات التهوية. على أية حال، بدا صوت الماسح الضوئي أعلى بكثير هنا في الأسفل مما كان عليه في الطابق الأرضي. ومع ذلك، بالنسبة لكاسبر، بدت الضربات المنبعثة من غرفة الرنين المغناطيسي وكأنها مكتومة بفلتر صوتي.

حجب عينيه عن الوهج القاسي لأضواء الهالوجين السقفية التي أنارت الجدران الخرسانية الجرداء، المدهونة بلون أخضر مؤسسي.

طوك. طراخ. طوك. طوك.

تكيفت أذنا كاسبر مع أصوات الطرق المتقطعة المشؤومة للماسح الضوئي بنفس الطريقة التي يعتاد بها أنف شخص في غرفة بلا نوافذ على رائحة كريهة يجدها القادم الجديد لا تطاق. نجحت قواه الإدراكية المتضائلة في نفي الأصوات المنومة إلى منطقة نائية من وعيه. لكنه لم ينجح في فعل الشيء نفسه مع الصرخات المكتومة، شبه الحيوانية، التي استقبلته في الغرفة الأمامية للمختبر.

3:32 صباحًا

كاد كاسبر يتمزق إربًا من الصراع الدائر بداخله. قوتان بدائيتان قررتا خوض مبارزة أخيرة حاسمة داخل جسده. كان يشعر بإحداهما

تسحبه للخلف – تحثه على الهرب – بينما تسعى الأخرى لإرساله لإنقاذ صوفيا. مجردًا تمامًا من قوة الإرادة ولعبة في يد غرائزه المتضاربة، راقب المشهد الذي رفض دماغه قبوله بتجرد طرف ثالث غير معني.

على بعد أمتار قليلة، كانت صوفيا جالسة بلامبالاة في كرسيها المتحرك أمام الباب الزجاجي الذي يفصل الغرفة الأمامية الصغيرة عن المختبر خلفها.

إنها طعم، ومضت الفكرة في رأس كاسبر. أولاً القلادة، والآن هي. بروك يستدرجني لموتي.

لوح الزجاج المضلع والمثلج خلفها لا بد أنه مقوى، لأن الأقدام والقبضات التي كانت تمطر عليه ضربات يائسة بدت من الخارج وكأن شخصًا يقرع الباب بأدب.

خطا كاسبر خطوة مترنحة باتجاه صوفيا، غير مدرك تمامًا أن غريزته للبقاء كانت تخسر المعركة.

صوفيا. كان يتوق لإنقاذها، ولو للتكفير عن خطأ بالكاد يذكر ارتكابه.

كانت عيناها مغلقتين ورأسها يميل جانبيًا مستندًا إلى ملقط النار المحشور في أحد الثقوب المصممة لاستيعاب مسند الرأس. كيس المحلول الذي كان متصلًا به سابقًا لا بد أنه تمزق حين هاجمها بروك، والأنبوب البلاستيكي الفارغ كان يتدلى بجانب العجلات الشعاعية بوهن كذراعيها. لم يكن هناك شك في الأمر: كانت في عالم آخر – عالم

أسعد، أمل كاسبر. على أية حال، بدت غير واعية تمامًا بالدراما الدائرة خلفها.

يريدون مني إخراجهم. ما الذي كان يفعله بروك بهم هناك بحق السماء؟

رأى كاسبر يدًا تتسطح على الزجاج من الداخل. لم يكن متأكدًا، لكنها بدت كبيرة وخشنة، مثل...

يد باخمان؟

بعد ذلك لاحظ شيئًا داكنًا ينطبع على الزجاج عند مستوى الركبة تقريبًا. بدا مثل... أزاح خصلة شعر رطبة عن عينيه.

... مثل لسان؟

لا. أنف.

السيد إد وباخمان! يا إلهي، إنهما حيان...

في تلك اللحظة، وكأنها تسخر من هذا التخمين، اختفت الأشكال الظلية خلف الباب الزجاجي. توقف الطرق أيضًا.

ماذا ينوي بروك أن يفعل بهم؟ لماذا أخذهم إلى المختبر وحبسهم؟

ومضت فكرة أخرى في عقله.

خطأ. لقد ارتكبت خطأ. ليس فقط حينها، بل الليلة. الآن. إنه شيء أنا...

خطا خطوة أخرى، فقط ليتراجع بذعر بعد لحظة.

ارتجف الباب الزجاجي المثلج. مرة، ثم مرة أخرى. شخص ما، يُفترض أنه باخمان نفسه، كان يستخدم وزنه الكامل كمدق. بلا جدوى.

المفصلات المعدنية المدعمة كانت أكثر مقاومة حتى من الزجاج المقوى.

... شيء أغفلته.

كان كاسبر يقف الآن أمام الباب. ضغط المقبض الرمادي. عبثًا.

لقد حبسهم بروك بالداخل، لكن لم يكن هناك ثقب مفتاح في لوحة الباب أسفل المقبض الضخم.

بالطبع لا.

ابتكر راسفيلد وسيلة أكثر ذكاءً لمنع الأشخاص غير المصرح لهم من دخول مختبره. كان محميًا ببطاقة ممغنطة لا بد أن مُحطّم الأرواح أخذها منه. مثبتًا على الحائط بجانب الباب كان صندوق معدني أسود، جهاز إلكتروني مشفر يشبه وحدة إدخال الصراف الآلي.

الرمز. بالطبع.

إذا كانت صوفيا تعرف الرمز الذي يرفع المصاريع، فقد تعرف أيضًا الرمز الذي يفتح هذا الباب — ربما يكونان متطابقين. كان عليه اكتشاف الرمز وتحرير الآخرين قبل عودة بروك إليهم.

لكن لذلك أحتاج إلى...

أدار صوفيا لتواجهه، منزعجًا من قطرات الدم الصغيرة التي تتسرب من أنفها، ورفع جفنها الأيسر بإبهامه. ارتعشت مقلتا عينيها، وهو علامة جيدة في هذه الظروف. قد يعني أنها في طور الخروج من دورة نوم الموت. بعبارة أخرى، تقترب من اللحظة التي يمكنه فيها إيقاظها من حالتها التنويمية بإلغاء الأمر الذي زرعه المجنون في نفسية ضحيته الرابعة.

– "هل تسمعينني يا صوفيا؟" أخذ يديها الباردتين في يديه وفرك معصميها.

– "يجب أن تستيقظي، مفهوم؟ يجب أن تركزي عليّ. أنتِ المفتاح."

المفتاح! أوه، لا!

انزلقت معصماها الواهنان من قبضته.

استدار كاسبر وبدأ المشي – ببطء مؤلم، كشخص يضطر للكفاح ضد تيار نهر هائج. عائدًا إلى المصعد، حيث ارتكب خطأ كارثيًا.

طالما أنا في المصعد، أنا في أمان.

بالضبط. قبل لحظات، حين ترك المفتاح اللعين في ثقب المفتاح دون إدارته للخلف وقفل القفل.

هذا ما أغفلته.

عندما وصل أخيرًا إلى المصعد، وجد نفسه يحدق في عينيه. إلا أن انعكاسه هذه المرة لم يكن ينظر إليه من داخل الكابينة. كان منعكسًا في الأبواب الألومنيوم، التي كانت مغلقة.

لقد استدعى مُحطّم الأرواح المصعد بالفعل.

3:34 صباحًا

بدأت الاهتزازات في اللحظة التي اشتدت فيها كابلات المصعد. انتفض جسد صوفيا بسلسلة من التشنجات الصرعية، مما جعل الكرسي المتحرك بأكمله يقرقع. كان كاسبر قد فقد إحساسه بالزمن. لم يلاحظ كم استغرق المصعد فعليًا للانتقال عبر العمود بين الطوابق القليلة،

لكنه أدرك أن بروك سيصل للقاع في أقل من عشرين دقة قلب يائسة. حبس أنفاسه وكأن ذلك وحده كفيل بتمديد الوقت وتأخير المحتوم.

بوووم.

ضغط الرهائن خلف الباب الزجاجي المثلج بقبضاتهم وأفواههم عليه وصرخوا بأعلى أصواتهم، ليس أن كاسبر كان يسمع الكثير عبر الزجاج المقوى. وفي تلك الأثناء، انتفضت صوفيا بعنف أكبر في كرسيها. نترت رأسها للخلف، وقوست جسدها وتشبثت بذراعي الكرسي البلاستيكية كغريقة. ملطخًا بالغبار ومبللًا بالعرق والدم والمحلول الملحي، انزلق ثوب المستشفى عن أحد كتفيها. ثم ارتطم رأسها بالمقبض المعدني المطلي لملقط النار بصوت كاصطدام كرتي بلياردو.

أسرع كاسبر إليها، وأمسك برأسها وامتص الصدمة التالية بظهر يده. ولإنقاذها من المزيد من الإصابات سحب الملقط للخارج. قاوم جهوده في البداية، لكن وهو ينتزعه من حامله أدرك أن الشيء في يده قد يكون أمله الأخير المتبقي.

المصعد! الباب!

لم يهدر بقية وقتهم الثمين بمحاولة تحطيم الزجاج المثلج غير القابل للكسر؛ بل عرج عائدًا للمصعد بأسرع ما يمكن ونظر للمؤشر.

مستوى القبو العلوي. بضعة أمتار فقط.

يجب أن ينجح الأمر. يا رب، أرجوك اجعله ينجح.

كان الملقط بطول مضرب التنس تقريبًا وظهرت عليه علامات الاستخدام. ولحسن الحظ، كان طرفه مسطحًا نوعًا ما كشفرة مفك براغي. مستخدمًا إياه كعتلة، دكه كاسبر في الشق بين البابين.

إذا كان للمصعد نظام أمان تلقائي...

عض شفته وهو ينجح في مباعدة الأبواب بضعة سنتيمترات.

... سيتوقف بمجرد أن — أوه لا! تباً!

انزلق الملقط من يديه وأطبقت الأبواب مرة أخرى. كانت مفتوحة لفترة كافية فقط لتريه مدى قربه من الموت بالفعل. كان الجانب السفلي للكابينة فوق رأسه مباشرة.

حسنًا، محاولة أخيرة...

دك الملقط في الشق مرة أخرى، ورمى بوزنه عليه مرة أخرى، ومرة أخرى انفتحت الأبواب بضعة سنتيمترات. شعر بلفحة هواء عفن وشم رائحة زيت التشحيم التي عطرت النسيم المغبر من عمود المصعد. بدا صوت الماسح الضوئي فجأة أعلى بكثير من ذي قبل، إما لأن حواسه كانت تعمل بأقصى طاقتها، أو — وهو الأرجح — لأن الأبواب المفتوحة كانت تسمح لقعقعة الغسالة تلك باختراق مستوى القبو السفلي بسهولة أكبر.

أوه، لا...

ظن أنه سيفشل مرة أخرى — ظن أنه سيفقد قبضته على الملقط للمرة الثانية — لكنه تمكن من توسيع الفجوة بما يكفي ليحشر قدمه الحافية فيها قبل أن تنغلق الأبواب. كان هناك صوت طقطقة عالٍ، وظن للحظة أن أصابع قدمه قد سحقت. الحقيقة هي أن صلواته قد

استجيبت: توقف المصعد لأن العقل الرقمي لنظام الأمان سجل أن الأبواب فُتحت بشكل غير صحيح.

فعلتها!

ولم تكن لحظة مبكرة أيضًا: كان قاع الكابينة الآن عند مستوى العين. ماداً عنقه ومحدقًا عبر الفجوة الضيقة، وجد كاسبر نفسه ينظر مباشرة إلى قدمي مُحطّم الأرواح الداميتين.

أشاح بنظره باشمئزاز، ثم حشر الملقط بين الأبواب الألومنيوم بحيث أبقاها الحرف L المستخدم لتقليب الجمر متباعدة. بعد ذلك، مسح العرق عن جبهته، وابتلع ريقه مرتين ليعادل الضغط الذي تراكم في أذنيه أثناء مجهوده، وعاد إلى صوفيا.

الحمد لله.

كانت تبدو أهدأ. خمدت التشنجات الرهيبة وانحصرت الآن في جفنيها، وهي علامة جيدة. كانت تستيقظ.

أم لا؟

عرج كاسبر وركع عند قدميها.

سأل:

— "صوفيا؟ هل تسمعينني؟"

تساءل إن كان عليه تقييد جفنيها المرتعشين بأطراف أصابعه. في الوقت الحالي اكتفى بمسح الإفرازات المتيبسة عن رموشها الطويلة ليسهل عليها فتح عينيها.

فرك معصميها أيضًا، ولاحظ ببهجة متصاعدة أن يديها الرطبتين كانتا تردان ضغطته بوهن، وفكر لا إراديًا في قصاصة الورق الغامضة التي كانوا يحملونها.

إنها الحقيقة، رغم أن الاسم كذبة.

– "تنويم مغناطيسي!" همس بالجواب وشبتاه قريبتان من أذنها. كان عليه الوصول إليها – كان عليه التقاط اللحظة التي يفتح فيها عقلها الباطن نافذة ويمكنه من إلغاء الأمر "ما بعد التنويمي"، لكن لم تكن لديه أدنى فكرة عن المدة التي ستظل فيها تلك النافذة مفتوحة.

أطلق شيء ما أنينًا خلفه، ربما المصعد، وربما مُحطّم الأرواح، الذي امتزج صراخه غير المفهوم بقرع الماسح الضوئي ونداءات الاستغاثة المكتومة القادمة من خلف الباب الزجاجي.

متجاهلًا كل هذه الضوضاء، ركز كاسبر انتباهه على صوفيا، المرأة التي تبادل معها الأدوار الآن. في هذه اللحظة، كان هو الطبيب وهي المريضة التي يجب تحريرها من سجنها العقلي، من نوم الموت.

أزاح الشعر خلف أذنيها البارزتين قليلًا، كما كانت تفعل هي دائمًا، ودلك رقبتها برفق على أمل استجرار استجابة إيجابية، وكرر جواب اللغز.

– "تنويم مغناطيسي."

همس بها في أذنها مرارًا وتكرارًا بينما كان الضجيج حولهم يزداد ارتفاعًا باطراد.

– "تنويم، تنويم، تنويم..."

تلاشى محيطه تحت الأرضي. كان أصمًا عن الصرير والأنين، والنحييب والطرق — أصمًا حتى عن كلماته.

تنويم، تنويم، تنويم...

لامست شفتاه شحمة أذنها كعاشق، ثم، وقبل أن ينطق المقطع الأخير، استجابت أخيرًا.

رف جفناها وانفتحا.

اجتاح طوفان من الإندورفين مجرى دمه وهو يحدق في عينيها الصافيتين المعبرتين.

لقد حقق هدفه ووصل إليها، لمسها داخليًا كما خارجيًا.

قفزت الدموع إلى عينيه. أراد أن يضمها إليه، يعانقها ويقبلها، ولا يتركها تذهب مرة أخرى أبدًا. ثم، بعد لحظة، أراد أن يصرخ.

لكنه لم يستطع. فتح فمه لكن لم يخرج أي صوت.

خضع تعبير صوفيا لتحول مرعب.

كانت تبتسم.

قالت وهي تنهض من الكرسي المتحرك بلا عناء وتغرس إبرة تحت الجلد في ذراعه:

— "لقد حللت اللغز يا نيكلاس."

دقيقة واحدة قبل حلول «الخوف»

3:37 صباحًا

قالت صوفيا بنعومة:

— "والآن، أين وصلنا في جلستنا الأخيرة حين بدأ ذلك الكلب الغبي بالنباح؟"

— "آه نعم، صحيح يا عزيزي. قطرة عينك."

وأخرجت زجاجة بلاستيكية صغيرة من جيب ثوبها.

حاول المقاومة، حاول إدارة رأسه جانبًا، لكن كل مسار عصبي متاح بدا وكأنه قد سُد بأي مادة حقنته بها.

علاوة على ذلك، كانت تركع على ذراعيه وتجلس فوق معدته المكركبة. في الظروف العادية كان يمكنه بسهولة إزاحة شخص بضعف وزنها عنه، لكنه الآن كان مشلولًا. مشلولًا بفعالية أكبر بكثير مما تظاهرت هي به طوال الوقت.

لماذا؟

حدق في عينيها على أمل إيجاد تفسير ما، نظرة تردد، لكن ذلك كان خطأً. انتهزت الفرصة لإسقاط قطرة كبيرة من السكوبولامين عالي التركيز على قرنيته.

لسعت بجنون، وتفاعل فورًا مع القلوي الذي يستخدمه أطباء العيون عادة لتوسيع الحدقة قبل فحص النظر. وبحلول الوقت الذي

كررت فيه صوفيا الإجراء ووسعت الحدقة الأخرى، كان يشعر بالفعل بالتأثيرات.

تمتم وهو يشعر بتهدئة غريبة:

– "لماذا؟"

كانت القطرات تخدر جهازه العصبي اللاودي، وتثبط حالته الضعيفة أصلًا وتبدد غثيانه. استرخت عضلاته المتوترة. لم يشعر بهذا الخلو من الهموم منذ وقت طويل، رغم أن الخطر كان يحوم فوق رأسه مباشرة.

ابتسمت صوفيا وأزاحت شعرها خلف أذنيها.

قالت كلمة واحدة فقط:

– "ماري."

اسم بسيط، لكنه كان كافيًا لجعل الحقيقة الرهيبة مفهومة له.

إذًا هذا هو الأمر. بالطبع. أنا أتذكر الآن. هذا اسمها: ماري!

الملاك الأشقر التي ساء علاجها بطريقة ما. خطأه المهني الأول. لكن ماري لم تكن مريضته فقط، كانت...

قالت صوفيا بهدوء:

– "ابنتنا."

بالطبع. لهذا السبب شعر دائمًا بانجذاب كبير نحوها. لهذا بدت مألوفة جدًا. لأنه كان يعرفها. لكن من الماضي البعيد. منذ سنوات.

– "أنت أخذتها مني."

لا، لم أفعل، أراد أن يقول. أنتِ تركتني حين كانت ماري في الثالثة وانتقلتِ إلى برلين. لتكوني مع صديقك الجديد.

– "لكنني سأنتقم لها الآن."

سأحاربه. لدي موعد مهم في المحكمة قريبًا. تمني لي الحظ.

إذًا هذا ما كانت تعنيه.

كانت مفارقة. كلما حارب السم الذي كان يثبط جهازه العصبي، تذكر ماضيهما الرهيب معًا بوضوح أكبر.

لم يرَ ماري إلا لمامًا طوال ثماني سنوات طويلة. ثم جاءت تلك المكالمة القلقة. من كاتيا أديسي، معلمتها في المدرسة الابتدائية.

لهذا ذهب إلى برلين وأخذ ماري معه إلى هامبورغ. إلى عيادته.

حان الوقت. ابنتك مستعدة لك. كل التحضيرات مكتملة يا دكتور هابرلاند.

لقد نومها مغناطيسيًا. دون علم صوفيا. لأنه أراد اكتشاف ما إذا كانت ابنته قد تعرضت لسوء المعاملة.

والآن صوفيا تحاكمه لأن ماري أصيبت بجلطة دماغية أثناء تنويمها من قبله. مشلولة للأبد، نبتت كخضار في نوع من غيبوبة اليقظة التي لن تخرج منها أبدًا. سجينة داخل نفسها. كشخص في نوم الموت. مثل ضحايا مُحطّم الأرواح.

لكن ذلك كان مستحيلًا. أسوأ ما يمكن أن يحدث بعد علاج مهمل هو فقدان الألفة. حالة ماري لم يكن ممكنًا أن تكون أثرًا جانبيًا لتنويمه الطبي.

التشنجات. الحركات غير المنضبطة لأطرافها. ردود الفعل المقيدة بشكل دائم.

لهذا لم تكن هناك قضبان على النوافذ. لم يختطف أحد ابنته بالقوة.

أنا خائفة يا أبي. لن تتأخر، أليس كذلك؟

السجن الذي أراد تحرير ماري منه كان جسدها هي. كانت مدفونة حية داخل نفسها.

حاول أن يقول عبثًا:

— "أنتِ مخطئة..."، لكن لسانه كان غير قابل للحركة مثل كل العضلات الأخرى في جسده. ومع ذلك، بدت صوفيا تجيبه رغم ذلك. خاطبته بصوت حازم ومستوٍ، تشرح شيئًا بوضوح. لم يستطع تصفيته من الضوضاء الخلفية، لكنه خمن ما كانت تحاول إيصاله: أنها الآن قاضيته. كانت تحاكمه على فعل تذكره في هذه اللحظة فقط. العيادة كانت قاعة محكمتها المختارة والمحاكمة بدأت قبل بضع ساعات، ليس أنه أدرك أنه في قفص الاتهام. كل ما تبقى الآن هو إصدار الحكم، هنا في الغرفة الأمامية للمختبر.

حاول أن يقول:

— "توقفي، أرجوك لا، أنتِ ترتكبين خطأ كبيرًا"، مفكرًا في الوقت نفسه كم كانوا جميعًا أغبياء. وكم كانوا عميانًا.

إذًا هذا هو الأمر. حل اللغز.

كان كل شيء مجرد تمثيل، مجرد مسرحية مروعة. كانت صوفيا تواجههم طوال الوقت بمرآة مشوهة مرعبة تعرض الحقيقة القاسية، واضحة للجميع ولكن معكوسة: مُحطّم الأرواح كان امرأة، الضحية

كانت الجاني، المدافعون عنها كانوا فريستها. لقد تكاتفوا بغباء ضد الشخص الوحيد الذي عرف الحقيقة وحاول إنقاذهم: بروك.

كانت صوفيا، لا بروك، هي من قتلت راسفيلد وسحبته إلى معمل الباثولوجيا. كانت هي من أرادت تفريقهم وعزل ضحيتها النهائية: كاسبر نفسه. لهذا زرعت الألغاز – بخط يدها، في فم راسفيلد، في حقيبة سيبيل باتزوالك.

بالطبع. لم ننظر أبدًا إلى صوفيا لفترة طويلة؛ رؤيتها كانت مؤلمة للغاية ببساطة. وعلى أية حال، لماذا كنا سنفعل؟

ربما أعدت اللغزين الأولين مسبقًا، لكن لاحقًا اضطرت للارتجال. ياسمين ألبستها ثوبها الطبي، الذي احتوى جيبه على قلم حبر ودفتر وصفات. اللغز الأخير كان غير مقروء تقريبًا لأنها اضطرت لكتابته عمياء – تحت غطاء السرير الذي غطتها ياسمين به.

تحطمت ذكريات كاسبر عن أحداث الساعات القليلة الماضية إلى ألف شظية دامية وأعادت ترتيب نفسها فورًا في فسيفساء جديدة رهيبة.

إذًا هذا يفسر كل مسارات أفعالهم المختلفة. كما يفسر لماذا أبدى بروك مقاومة قليلة جدًا في المصعد. لم يقصد أبدًا قتل صوفيا، فقط عزلها، وعاد بالمشرط لتحرير كاسبر. بروك كان ينوي قطع قيوده، لا قطع حنجرته، مضيعًا بذلك وقتًا ثمينًا استخدمته صوفيا لقتل شاديك، وأخذ المصعد للقبو، وتنظيم ظهورها خارج المختبر نفسه.

حاول كاسبر مرة أخرى. "لا، أرجوكِ لا تفعلي. أعلم أنك تظنين أنني الملوم في جلطة ابنتنا، لكن الأمر لم يكن كذلك. معلمتها شكت في أنها تتعرض لسوء المعاملة. ماري كانت ترسم صورًا غريبة، لهذا

اتصلت بي — أنت تعرفين ذلك. أنا فقط نوّمتها مغناطيسيًا لأكتشف إن كان ذلك صحيحًا، وـ نعم، شيء ما ساء، لكن..."

أنا نيكلاس هابرلاند، طبيب نفسي عصبي متخصص في مجال التنويم المغناطيسي الطبي، وقد ارتكبت خطأً.

"... لكن التنويم لم يكن المسؤول. لهذا جئت إلى هنا، لأشرح الأمور."

لهذا أراد زيارتها في العيادة قبل عشرة أيام. ليصفي الأمور معها أخيرًا — ليسلمها الرأي الخبير الذي أكد أن الجلطة التي أصابت ماري لم يكن ممكنًا أن تكون بسبب تنويم معيب.

الرسالة من ج. ب.، جوناثان بروك. زميل لراسفيلد وخبير في الجلطات الدماغية.

هذا ما أراد قوله لشريكته السابقة بينما كانت تضع يدًا على جبهته وتستخدم الأخرى لمسح الدم عن أنفها، الذي لا بد أنها آذته أثناء صراعها مع بروك. أو مع ياسمين، التي كانت طعنتها بوضوح من صنع يديها أيضًا.

كان الأمر غير مفهوم. لقد غامر بدخول شبكة العنكبوت هذه بمحض إرادته. حتى أنه عطل منقذه المحتمل الوحيد في المصعد باستخدام أداة احتاجت صوفيا للفت انتباهه إليها.

الآن وقد بدأ فقدان ذاكرته يتبدد، تاق كاسبر لفقدان رحيم آخر للذاكرة. لماذا لا يمكن أن يبقى كل شيء غير قابل للتفسير مثل سؤال لماذا بروك هنا في العيادة؟ لماذا غرز تلك السكين في عنقه، ولماذا اضطرت صوفيا لتعذيب كل هؤلاء النساء الأخريات؟

لماذا يبقى في الظلام بشأن تلك الأسئلة بينما يطارده الآن الإدراك المروع بأن بروك لم يقصد أبدًا إيذاءهم على الإطلاق؟ على العكس، عاجزًا عن التواصل بسبب إصابة حنجرته، قام بروك بعدة محاولات للصراخ باسم صوفيا وحاول حتى كتابته بدمه على نافذة غرفة الماسح الضوئي. لكنهم أساؤوا تفسير كل إشاراته وقاوموا جهوده لنقلهم من منطقة الخطر إلى أمان المختبر المستقل، أبعد ما يمكن عن صوفيا. الرجل الذي يقرع الباب الزجاجي لم يكن رهينة بل لاجئًا، ولم يكن يصرخ طلبًا للمساعدة بل يحاول تحذير كاسبر من صوفيا قبل فوات الأوان.

كنت غبيًا جدًا. أعمى جدًا. غافلًا جدًا.

فتح كاسبر شفتيه المتشققتين. كانت عيناه تدمعان، وتلاميذهما الموسعة اصطناعيًا معرضة بلا دفاع لوهج الأضواء العلوية. كانت تؤلمه لأنه لم يستطع توزيع السائل الدمعي المنظف بجفنيه. وكأن الضوء يمر عبر منشور، شتتته أطراف رموشه الملتصقة ليحيط وجه صوفيا الجميل بهالة ضبابية بألوان قوس قزح.

وبعد ذلك استطاع السماع مرة أخرى.

انهار الحاجز الصوتي، لكن للحظة صغيرة واحدة فقط. الصفير في أذنيه، الذي لاحظه فقط حين توقف، استُبدل بصوت صوفيا المنخفض المتعاطف.

قالت بنعومة، محدقة في عينيه الشاخصتين:

– "كلما قاومت أكثر، سقطت أعمق."

ماذا تعني؟ لغز أخير، هل هذا هو؟ فرصتي الأخيرة؟

كررت:

– "كلما قاومت أكثر، سقطت أعمق."

ثم سحبه أحدهم بعيدًا عنها.

كان رد فعله الفوري هو الابتهاج. فكر في بروك، الذي لا بد أنه نجح بطريقة ما في إزاحة الملقط، أو في لينوس، الذي استدعى المساعدة من الخارج بالتأكيد. لكن خطر له حينها أنه عاجز جسديًا عن الحركة. كان يسقط – يسقط عبر الأرضية، التي ذابت فجأة تحته. تحولت الخرسانة إلى مستنقع انطلقت منه يد جليدية وسحبته إلى الأعماق. الآن فقط استوعب مأزقه بالكامل.

والآن قاوم بالفعل. ضد نظرة صوفيا المنومة. ضد صوتها الهادئ الخبيث. ضد خليط البنتوثال والسكوبولامين الذي كسر تصميمه على المقاومة.

أساطير هوليوود! تردد صدى صوت شاديك من الماضي في رأسه. من المستحيل تنويم شخص ضد إرادته.

الأمر كله يعتمد على الظروف، كان قد أجاب في معمل الباثولوجيا.

بعد إلحاق ألم جسدي شديد وتعذيب عقلي، ولا سيما إحداث حالات صدمة قصوى ومسببة للرضوض، فإن إعطاء عقاقير مغيرة للعقل يجعل من الممكن وضع الأشخاص القابلين للإيحاء في غيبوبة تنويمية ضد إرادتهم والسيطرة على وعيهم.

فكر كاسبر في الجروح التي أصيب بها، وفي إصابة كتفه، وتعذيبه على يد شاديك، ومعصميه المحروقين والخوف الذي تعرض له في الساعات القليلة الماضية. واعيًا بالباربيتورات التي كانت تغمسه في

اللامبالاة، سمع، عبر نظام التهوية، الطرق السيكاديلي للماسح الضوئي: موسيقى خلفية مناسبة لمقدمة تنويم مغناطيسي لم يستطع مقاومته الآن لأن صوفيا كانت قد بنت بالفعل رابطًا معه وزرعت في عقله أمرًا غادرًا لم يعد بإمكانه إلغاؤه بمحض إرادته.

كلما قاومت أكثر، سقطت أعمق.

وهكذا توقف عن القتال، وأغلق عينيه المفتوحتين على اتساعهما داخليًا، وكف عن مقاومة سقوطه في الفراغ.

هوى في بئر باردة مظلمة لم يسطع فيها ضوء من قبل. إلى زنزانة روحه.

ساعة وخمس وثلاثون دقيقة منذ حلول «الخوف»
الساعة 5:13 صباحًا

كان الدخان كائنًا حيًا، سربًا من خلايا مجهرية تغلغلت في جلده ليتآكل من الداخل.

ركزت الجسيمات هجومها على رئتيه، شاقة طريقها أسفل قصبته الهوائية وإلى شعبه الهوائية. لكن الأسوأ بكثير من ذلك كانت النيران المندلعة من لوحة القيادة. لعقت ألسنتها الحمراء قميصه وكوت الجلد الذي كان بالفعل، كبلاستيك يذوب في لهب ولاعة، يشكل بثورًا تحت قلبه.

نظر إلى نفسه، ثم استخدم قوة نابعة من ألم لا يطاق ليدوس دواسة الوقود حتى النهاية. ليس لتحريك السيارة مرة أخرى، بل لدفع المقعد للخلف. أراد وضع أكبر مسافة ممكنة بينه وبين الحريق.

بصق كتلة من الدم والمخاط الملطخ بالدخان في النيران واسترجع الأحداث التي أوقعته في هذا الوضع اليائس. لقد عالج ماري دون إذن والدتها لاعتقاده الراسخ أن التنويم المغناطيسي ليس له آثار جانبية.

ثم أصيبت الفتاة بجلطة. أثناء الجلسة. ماري لن تتعافى أبدًا، لن تضحك أبدًا مرة أخرى. جذع دماغها تضرر بشدة، ويمكنهم اعتبار أنفسهم محظوظين إن استعادت منعكس البلع.

كيف بحق الأرض أمكن حدوث ذلك؟

سمع الزجاجة في موضع القدمين تتحطم. الزجاجة التي خدر بها نفسه بعد تلك الجلسة المشؤومة وقبل القيادة.

وها هو يجلس هنا، محشورًا في سيارة محطمة وممسكًا بصورة ابنته، التي لن تعيش حياة طبيعية مرة أخرى أبدًا. كان يحترق، داخليًا وخارجيًا في آن واحد.

مد يديه للنيران وكأنه يستطيع درء الموت الذي كانت أذرعه المتوهجة تعانقه. ثم، وفي اللحظة التي ظن فيها أنه لم يعد يطيق رائحة اللحم المكوي أكثر – تمامًا حين كان على وشك محاولة تمزيق ذلك اللحم اللاذع عن صدره بيديه العاريتين – أصبح كل شيء شفافًا. السيارة المحطمة، التي انزلقت عن الطريق المبتل واصطدمت بشجرة بينما كان يتلمس صورة ماري في المجلد، اختفت. الدخان والنيران – نعم، وحتى الألم – ذابت في عدم أسود.

الحمد لله، فكر، مجرد حلم. فتح عينيه. وأصيب بالحيرة.

الكابوس الذي كان سجينًا فيه للتو خضع فقط لتغيير، لم يفقد شكله.

أين أنا؟

للوهلة الأولى، في ممر تحت الأرض. كان رجلان ملثمان يقفان فوقه، وكلاهما يصوب سلاحه نحوه. بدلاتهما القتالية السوداء حملت كلمة شرطة بحروف فسفورية كبيرة.

سأل أحد الرجلين رافعًا قناعه:

– "هل تسمعني؟"

كان لديه ندبة متعرجة فوق عينه اليسرى مباشرة.

أجاب هابرلاند:

– "نعم."

لماذا أنا شبه عارٍ؟ لماذا، وأنا لا أرتدي سوى سروال بيجامة قذر، أجلس في كرسي متحرك، أحدق في جدار خرساني أخضر؟

– "هاي، أوتو، انظر لعينيه."

اقترب الشرطي الآخر. خفض مدفعه الرشاش ورفع قناعه كذلك.

– "إنه مخدر."

قال الرجل ذو الندبة:

– "ربما لهذا لا يستطيع الكلام."

قال هابرلاند:

– "بلى أستطيع." حاول الإمساك بحلقه المحترق لكنه فشل.

سمع هابرلاند أوتو يقول في جهازه اللاسلكي:

– "لدينا حالة عشرة ـ ثلاثة عشر هنا. إنه حي لكنه لا يستجيب. نحتاج طبيبًا فورًا."

سأل الشرطي الأول، الذي كان يركع أمامه الآن وقد نزع قناع التزلج ليكشف عن لحية غير مشذبة:

– "ما اسمك؟"

حاول الرد:

– "كاسب..."، ثم صحح نفسه. "أنا نيكلاس هابرلاند."

أنا نيكلاس هابرلاند، طبيب نفسي عصبي متخصص في مجال التنويم المغناطيسي الطبي. وقد ارتكبت خطأً.

كررها، لكن الشرطي من وحدة الدعم التكتيكي هز رأسه بأسف فقط.

هس اللاسلكي:

– "أي آخرين هناك في الأسفل؟"

– "نعم، أظن ذلك. هناك باب زجاجي يؤدي لمختبر أو شيء ما. زجاج مقوى، حسب المظهر. حركة مرئية بالداخل."

– "الدعم في الطريق."

– "عُلم."

أغلق أوتو جهازه. بعد بضع ثوانٍ انفتحت أبواب مصعد على يمينه. جاء رجلان آخران على الأقل يدبان عبر الممر بأحذيتهما القتالية، ومكابح الأمان بأسلحتهما ملغاة.

سأل صوت جديد:

– "اللعنة. ما الذي جرى هنا بحق الشيطان يا جاك؟"

كان السؤال موجهًا بوضوح للرجل ذي الندبة، الذي كان يقف الآن خلف كرسي هابرلاند المتحرك.

أجاب:

– "لا فكرة لدي. هذا الرجل غير مستجيب تمامًا."

ما هذا؟ لماذا لا تستمعون إلي؟

شعر هابرلاند بنفسه يُمال للخلف إلى وضعية الاستلقاء. كان ينظر الآن مباشرة إلى الأضواء العلوية المبهرة.

سأل جاك القادمين الجدد:

– "ماذا عن ذلك الذي حررتموه من المصعد؟ هل قال شيئًا؟"

– "لا، إنه في صدمة. كما أجري له شق حنجري – يصفر كغلاية شاي."

دُفع كرسي هابرلاند للأمام.

– "كيف يبدو الوضع بالأعلى؟"

– "سيء للغاية. بقع دماء وآثار عنف في كل مكان. يبدو أنه كان هناك حريق في غرفة الماسح الضوئي. قتيلان حتى الآن. أحدهما حنجرته مقطوعة، والآخر كان ملقى في ثلاجة بمعمل الباثولوجيا."

– "هويات؟"

– "مؤكدة. توماس شاديك وصامويل راسفيلد. شاديك كان مسؤولًا عن تلك الإسعاف المقلوبة بجانب المدخل، وراسفيلد يبدو أنه كان المدير الطبي."

شاديك؟ راسفيلد؟ بالطبع...

رأى هابرلاند انعكاسه. سجل بقع الدماء على أرضية المصعد الذي كانوا يدفعونه إليه.

صرخ:

– "يمكنني شرح كل شيء – أنا أعرف ما حدث!"

سأل أوتو:

– "هل سمعت ذلك؟"

ضغط جاك زر الطابق الأرضي واستدار. انغلقت الأبواب. أشعل كلا الشرطيين مصباحيهما اليدويين.

– "ماذا؟"

– "للحظة ظننت أنه قال شيئًا."

هز جاك كتفيه وقال بابتسامة عريضة:

— "ربما كان صرير الأبواب"، لكنه سلط ضوء مصباحه في وجه هابرلاند مرة أخرى، تحسبًا فقط.

— "انظر!"

— "ماذا؟"

— "يده. هناك شيء فيها."

شعر هابرلاند بإصبعين بقفاز أسود يفتحان أصابعه بحذر.

— "أنت محق."

— "ما هو؟"

غادر شعاع المصباح وجهه.

قال أوتو:

— "قصاصة ورق."

يا إلهي.

بذعر، عصر هابرلاند دماغه بحثًا عن أي طريقة لجذب انتباههم.

— "هذا غريب."

— "ما هو؟"

— "هذا الرجل كان يمسك ورقة عليها لغز."

— "تبًا، تعني...؟"

صرخ هابرلاند:

— "نعم، نعم، نعم!" لكنه رأى برعب أن شفتي انعكاسه في المرآة بظهر المصعد لم تتحركا مليمترًا واحدًا. "تلك كانت مُحطّم الأرواح، صوفيا دورن!"

قرأ أوتو بصوت عالٍ:

– "«أسقطني حين تحتاجني؛ استرجعني حين لا تعود بحاجة إلي»."

– "هاه؟"

– "لا بد أنها مزحة سمجة. أو مقلد."

– "ماذا تعني؟"

– "فكر. مُحطّم الأرواح يستهدف النساء فقط."

صرخ هابرلاند:

– "لا!"

مذعورًا، حاول إغلاق عينيه، لكن حتى ذلك كان فوق طاقته.

أرجوكم، هذه ليست مزحة. عليكم إخراجي من هنا. ليس من هذا المبنى، بل من نفسي! ألا تفهمون؟

لا، بالطبع لم يفهموا.

كان يعلم أنه لا يستطيع الكلام ولا الكتابة ولا القراءة في تلك اللحظة. صوفيا جردته من كل وسيلة ممكنة للتواصل. زر مستوى القبو العلوي في اللوحة النحاسية كان قد أضاء للتو. سيصلون الطابق الأرضي قريبًا.

صوفيا فعلت هذا. نومتني مغناطيسيًا – أعادتني إلى مسرح أسوأ صدماتي: السيارة المحترقة. بين الحين والآخر أخرج من كابوسي وأعود للواقع. حينها تفتح عيناي وتكون لديكم فرصة لإلغاء فقدان الألفة بقول الكلمة التي ستحررني. ألا تفهمون؟ إذا فوتم اللحظة الحاسمة، أنزلق عائدًا لكابوسي. ثم تبدأ دورة نوم الموت من جديد. أرجوكم، عليكم مساعدتي!

سأل جاك:

— "أي فكرة عما يعنيه؟"

سمع الشرطي الآخر يقول، لكن صوته تلاشى في مسافة بعيدة:

— "ماذا؟ «أسقطني حين تحتاجني؛ استرجعني حين لا تعود بحاجة إلي»؟ ليس لدي أدنى فكرة."

ولم يكن هابرلاند مدركًا لانفتاح الأبواب في الطابق الأرضي أو واعيًا بتسليمه لمسعف.

كانت قوة غير مرئية قد مدت يدها الجليدية وبدأت تسحبه للخلف. عائدًا للمكان الذي لم يرغب برؤيته مرة أخرى ما دام حيًا — المكان الذي غادره قبل دقائق فقط: الجحيم في السيارة المحطمة.

حاول الإشارة للشرطيين بأنه يجب عليهم الذهاب للبحث عن صوفيا، الشريكة السابقة التي زارها سرًا قبل أسبوعين على أمل تصفية الأجواء. كان ينوي استجداء تفهمها وإعطاءها الرسالة من الطبيب الذي عالجه بعد حادث السيارة. في الرأي الخبير للدكتور جوناثان بروك، لم يلعب التنويم المغناطيسي أي دور في جلطة ابنتهما، التي كانت ستحدث في جميع الأحوال.

لكن صوفيا رفضت الاستماع. ألقت الرسالة في النار وطردته. لم يكن لديه خيار سوى الذهاب واستعادة كلبه، الذي تركه مقيدًا خارج العيادة. تذكر طرزان — أو السيد إد، كما سماه الجميع هنا — وهو يشد المقود لأنه التقط رائحة، ثم سقط هو وضرب رأسه.

لكنه كان عاجزًا عن نقل كل هذا للشرطيين والمسعفين الذين كانت أشكالهم تذوب ببطء أمام عينيه وهو ينتكس في كابوسه التنويمي.

كان عائدًا في السيارة المحترقة مرة أخرى – عائدًا في بحر اللهب الذي قضت صوفيا بأن يكون عقابه الأبدي.

الوقت الحاضر

بعد وقت طويل جدًا، وسنوات عديدة من «الخوف»

الساعة 2:56 مساءً

أنهت ليديا القراءة أولاً. أما صديقها، الذي كان بحاجة إلى مزيد من الوقت، فلم يقلب الصفحة الأخيرة إلا بعد مرور عشرين دقيقة.

سأل وهو يحدق في ظهر المجلد غير مصدق:

— "ماذا الآن؟ هل هذا كل شيء؟"

خلع البروفيسور نظارة القراءة وأومأ برأسه برفق. كان يراقب سلوك طلابه عن كثب طوال الدقائق الماضية — ملاحظًا كيف كانوا يحركون شفاههم بكلمات معينة بصمت، أو يحكون رؤوسهم بشكل غريزي قبل أن تنتقل عيونهم إلى الفقرة التالية.

كانت ليديا قد دأبت على عض شفتها السفلى أثناء قراءة الصفحات الأخيرة، في حين استمر باتريك في إسناد رأسه على يديه. كانت هناك بقع حمراء تعلو وجنتيه الآن.

— "قلت لك إنك لم تركز بما فيه الكفاية في البداية، أليس كذلك يا باتريك؟"

— "بلى، ولكن كيف كان يُتوقع منا تخمين النهاية؟"

قوَّس باتريك ظهره بوهن وتمطى.

— "الأمر بسيط للغاية. الدليل كان في الصفحة 21. هل تذكرين إجابة اللغز الأول الذي طرحته غريتا على كاسبر؟"

ضربت ليديا جبهتها وقالت:

– "الجراح كان امرأة (والدة الطفل).. يا للكارثة!"

قال باتريك بنفاد صبر:

– "حسنًا، حسنًا، لم أفهم الأمر، ولكن كيف تستمر القصة؟"

احتضن صدره وارتجف. تلفتت ليديا حولها بحثًا عن سترتها.

كان الجو قد ازداد برودة مع بدء تلاشي الضوء، لكنهما لم يلاحظا ذلك أثناء القراءة.

سحب البروفيسور مفكرته نحوه ودون ملاحظة سريعة.

– "كل شيء في وقته. أولاً أود سماع ردود أفعالكما العفوية. بماذا فكرتما حين قرأتما الجملة الأخيرة؟"

وأومأ برأسه نحو ليديا.

قالت وهي تربت على صدرها بتساؤل:

– "أنا؟ حسنًا، أنا..."

نحنحت ومدت يدها لزجاجة الماء.

تابعت قائلة:

– "كنت أتساءل طوال الوقت عما إذا كان كل هذا قد حدث حقًا بتلك الطريقة."

أخذت رشفة. وضع البروفيسور قلمه جانبًا والتقط النص الأصلي.

– "سؤال وجيه. هذا السجل الطبي مكتوب بشكل شبه حصري من وجهة نظر ذاتية لشخص واحد، لذا لا بد من وجود فجوات. هناك أيضًا مجال كافٍ لتفسيرات متباينة. ومع ذلك، المؤكد هو أن نيكلاس هابرلاند كان خبيرًا في مجال التنويم المغناطيسي الطبي ومتخصصًا في

العلاج النفسي للأطفال. قبل سنوات، كانت له علاقة عاطفية بزميلة له أنجبت ابنة تدعى ماري. وسرعان ما انهارت علاقتهما. حصلت صوفيا دورن على الحضانة وانتقلت إلى برلين."

مد البروفيسور ساقيه تحت الطاولة.

— "في أحد الأيام، تلقى هابرلاند مكالمة قلقة من برلين. كانت ماري ترسم صورًا مقلقة في حصة الفن. لم تكن معلمة فصلها، كاتيا أديسي، واثقة من شكوكها ولم ترغب في إشراك السلطات قبل الأوان، فاستشارت والد الفتاة البيولوجي أولاً. جاء هابرلاند إلى برلين عازمًا على الوصول إلى حقيقة الأمر."

سألت ليديا:

— "هل نوّم ماري مغناطيسيًا؟"

— "هامبورغ لا تبعد سوى تسعين دقيقة عن برلين بالقطار. أخذها معه إلى عيادته، ناويًا إعادتها لأمها في تلك الليلة. لكن الأمر لم يصل لتلك المرحلة. انتهت الجلسة بكارثة. أصيبت ابنته باحتشاء في جذع الدماغ، أو سكتة دماغية."

بدا باتريك وكأنه يعاني من ألم في أسنانه:

— "يا للجحيم. إذًا، لقد انتهى كل شيء بالنسبة لها."

التفتت ليديا إليه وسألت:

— "ماذا تعني؟"

كانت المسافة الجسدية بينها وبين صديقها أكبر بشكل ملحوظ مما كانت عليه في بداية التجربة، وكأن المادة التي قرآها قد دقت إسفينًا غير مرئي بينهما. دون البروفيسور ملاحظة أخرى.

قال وهو يرفع بصره:

– "حسنًا، صديقك يستخدم تعبيرًا مجازيًا لما نسميه «متلازمة المنحبس». وهي حالة لا يزال فيها الدماغ يعمل ولكنه لم يعد قادرًا على إنشاء أي اتصال بالعالم الخارجي. تخيلي فقط: لا يمكنك الرؤية، أو السمع، أو التذوق، أو الشم، أو التنفس، أو الشعور. التفكير فقط."

– "يا إلهي."

– "لم يسبق ملاحظة أثر جانبي خطير كهذا لتنويم مغناطيسي خاطئ من قبل."

نحنحت ليديا مرة أخرى:

– "هل ماتت الفتاة؟"

– "أسوأ من ذلك. قضت ماري بقية حياتها حطامًا جسديًا وعقليًا. تحطمت والدتها أيضًا، لكن داخليًا ودون أن تظهر ذلك. تركها صديقها بعد هذه المصيبة بوقت قصير. وهو يصر حتى يومنا هذا على أنه لم يمس ماري بسوء."

طقطقت حصاة ارتطمت بالنوافذ الفرنسية الكبيرة. حتى الآن، كانت الرياح المتزايدة محملة فقط بالحطام والقمامة، لا بالثلوج. انحنت شجرة الصفصاف الباكية برأسها أمام العاصفة بينما واصل البروفيسور حديثه.

– "في البداية، سعت صوفيا للقصاص عبر الوسائل القانونية. وكلت محامية تدعى دورين براندت، لكن براندت رفضت في النهاية رفع دعوى ضد نيكلاس هابرلاند لأنها اعتقدت أنه سيكون من الصعب جدًا إثبات ارتكابه لخطأ فادح. ونصحت صوفيا بتسوية الأمر وديًا."

نهض البروفيسور، ومثل باتريك، بدأ يلين عضلات كتفيه. رغم كل التمارين التي كان يمارسها، فإن مفاصله المؤلمة ستذكره حتمًا، غدًا إن لم يكن قبل ذلك، بأنه قضى وقتًا طويلاً جالسًا اليوم.

تابع وهو يتجه نحو المدفأة الزيتية التي كانت تقرقر بصوت خافت قرب الموقد:

— "ازداد يأس صوفيا أكثر فأكثر. ومهما كانت الاستفسارات التي أجرتها، كانت تتلقى دائمًا الإجابة نفسها: التنويم المغناطيسي لا يمكن أن يسبب ضررًا شديدًا كهذا. تصاعد حزنها ليتحول إلى رغبة منحرفة وهوسية للانتقام لماري. أرادت أن تثبت للجميع أنه من الممكن بالفعل تحطيم نفسية شخص ما تحت التنويم المغناطيسي. والأسوأ من ذلك، أرادت معاقبة من اعتبرتهم مذنبين بوضعهم في نفس حالة ماري."

— "محبوسين. مسجونين في نوم يشبه الموت."

أومأ البروفيسور برأسه موافقًا على مداخلة باتريك:

— "بالضبط. كانت صوفيا قد أبدت اهتمامًا بالتنويم المغناطيسي كطالبة طب، لكنها رفضت دائمًا استخدامه لأغراض علاجية. الآن، وبيأس جنوني، مارست التقنية لاستخدامها كسلاح. الطريقة التي ابتكرتها كانت بسيطة جدًا في الواقع. بدأت بإعادة ضحاياها بالزمن، تحت التنويم، إلى أسوأ لحظة في أسوأ كوابيسهم. ثم أحدثت فقدانًا مصطنعًا للألفة (Rapport)."

هز باتريك رأسه برعب:

— "تعني أنها أرسلتهم إلى الجحيم وأغلقت الباب عليهم؟"

— "مجازيًا، نعم. لقد تخلت عمدًا عن السيطرة على ضحاياها وتركتهم في حالة لا يمكن التحكم فيها. ولكن، بما أن كل تنويم مغناطيسي معيب يتطور حتمًا إلى نوم طبيعي يستيقظ منه الشخص عاجلًا أم آجلًا، فقد أنهت الأمر بإعطائهم أمرًا ما بعد التنويم: بمجرد أن يطفوا على السطح، عليهم الغوص مرة أخرى."

— "كيف فعلت ذلك؟"

— "هل رأيتِ منومًا مغناطيسيًا مسرحيًا يعمل من قبل يا ليديا؟"

— "فقط على التلفاز. وضع رجلاً في غيبوبة. ثم أخبره أنه كلب. لن يتذكر شيئًا عندما يستيقظ، ولكن كلما نادى الجمهور «نزهة!»، عليه أن ينبح ثلاث مرات."

— "وهو ما فعله كما يفترض، أظن."

— "نعم."

— "هذا مثال فج ولكنه ملائم لنوع الأمر ما بعد التنويمي الذي زرعته صوفيا في عقول ضحاياها، إلا أن أحدًا لم يكن بحاجة للصراخ «نزهة!». كان يكفي أن يفتحوا أعينهم ويعرضوها للضوء. كان ذلك هو الزناد. كلما كان الضوء أكثر سطوعًا، كانت عودتهم الحتمية إلى الحالة التنويمية أسرع."

ارتجفت ليديا وأغلقت سحاب سترتها:

— "مريع."

— "لكنه نجح. هكذا تمكنت صوفيا من حبس ضحاياها في دورة نوم موت دورية لا يمكن إنهاؤها إلا إذا نطق شخص ما بالكلمة

المفتاحية الصحيحة أثناء مرحلة يقظتهم: حل اللغز المكتوب على القصاصة المعنية."

أراح البروفيسور يديه على أضلع المدفأة الكهربائية. ورغم أنها كادت تحرق أطراف أصابعه، إلا أن الدفء لم يتجاوز معصميه.

أعطاه سؤال باتريك التالي قشعريرة. كان مؤلمًا تقريبًا.

– "ماذا حدث لهابرلاند؟"

الوقت الحاضر

3:07 مساءً

كرر البروفيسور بصوت خافت:

– "هابرلاند؟"

اتجه نحو النوافذ الفرنسية.

– "قبل أن أخبركما شيئًا عن حياته اللاحقة، أعتقد أننا يجب أن نكرس مزيدًا من الوقت لماضيه."

كان يتحدث الآن وظهره لهما.

– "كانت سكتة ماري، بالطبع، أسوأ صدمة مر بها على الإطلاق. ولعجزه عن استيعاب ما فعله بابنته، أدمن الشراب. ونتيجة لذلك، تعرض لحادث سيارة مروع كاد يكلفه حياته. بعد شفاء إصاباته الخارجية، عولج على يد الدكتور جوناثان بروك. وفي سياق العلاج تحدثا عن ماري. كان بروك قد حصل على سجلاتها الطبية من العيادة حيث كانت ابنة هابرلاند في العناية المركزة."

سمع باتريك يتمتم:

– "يا للسرية المهنية."

– "بعد تقييم قيم دم ماري، أصبح الأطباء مقتنعين بأن سكتتها حدثت أثناء التنويم المغناطيسي وليس بسببه. غضبت صوفيا بشدة من هذا التشخيص، لدرجة أنها أعادت ابنتها إلى برلين."

استدار ليواجه طلابه.

– "لكن أطباء هامبورغ كانوا محقين. كما قلت سابقًا، وفقًا لحالتنا الراهنة من المعرفة الطبية التقليدية، من المستحيل حقًا إلحاق ضرر كهذا نتيجة للإهمال."

قالت ليديا وهي تقلب صفحات نسختها للخلف:

– "الصفحة 216 من السجل."

– "صحيح. حث بروك هابرلاند على مناقشة هذه النتائج مع والدة طفلته وتصفية الأمور معها. ورغم تردده في البداية، انطلق هابرلاند إلى برلين قبل عيد الميلاد مباشرة، بصحبة كلبه."

– "طرزان، المعروف بـ السيد إد."

تجاهل البروفيسور تعليق ليديا بابتسامة طيبة.

– "استقل قطارًا إلى برلين ومعه الرأي الخبير في حقيبته. خانته شجاعته في البداية عندما وصل إلى بوابات عيادة «تويفيلسبيرغ». كيف ستكون ردة فعل صوفيا، وهي التي رفضت حتى الآن كل تواصل ووصمته بالقاتل منذ المأساة؟ ماذا ستفعل إذا ظهر فجأة دون سابق إنذار رغم حظرها الصريح؟ بعد تردد طويل تمالك نفسه وصعد الممر ليكتشف ذلك."

قالت ليديا:

– "حسنًا، مهما كان ما خشي حدوثه، فمن المؤكد أنه لم يكن بنصف سوء ما حدث بالفعل."

ضحك البروفيسور بجفاف:

– "صحيح. كانت صوفيا قد جربت بالفعل طريقة «مُحطّم الأرواح» الخاصة بها على ثلاث نساء بحلول هذا الوقت. ليس الجميع

قابلين للتنويم، كما تعلمان ربما، وبالتأكيد ليس ضد إرادتهم. فانيسا ستراسمان كانت كذلك. كانت بريئة تمامًا. كان سوء حظها ببساطة أنها حضرت دورة تمثيل للهواة في المدرسة الثانوية مع صوفيا. شخصيتها شديدة القابلية للإيحاء جعلتها أول موضوع مثالي لتتدرب عليه صوفيا. لا عجب أن هابرلاند لم يستطع تذكرها عندما رأى صورتها في الصحيفة. لم يكن لها أي اتصال شخصي به أو بماري."

نظر باتريك إلى البروفيسور بتساؤل وعاد لفتح المستند من البداية مثل ليديا. أومأ له البروفيسور بتشجيع.

— "فانيسا ستراسمان كانت الأولى في السلسلة. استدرجتها صوفيا إلى غرفة فندق بحجة أو بأخرى. كان من الواضح أنها تعرضت للاغتصاب في الماضي، وواجهتها صوفيا بمغتصبها مرارًا وتكرارًا — تحت التنويم."

تمتم باتريك:

— "شعرت برغبة في التقيؤ عند تلك النقطة."

— "وبدافع من نجاحها، شرعت صوفيا في تجربة تقنيتها على المرأة التي اعتبرتها المسؤولة في المقام الأول: كاتيا أديسي، المعلمة التي حركت شكوكها حول الإيذاء الكرة الثلجية."

سألت ليديا:

— "والضحية الثالثة؟ دورين براندت؟"

— "... كانت المحامية التي رفضت رفع دعوى ضد هابرلاند. وبما أنها لم تقبل التوكيل أبدًا، استغرق الأمر وقتًا طويلاً قبل إقامة أي صلة

بينها وبين صوفيا والضحايا الأخريين. علاوة على ذلك، كانت الشرطة تبحث عن رجل."

قال باتريك بنفاد صبر:

– "حسنًا، لكننا كنا نتحدث حقًا عن كاسبر – أعني هابرلاند."

– "أوه نعم، أنا آسف. حسنًا، كان هو دائمًا هدف صوفيا الحقيقي – ضربتها الأخيرة. تصف الصفحة 214 التقنيات المختلفة التي يمكن استخدامها لفرض التنويم المغناطيسي، لكن جميعها تشترك في شيء واحد: أنها تعتمد على تأثير المفاجأة."

– "لكن زيارة هابرلاند غير المعلنة أجهضت ذلك."

– "بالضبط. يمكنكما تخيل مدى ذهول صوفيا عندما واجهها هابرلاند فجأة. هو من باغتها، وقام بمحاولة أخرى – كما رأتها هي – للكذب للتنصل من مسؤولية حالة ماري. حتى أنه قدم لها رسالة من طبيب نفسي مرموق، جوناثان بروك، يزعم فيها تبرئته!"

ضرب البروفيسور الطاولة براحة يده.

– "وهذا بعد أن أثبتت بالفعل، ثلاث مرات، أنه من الممكن حقًا تعريض حياة شخص للخطر عن طريق التنويم المغناطيسي."

– "إذًا ألقت برسالة بروك في النار وضخته بالمخدر؟"

كان باتريك قد وقف أيضًا ليمدد ساقيه. ليديا، التي لم تتزحزح، كانت تبرم خصلة من شعرها بتوتر.

قال البروفيسور:

– "ليس تمامًا. ألقت الرسالة في النار وأخبرته أن يذهب إلى الجحيم. انطلق هو، وأخذ طرزان في طريقه – كان قد ترك الكلب مقيدًا

بالخارج. لاحقًا، لا بد أن صوفيا غيرت رأيها، لأنها استعادت البقايا نصف المتفحمة لرسالة بروك من النار."

وضعت ليديا خصلة الشعر في فمها بحماس:

— "وفقدان ذاكرة هابرلاند؟ هل كان سببه مجرد سقطة؟"

أخبرت عبسة باتريك المترددة البروفيسور بأنه يجب أن يكون أكثر وضوحًا.

— "هابرلاند كان «مترنحًا عقليًا»، كما تريان. لقد مر بتجربة صادمة، تجربة أراد نسيانها بأي ثمن. حتى أن بروك حاول علاجه من آثار ما ظن أنه فعله بابنته. والآن باءت محاولته الأولى للتغلب على تلك الصدمة بالتحدث إلى صوفيا شخصيًا بالفشل. كان مجروحًا ومذهولًا، غاضبًا ومكتئبًا. كان دماغه يصرخ لنسيان ما مر به مع ماري، لذا انتهز الفرصة الأولى المتاحة للهروب من الشعور بالذنب."

قالت ليديا:

— "السقطة؟"

— "نعم. شد طرزان المقود وفقد هابرلاند توازنه على المنحدر الجليدي. ضرب رأسه في الطريق وفقد الوعي. كان يعاني من انخفاض حرارة الجسم بحلول الوقت الذي نقله فيه باخمان عائدًا إلى العيادة بعد ساعات."

— "عائدًا إلى تلك المرأة المعتوهة."

أومأ البروفيسور.

— "استغلت صوفيا فرصتها غير المتوقعة إلى أقصى حد. عادت ميزة المفاجأة إلى ملعبها الآن، بفضل فقدان ذاكرة هابرلاند. عند إجراء

فحص أولي لـ «مريضها»" — رسم البروفيسور علامتي تنصيص في الهواء بأصابعه — "جردته من أي شيء قد يشير إلى هويته الحقيقية وأوحت بأنه تعرض للسرقة. لم تبلغ أحدًا في الشرطة بالطبع. وما خدم مخططها الانتقامي أيضًا هو تكتيكات المماطلة التي اتبعها راسفيلد ونفوره من التدخل الخارجي."

سألت ليديا:

— "لكن لماذا لم تنوم كاسبر مغناطيسيًا على الفور؟"

— "سؤال جيد. في الواقع، كانت مترددة. من ناحية أرادت معاقبة هابرلاند وإرساله إلى الجحيم؛ ومن ناحية أخرى، سيفقد الجحيم بعضًا من لسعته إذا لم يستطع تذكر ماري، وبالتالي، ذنبه المزعوم. لهذا السبب أرادت أولاً تبديد فقدان ذاكرته الرحيم ثم تحطيم روحه. وقدمت لها أحداث تلك الليلة فرصة للقيام بكلا الأمرين."

سأل باتريك:

— "ولكن كيف تورط بروك؟"

سبقته ليديا قائلة:

— "كان ذلك منطقيًا. كانت صوفيا تنتقم من أي شخص يحاول إخبارها بأن التنويم المغناطيسي لا يمكن أن يكون ضارًا. بتسليمها رأي بروك الخبير، زودها هابرلاند بضحية أخرى مجانًا، إن جاز التعبير."

قال البروفيسور باستحسان:

— "تفكير جيد."

ابتسمت ليديا:

— "حقًا؟"

– "هذا بالضبط ما حدث. لم تكن صوفيا تعرف بروك مطلقًا قبل أن يأتي هابرلاند لرؤيتها. والآن بعد أن أصبح على قائمتها السوداء الشخصية، حددته كضحيتها الرابعة."

سأل باتريك:

– "لكن كيف؟"

– "بطريقة مجردة تمامًا من الضمير. ببساطة اتصلت ببروك وطلبت نصيحته المهنية بشأن مريض فاقد للذاكرة تم قبوله للتو في العيادة. عرض بروك المساعدة وقام برحلة خاصة من هامبورغ، خاصة وأنه اشتبه في أن فاقد الذاكرة قد يكون هابرلاند، الذي انقطع الاتصال به ليوم أو يومين. حجزت له صوفيا غرفة في نزل «تويفيلسي»، غير بعيد عن العيادة، حيث التقيا."

– "وحيث وضعته تحت التنويم القسري."

– "نوعًا ما."

– "ماذا تعني «نوعًا ما»؟"

كانت وجنتا باتريك لا تزالان حمراوين، ولكن ليس من ضغط يديه. ورغم أن درجة الحرارة كانت تنخفض باطراد، بدا وكأنه يزداد احمرارًا مع كل دقيقة. سجل البروفيسور ملاحظة ذهنية أخرى دون أن يعرف ما إذا كانت ردود الفعل هذه ذات صلة بالنتيجة النهائية. ثم أجاب عن السؤال.

– "حسنًا، لم تنجح تمامًا. قطرت السكوبولامين في عيني بروك ووضعته في غيبوبة. بعد ذلك أغرقته بالخمور من الثلاجة الصغيرة ليبدو مخمورًا عند العثور عليه. لكن هذه المرة لم ينجح الأمر بشكل صحيح.

ربما قوطعا، ربما ارتكبت خطأً. علاوة على ذلك، كما قلت سابقًا، ليس الجميع قابلين للتنويم. كان بروك حالة صعبة على أي حال، لكن صوفيا تمكنت من تعطيل مركز الاتصال لديه. كان ذلك، على سبيل المثال، السبب في عدم تمكنه من ترك أي رسالة مكتوبة لكاسبر، رغم أن قدرته على التواصل تحسنت باطراد. تذكران كيف حاول كتابة اسم صوفيا على النافذة بدمه."

أومأ الطالبان برأسيهما.

– "رغم أنها تركته متأثرًا بشدة، إلا أنها لم تنجح في زرع الأمر ما بعد التنويمي. عندما جمع شاديك بروك من النزل، تمكن من تحرير نفسه من نوم الموت بجهوده الخاصة."

– "كيف؟"

– "بطعن نفسه في الحلق."

– "ماذا؟!"

بدت ليديا مرعوبة تمامًا، بينما ظل وجه باتريك خاليًا من التعبير.

– "نعم. ما دفعه لفعله ليس واضحًا تمامًا، لكن التحقيقات كشفت أن بروك ابتلع دبورًا وهو طفل وكاد يموت حين لدغه في حلقه. أظن أن صوفيا أعادت تنشيط تلك الصدمة – ذلك الكابوس – تحت التنويم."

أمسكت ليديا بحلقها وابتلعت ريقها لا إراديًا:

– "ولهذا ثقب قصبته الهوائية بنفسه؟"

– "نعم. لا بد أنه دخل مرحلة اليقظة بينما كان ممددًا في سيارة الإسعاف وظن أنه يختنق حتى الموت. في الوقت نفسه، كان يعلم أن التنويم المغناطيسي يمكن إنهاؤه بمحفز قوي – ألم حاد، على سبيل

المثال. وكما قلت سابقًا، لم يتم تنويمه بنجاح مثل الضحايا السابقين. وبكونه طبيبًا، كان يعلم أيضًا أن الشق الحنجري ليس بالضرورة مهددًا للحياة ولكنه يتطلب علاجًا فوريًا. علاوة على ذلك، أدرك أنهم لا بد أن يكونوا بالقرب من عيادة «تويفيلسبيرغ»، موقع ليس فقط الجانية بل أيضًا ضحيتها التالية: مريضه نيكلاس هابرلاند. وهنا ندخل مجال التكهنات، لأن المعلومات التي قدمها بروك للشرطة كانت مقتضبة للغاية، بفضل التجارب الصادمة التي مر بها تلك الليلة، وليست كلها متاحة لي. ربما لعبت الصدفة دورًا، أو ربما أراد ضرب عصفورين بحجر واحد. على أية حال، حقق النتيجة المرجوة، وإن بطريقة عنيفة للغاية. فقد شاديك السيطرة على مركبته وتوقف، وأُدخل بروك إلى العيادة."

— "وعندها بدأ كل شيء."

— "ليس تمامًا."

— "ماذا تقصد؟"

وليس للمرة الأولى، تفحص البروفيسور وجهي موضوعي اختباره المتسائلين.

— "حسنًا، أنتما تنسيان لينوس."

الوقت الحاضر

3:13 مساءً

نظر باتريك إلى ساعته، لكن نظرته الخاطفة إلى الميناء كانت نشاطًا لتفريغ التوتر أكثر من أي شيء آخر. ورغم أن اليوم هو 23 ديسمبر، اليوم السابق لليلة عيد الميلاد، إلا أن البروفيسور كان يعلم أن الوقت هو أقل اهتمامات «فأري تجاربه».

— "لينوس. نعم، أنت محق. ماذا حدث له؟"

فوسياباتيكيل...

رمش البروفيسور قبل استئناف سرده.

— "عبثت صوفيا بخرطوم وقود كاسحة الثلوج لإبقاء بروك محاصرًا في العيادة طوال الليل."

— "لماذا؟"

— "لكي تقتله يا ليديا. كان أقوى شاهد محتمل للادعاء. علاوة على ذلك، كان عليها منع لقاء بين بروك وهابرلاند بأي ثمن، حيث كانت قد خصصت الأخير ليكون ضحيتها النهائية وإنجازها المتوج. تسللت إلى غرفة بروك بعد منتصف الليل، ربما بنية خنقه بوسادة، وهو ما كان سيكون سبب وفاة غير مثير للشكوك نظرًا لإصابة قصبته الهوائية. ومع ذلك، رآها لينوس، الذي كان نومه خفيفًا وغالبًا ما يجوب الممرات ليلاً."

– "وأيقظ لينوس هابرلاند وأخبره بما حدث: فوسياباتيكيل. صوفيا تحاول قتل المريض!"

– "إذًا عندها بدأ كل شيء."

وهو يرتجف، أخرج باتريك يديه من جيوب سترته ومد يده لزجاجة الماء، لكنه لم يرفعها إلى شفتيه.

– "بالضبط. لم تستطع صوفيا إكمال المهمة لأن لينوس قاطعها. هرب بروك عبر النافذة، تاركًا إياها في مأزق. كيف تبرر وجودها في غرفة بروك – بعد منتصف الليل ولا ترتدي سوى ثوب نومها؟ كيف تحيد لينوس، الذي لم يكن أحمق رغم عجزه عن التواصل؟ في ذعرها، قررت المخاطرة بكل شيء. خربشت لغزًا موجزًا على قصاصة ورق، وتخلت عن ملابسها واستلقت في حوض الاستحمام. عندما دخل هابرلاند ووجد اللغز في يدها كان لا بد أن يفترض أنها الضحية الرابعة لـ «مُحطّم الأرواح». في الواقع، كان هدفها كسب الوقت، وتحويل الانتباه وزرع الارتباك. قُدمت لها فرصة غير متوقعة. بقليل من المهارة والارتجال، يمكنها تحطيم نفسية هابرلاند، وفي الوقت نفسه، إلصاق كل جرائمها بجوناثان بروك. وستكون قادرة حتى على تقديم العديد من الشهود الذين يمكنهم الشهادة على فظائعه. ولكن لذلك يجب إنزال المصاريع وإبقاؤها مغلقة."

– "ولهذا السبب قتلت راسفيلد؟"

– "الشخص الوحيد غيرها الذي يعرف الرمز. بالضبط. عندما ذهبت ياسمين لإحضار سدادات الأذن وأُنزلت المصاريع، ضربت راسفيلد على رأسه بكرسي – ومن هنا جاءت الدماء على أرضية غرفة

الماسح الضوئي. ثم سحبته إلى معمل الباثولوجيا وحشرت جسده فاقد الوعي في إحدى خزائن التبريد السفلية."

– "واللغز؟ كيف أمكنها أن تعرف في هذه المرحلة أن راسفيلد سيُعثر عليه لاحقًا؟"

– "لم تعرف. كانت تلك صدفة محضة، واللغز نفسه لم يكن له أي أهمية مباشرة. لسوء الحظ، كانت ياسمين لطيفة بما يكفي لإحضار ثوب صوفيا الطبي من غرفتها، واللغز الذي كانت تنوي حقًا تقديمه لكاسبر كان موجودًا بالفعل في الجيب. حشرت هذا في فم راسفيلد، وتسللت عائدة إلى الماسح الضوئي وزحفت بداخله. عادت ياسمين، ووجدت المدير الطبي قد اختفى، فذهبت لطلب المساعدة. في غضون ذلك، شرعت صوفيا في تقييد نفسها."

– "ومن هنا جاء الحزام المرتخي في الصفحة 87؟"

أقر البروفيسور بمداخلة باتريك برفع سبابته.

– "صحيح. ثم بدأت بالصراخ لتحويل كل الشكوك عن نفسها."

قالت ليديا وهي تعبث بشفتها السفلى بتوتر:

– "شيطانية. أقنعت الجميع بالاشتباه في الرجل الطيب وحماية العدو."

بدا باتريك متشككًا مرة أخرى:

– "ولكن ما الذي حدث بالضبط في غرفة الماسح الضوئي؟ أعني، عندما بدأ كاسبر وباخمان الحريق؟ لماذا حبسهم بروك بالداخل؟"

أجاب البروفيسور:

– "لأنهم كانوا آمنين من صوفيا هناك. ولكن فقط، بالطبع، إذا لم يخنقوا أنفسهم باستنشاق الدخان. لهذا السبب قام بتفعيل الماسح الضوئي، لتنبيههم قبل أن يبدأ الحريق. لكن الأوان كان قد فات، كانوا قد فعلوا ذلك بالفعل ولم يكن لديه مفتاح للباب، فلم يستطع فتحه مرة أخرى."

– "حسنًا، فهمت. الأصوات التي سمعوها في غرفة الماسح الضوئي – هل كان ذلك لينوس ذاهبًا للشرطة؟"

– "لا، ليس بعد. كانت تلك مجرد العاصفة الثلجية. ومع ذلك، كان لينوس هو من يدينون له بحياتهم في تلك الليلة. قبل إنزال المصاريع هرب إلى الشرفة، حيث أفزع ياسمين عندما جاءت لقفل الغرفة. كسر كاحله وهو يقفز إلى الأرض، لكنه وصل حتى الطريق والمنطقة السكنية حيث كاد مايك هافنر يدهسه بعد ساعات."

– "وهافنر استدعى الشرطة؟"

أومأ البروفيسور.

– "استغرق الأمر بعض الوقت لتفسير ثرثرة لينوس. لكن لحسن الحظ، تمكن بروك من إحباط جهود صوفيا وإنقاذ حياة معظم ضحاياها المحتملين. ديرك باخمان، سيبيل باتزوالك، غريتا كامينسكي والسيد إد كلهم نجوا. حتى ياسمين أُخرجت من المختبر وعولجت طعنتها في اللحظة الأخيرة." تنهد. "أما هابرلاند، للأسف، فقد وصلت الشرطة متأخرة جدًا بالنسبة له."

رفع باتريك رأسه ونظر إلى البروفيسور، مضيقًا عينيه وكأن شيئًا بهره:

– "متأخرة جدًا؟ ماذا حدث له؟ وأين صوفيا؟"

التفت البروفيسور عائدًا إلى النافذة وحدق في الضوء المتلاشي.

قال بصوت منخفض:

– "حسنًا، لهذا نحن هنا اليوم."

سمع ليديا تسأل خلفه:

– "ماذا تعني؟"

– "إنه جزء من التجربة. ولهذا السبب بالتحديد كان عليكما دراسة سجل المريض بعناية شديدة."

– "لماذا؟"

استدار ببطء ليواجه تلميذيه.

– "للتحقق من حقيقة هذه القصة. ولاكتشاف ما حدث حقًا في النهاية."

الوقت الحاضر

3:15 مساءً

ازدادت قرقرة المدفأة الزيتية، لكن الحرارة في المكتبة بدت وكأنها تنخفض كلما طال حديثه.

بدا فجأة وكأن البروفيسور قد شاخ عدة سنوات وهو يقول:

— "كل ما أستطيع إخبارك به هو أن صوفيا اختفت في تلك الليلة — وإلى الأبد. ماري ترقد في جناح رعاية مشددة بمستشفى «ويست إند» منذ ذلك الحين. لم تعد على جهاز تنفس صناعي ويمكنها التواصل برمش جفنها الأيمن. عدا ذلك، لم يبلغ الأطباء عن أي تحسن ملحوظ في حالتها."

قال باتريك:

— "دقيقة واحدة. تعني أن صوفيا تخلت ببساطة عن ابنتها — بعد كل ذلك؟"

— "بدا الأمر كذلك في البداية."

أصدرت المدفأة صريرًا. بدا تقريبًا وكأنه جذع يحترق ببطء في الموقد، وكان البروفيسور نصف ميال للاستدارة والنظر. في الوقت نفسه، تساءل عما إذا كان مستمعاه قد لاحظا الارتعاش المتزايد في صوته.

— "ولكن بعد ذلك، وبعد عام، وجدت الممرضات هدية صغيرة ملقاة على طاولة سرير ماري."

سأل باتريك وليديا في وقت واحد تقريبًا:

– "أي نوع من الهدايا؟"

– "كانت في صندوق مجوهرات ليلكي اللون، واحتوت على قلادة بدلاية. يمكنكما تخمين لمن كانت تنتمي."

عبست ليديا ورفعت يدها كتلميذة في الفصل:

– "ألم يرَ أحد هذا الزائر الغامض؟"

– "جناح الرعاية المشددة ليس جناحًا أمنيًا مشددًا. علاوة على ذلك، يرتدي الكثير من الزوار أقنعة جراحية. لا، لم يرَ أحد أي شخص يأتي أو يذهب."

– "أبدًا؟"

– "لم تكن القلادة الهدية الوحيدة التي تلقتها ماري. ظهرت هدايا أخرى كل عيد ميلاد. أحيانًا كانت زجاجة عطر صغيرة – كانت جبهة ماري تفوح برائحتها عندما تأتي الممرضات لتفقدها – أو أحيانًا صندوق موسيقى أو عملة نادرة. ومرافقة لكل هدية كانت قصاصة ورق صغيرة مطوية من المنتصف."

كان شهيق ليديا مسموعًا بوضوح:

– "ماذا كان فيها؟"

– "لا شيء. كانت فارغة."

فتح البروفيسور يديه كساحر جعل للتو منديل جيب يختفي في الهواء.

سأل باتريك بشك:

– "وهذه الهدايا كانت علامة الحياة الوحيدة لصوفيا؟"

– "ليس تمامًا. يشاع أنها عولجت بعد سنوات على يد طبيب نفسي معروف. تحت اسم مستعار، بالطبع. يبدو أنها دعت نفسها آنا شبيغل."

هذه المرة، جفل كلا الطالبين عند ذكر الاسم. انفرجت شفتا باتريك ببطء.

– "واسم الطبيب النفسي كان...؟"

– "فيكتور لارنز. تحدثنا عنه في بداية هذه التجربة. لم يعد بالإمكان استجوابه حول هذه القضية، للأسف. المستند الذي كنتما تقرآنه ظهر للنور عندما تم حل عيادته، والخبراء ما زالوا في خلاف حول من كتبه، لارنز نفسه أم مريضته الشريرة. ومع ذلك، يقال إن انخراطه في القضية أمرضه، وأن صوفيا دورن، المعروفة بآنا شبيغل، كانت الموضوع الحقيقي لهلوسة أعاد لارنز تنشيطها لاحقًا، خلال نوبة انفصام. لكن تلك قصة أخرى – قصة لم تثبت بشكل قاطع ولا تنتمي إلى هنا."

نقر باتريك المجلد بسبابته:

– "بلى، أظنها تنتمي. بعد كل شيء، أنت أعطيتنا هذا الهراء لنقرأه. من تظن كتبه؟"

تردد البروفيسور:

– "حسنًا... لتكون صادقًا، ستجد دليلاً في النص نفسه. في الصفحة 214، السطر 18."

قرأت ليديا ببطء:

– "بروتوكولات ألز نر (Alzner)؟"

زفر البروفيسور نفسًا عميقًا وقال:

– "التي يمكن أن تكون جناسًا لاسم لارنز (Larenz)."

سأل باتريك:

– "لكن لماذا يدرج لارنز تلاعبًا بالكلمات في مستنده الخاص؟"

نظرت ليديا إلى صديقها بانزعاج:

– "البروفيسور يحاول إخبارنا للتو. صوفيا هي من كتبته."

أطلق باتريك ضحكة غير مصدقة:

– "مهلاً! كيف استنتجت ذلك؟ إنه مكتوب بالكامل تقريبًا من منظور كاسبر. كيف لصوفيا أن تعرف ما كان يمر به، وما كان يفكر فيه ويشعر به، إلا إذا..." وتوقف.

مرر البروفيسور يده المرتجفة في شعره الخفيف:

– "إلا إذا كانت داخل رأسه. بالضبط. انقضت ساعة ونصف بين تنويم هابرلاند ووصول الشرطة. وقت كافٍ لصوفيا لتعلم كل شيء مباشرة. كانت تملك مفتاح وعيه، بعد كل شيء. وأي حقائق لم يخبرها هابرلاند بها كان بإمكانها معرفتها من الصحافة لاحقًا. على سبيل المثال، كيف كاد لينوس يُدهس بواسطة كاسحة ثلوج مايك هافنر."

لم يستطع باتريك الجلوس ساكنًا بعد الآن. قفز واقفًا بغضب:

– "تعني أننا قضينا كل هذا الوقت نستوعب مستندًا كتبته قاتلة ذهانية؟ مستند دفع طبيبًا نفسيًا للجنون؟"

قام البروفيسور بإيماءة مهدئة:

– "مهلاً، مهلاً، مهلاً! تلك مجرد شائعة؛ ليس بالضرورة أن تكون الحقيقة. علاوة على ذلك، أنتما الاثنان تحت إشراف طبي. إذا لاحظ

أي منكما أي شيء غريب في الأيام القليلة القادمة، يرجى الاتصال بي فورًا."

وضع حقيبته على الطاولة وأخرج دفترًا صغيرًا من أوراق الملاحظات الصفراء اللاصقة.

طلب باتريك:

– "لماذا؟ ما الذي يُحتمل أن نلاحظه؟"

التقط البروفيسور قلم حبر:

– "كما نعلم جميعًا، كانت صوفيا دورن مهووسة بفكرة تنويم الناس مغناطيسيًا ضد إرادتهم. إجماع الخبراء هو أنها لا بد طورت وحسنت أساليبها خلال سنوات هروبها."

– "تفضل بالدخول في صلب الموضوع."

كانت نبرة باتريك الآن خالية من كل احترام، ليس أن البروفيسور أخذ هذا على محمل سيء نظرًا للظروف.

– "ناقش الأطباء النفسيون طويلاً ما إذا كان من الممكن تنويم شخص مغناطيسيًا ببساطة عن طريق جعله يقرأ شيئًا ما."

– "مثل ماذا، بربك؟"

– "يتساءلون عما إذا كانت بروتوكولات ألز نر المذكورة في الصفحة 214 موجودة حقًا. ربما تحملان نسخة بين أيديكما في هذه اللحظة – مستندًا بنص فرعي غير مرئي لا يستطيع قراءته سوى العقل الباطن."

كان هناك تلميح من الذعر في صوت باتريك:

– "هل أنت جاد؟ هل تم تنويمنا نحن الاثنين مغناطيسيًا ببساطة بشق طريقنا عبر فيض مشاعر تلك المجنونة؟"

هز البروفيسور كتفيه:

– "هذا ممكن. الغرض من هذه التجربة هو معرفة ذلك. سامحاني، لم أستطع تنويركما مسبقًا وإلا لما نجح الأمر. شخصيًا، ومع ذلك، لا أصدق ذلك. أعتقد أنها أسطورة حديثة، خرافة علمية سندحضها فيما بيننا."

– "وماذا لو لم نفعل؟ ماذا سيحدث لنا؟"

– "لا أعرف. ولكن، كما أقول، يرجى الاتصال بي إذا واجهتما أي شيء غير مرغوب فيه."

ارتعش جفنا ليديا:

– "هل يمكنك إخراجنا؟ من هذه الغيبوبة، أعني؟ إذا كنا في واحدة."

– "إذا كنتما كذلك، نعم. بالتأكيد. أنا أعرف الكلمة المفتاحية."

– "الكلمة المفتاحية؟"

– "إجابة اللغز الأخير: «أَلقِ بي حين تحتاجني، واستعدني حين لا تعود بي حاجة.» إذا كانت هناك رسالة لا شعورية – نص فرعي مخفي، بعبارة أخرى – نعتقد أن هذه الكلمة المفتاحية يمكن أن تلغي تأثيرها ما بعد التنويمي."

– "تعتقد ذلك. كم هذا مطمئن. ما هي هذه الكلمة المفتاحية؟ هيا، قلها."

وجه باتريك سبابة مهددة نحو البروفيسور، الذي اكتفى بهز رأسه.

– "ستفشل التجربة إذا أخبرتكما الآن. فقط انتظرا وراقبا ما إذا كان سيحدث تغيير في جانب ما من حياتكما. دونا ملاحظات، لكن من فضلكما لا تقلقا. يمكنكما الوصول إلي في أي وقت من النهار أو الليل. لن يحدث لكما شيء."

كاد باتريك يصرخ بالكلمات:

– "لن أغادر هنا حتى أعرف الكلمة المفتاحية اللعينة!"

صرَّ الباب خلفه وانفتح وأطل رجل مسن برأسه.

قال البروفيسور:

– "لا بأس، كل شيء على ما يرام."

رفع الرجل حاجبيه لكنه انسحب، مغلقًا الباب خلفه.

– "لا، ليس كل شيء على ما يرام. أخبرنا بإجابة ذلك اللغز الأخير الآن، وإلا..."

وأد البروفيسور ثورة باتريك في مهدها:

– "حسنًا، حسنًا."

كان مستعدًا لذلك، ومتوقعًا له. ذهب إلى الزوجين، والتقط مجلديهما، وأدخل ورقة صفراء لاصقة في كل منهما.

نظر إليه ليديا وباتريك بتساؤل.

– "هذا هو عنوان بريدي الإلكتروني. إذا كنتما قلقين حقًا، راسلاني وسأرسل لكما المعلومات التي طلبتماها للتو بالرد. هذا يعني أن الأمر سيكون متروكًا لكما فيما إذا كنتما ستقطعان التجربة أم لا. لكن من فضلكما لا تفعلا ذلك إلا إذا لم يكن هناك بديل مطلقًا. أطلب منكما هذا باسم العلم. هل اتفقنا؟"

عاد البروفيسور إلى مكانه. جمع أوراقه معًا وشرع في حشرها في حقيبته القديمة البالية.

وقفت ليديا.

قالت مترددة:

— "لكن تم حل اللغز، أليس كذلك؟ لغز هابرلاند، أعني؟ لقد نجا من الأمر في النهاية، أليس كذلك؟"

توقف البروفيسور، الذي كان يضع المستند الأصلي جانبًا للتو.

قال بصوت خافت، وعيناه تغيمان مرة أخرى:

— "لا."

أومأت ليديا له وكأن تلك الإيماءة البسيطة التشجيعية كانت مطلوبة لاستخراج أكثر الحقائق إيلامًا. ذات مرة، في ذلك النادي الليلي خافت الإضاءة بموسيقاه الصاخبة وبيرته الخفيفة، بدت له أقل عريًا وضعفًا بكثير مما بدا هو لها الآن. تساءل عما إذا كانت تدرك ذلك.

— "أنا آسف. أخشى أن نيكلاس هابرلاند كان قد تجاوز مرحلة الإنقاذ."

الوقت الحاضر

3:42 مساءً

صَرَّت البوابة الصدئة وهي تُغلق.

دمدم الحارس المسن وهو يستخرج حزمة المفاتيح الثقيلة:

— "شجاعة حقيقية منك."

حشرها في جيب سترته السميكة وارتدى قفازيه.

— "لم أظن أبدًا أنك ستعود."

ضحك البروفيسور ضحكة خافتة:

— "كانت مجرد مرة واحدة لغرض يتعلق بطلابي. لكنك لا تزال هنا."

زمجر الحارس ساخرًا وهما يبتعدان:

— "لسوء الحظ. ألقي نظرة مرة في الشهر لأرى ما إذا كان كل شيء على ما يرام. أحتاج لدعم معاشي التقاعدي، بما أن زوجتي لا تساهم."

— "ألم يحاول أحد شراء المكان القديم قط؟"

استنشق باخمان أنفه. جالت عيناه على واجهة العيادة السابقة المتجمدة والمكسوة باللبلاب.

— "أوه، بالتأكيد. أُغلق بعد وفاة راسفيلد، بالطبع. لم يظهر شيء مؤكد في الصحف، لكن كانت هناك شائعات كثيرة. ليس مفاجئًا، لأنه لم يُقل الكثير رسميًا. عاد بروك إلى هامبورغ — رفض كل الدعوات لكتابة كتاب عن تلك الليلة. ذهبت سيبيل باتزوالك للعمل في فندق

وتركت ياسمين وظيفتها. سمعت أنها سجلت أسطوانة مع لينوس — حققت نجاحًا كبيرًا، كما يبدو. تصرف نموذجي لتلك الفتاة الطائشة."

نظر باخمان لأعلى بينما حلق سرب من الغربان فوق رؤوسهم.

— "كانت غريتا كامينسكي الوحيدة التي أجرت مقابلة مع الصحافة. اعتقدت بجدية أن تلك الليلة قد شفتها من ذهان القلق لديها، لذا ستكون قادرة على الاحتفال بعيد الميلاد بمفردها في المستقبل. هل تصدق ذلك؟"

تفرق السرب، ليعيد التجمع بعد لحظات. فقد باخمان اهتمامه بالطيور ونظر عائدًا إلى البروفيسور. كانت عيناه ضعيفتين، وبالتأكيد كان بحاجة لنظارة أقوى.

— "حتى يومنا هذا، يعتقد الناس أن العيادة كانت مصحة للمجانين ذبح مرضاها بعضهم البعض. لهذا السبب يعتقد الكثير منهم أن الموقع مسكون. سخيف، حقًا، لكن يبدو أنه نفر المستثمرين. كانت هناك خطط كثيرة. مجمع سكني فاخر، مطعم، حتى فندق. لم يتحقق أي منها."

— "هل يذكر الناس صوفيا أبدًا؟"

انتفض الحارس العجوز بشكل غير محسوس تقريبًا عند سماع اسمها. حك سوالفه الشيباء.

— "يقول الأطفال إنها ساحرة ولا تزال تعيش هنا. في العلية مع ابنتها المعاقة. أشياء من هذا القبيل."

ضحك بجهد. لم ير البروفيسور رجلاً بالغًا يبدو أكثر حزنًا من قبل.

— "لا تؤاخذني، لكنني سآخذ جولة حول المبنى، كاسـ..." توقف باخمان فجأة. "آسف."

مد هابرلاند يده:

— "لا بأس. عيد ميلاد سعيد. كان من الجيد رؤيتك مرة أخرى. وشكرًا لفتح المكان."

— "لا شكر على واجب. طالما لم تصبح عادة."

تبادلا إيماءة أخيرة وذهب كل منهما في طريقه، رجلان مرا بالكثير معًا في ليلة واحدة لدرجة أنه لم يكن هناك متسع في هذه الحياة لمزيد من التجارب المشتركة. ولا حتى لمحادثة قصيرة.

واجه هابرلاند الرياح ورفع ياقة معطفه الفضفاض. بحذر، انطلق على ممر المشاة الذي يلتف أسفل التل إلى الطريق. تم التنبؤ بمطر ثلجي وتجمد مفاجئ لليوم، لذا ارتدى حذاءه الشتوي الثقيل. في ذلك الوقت كان قد ظهر بالحذاء الذي أثبت في النهاية أنه سبب هلاكه.

في ذلك الوقت. في حياة أخرى.

الآن هو شخص آخر. لم يكن يكذب عندما أخبر ليديا أن نيكلاس هابرلاند لم يعد موجودًا. رجل بذلك الاسم يرقد، محطمًا للأبد، في قاع روحه الخاصة. رغم أن بروك حل اللغز وحرره بعد يومين، إلا أن حتى تلك الفترة القصيرة في سجنه الشخصي كانت طويلة جدًا. لقد عاد إلى الواقع، بفضل بروك، لكنه لم يجد طريقه للعودة إلى نفسه أبدًا.

أَلقِ بي حين تحتاجني، واستعدني حين لا تعود بي حاجة...

كثيرًا ما تساءل لماذا تركت صوفيا تلك الألغاز خلفها. بعد كل شيء، أعطت ضحاياها وسيلة محتملة للهروب حُرمت منها ماري. فسر

ذلك في البداية كبقايا شفقة ولاحقًا كتعبير عن أمل غير عقلاني بأن ابنتهما، أيضًا، قد تُنتشل من متاهة معاناتها بكلمة واحدة. اليوم، بعد سنوات من العذاب، كان يعرف أفضل. كانت الألغاز جزءًا ماديًا من عقابه: دليل على قدرتها المطلقة. حبسته صوفيا داخل بوابات الجحيم وتركت المفتاح في الخارج لأنها لم تكترث إذا جاء شخص ما وفتحها. لماذا لا؟ لأنها كانت تمتلك القدرة على حبسه مرة أخرى في أي وقت.

استعدني...

منذ تلك الليلة طارده خوف غير عقلاني بأن صوفيا لم تظهر مرة أخرى أبدًا لأنها اختبأت بداخله. ليس جسديًا، بالطبع، بل مجازيًا. إذا كانت قد حرصت على إمكانية إيقاظه من نوم الموت بكلمة واحدة، فلماذا لا يخطر ببالها زرع أمر آخر ما بعد التنويم لم يكن واعيًا به؟ بعد كل شيء، كان تحت سيطرتها لفترة كافية لتستنزف من عقله كل المعلومات التي احتاجتها لكتابة سجل ذلك المريض.

لهذا السبب كان يقفز كلما رن الهاتف، كلما سمع صوتًا غريبًا أو كلمة غير مألوفة على شفتي قارئ أخبار: لأنه كان مستعدًا للأسوأ منذ هروبه من مطهره الروحي. وكان ذلك أيضًا الغرض من هذه التجربة. كان عليه اكتشاف مدى قوة صوفيا حقًا وما إذا كانت قد وجدت طريقة، بعد سنوات من اختفائها، لزرع نفسها في النفس البشرية.

ابتلع هابرلاند ريقه، متسائلاً عما إذا كانت الدغدغة في حلقه بداية نزلة برد. كانت ندوبه تنمل قليلاً، كما تفعل عادة عندما يكون الثلج في الطريق. كانت الندوب على صدره أول ما يُشعر به، لكن الأنسجة الميتة على معصميه كانت تصبح أيضًا أكثر حساسية للطقس مع مرور السنين.

فجأة دفع شيء بارد ورطب نفسه في راحة يده. نظر لأسفل.

قال للكلب الذي يهز ذيله:

— "آه، ها أنت ذا."

كان طرزان قد ذهب إلى الغابة بينما كان يتحدث إلى باخمان. لم يكن يبتعد لفترة طويلة أبدًا. ساقه الخلفية اليمنى أصبحت عرجاء بشكل متزايد في الآونة الأخيرة وعينه اليمنى، أيضًا، فقدت الكثير من بصرها. الأيام التي كان يجب فيها إبقاؤه مقيداً ولت منذ زمن طويل.

— "يجب أن نكون حذرين كي لا نتعثر، أليس كذلك؟ لا يزال علينا الاطمئنان على ماري."

داعب رأس الكلب العجوز واستدار للمرة الأخيرة. وقفت العيادة السابقة كخيال ظل ضد سماء الشتاء مثل نصب حجري مظلم. تم إغلاق نوافذ الطابق الأرضي بالألواح. وفي الطوابق العليا، اكتفى الوكيل العقاري الأخير بسحب الستائر الممزقة. لم يكن هناك ضوء في أي مكان، باستثناء مصباح البناء الصغير فوق المدخل.

ضاقت عينا هابرلاند. للحظة ظن أنه لمح حركة خلف إحدى الستائر الباهتة في غرفة علوية بالطابق الرابع. لكن الضوء كان يتلاشى بسرعة بالفعل، وعلاوة على ذلك، علمته التجربة أنه من الصعب التمييز بين الواقع والوهم في هذا المكان، حتى في وضح النهار.

قد يكون ذلك خيالاً محضًا. أو جرذًا. أو ربما تيار هواء من زجاج نافذة مكسور. رفع هابرلاند أحد كميه وحك معصمه.

مكتب الأرصاد الجوية كان محقًا، فكر، إنها ستمطر ثلجًا. التفت إلى طرزان، الذي كان ينظر إليه بترقب.

– "حسنًا، ما رأيك؟ هل سنحظى بعيد ميلاد أبيض هذا العام؟"

بسرور، عرج طرزان مبتعدًا وتبعه هابرلاند في أثره.

بسرعة أكبر من اللازم. ترنح ورفع ذراعه اليسرى بذعر، وكاد يفقد توازنه. ثم وجدت حذاؤه موطئ قدم واتبع الآثار التي تركاها في الوحل المتجمد في طريق الصعود. بحذر، خطوة بخطوة، سار متثاقلاً أسفل الممر وبعيدًا عن المبنى القديم على "تويفيلسبيرغ" الذي آوى ذات يوم مصدر أشد مخاوفه، والذي كان الآن، خاليًا من الدماء ومهجورًا، ينتظر خلفه حدوث معجزة: أن يأتي شخص ما وينفض غبار الماضي عن أثاثه، ويشعل نارًا دافئة في الموقد، ويضع ضوءًا ساطعًا في كل نافذة لإبعاد الذكريات المظلمة ونفي الأرواح الشريرة إلى قبو النسيان.

ليعود كل شيء كما كان سابقًا.

ـ تمت ـ

محطم الأرواح

سيباستيان فيتزيك

يعود إلينا الكاتب العالمي وساحر الإثارة النفسية "سيباستيان فيتزيك" برواية تحبس الأنفاس، تغوص بنا في أعمق مخاوف النفس البشرية.

"محطم الأرواح".. قاتل متسلسل لا يشبه غيره.

إنه لا يقتل ضحاياه، ولا يمزق أجسادهم.. بل يفعل ما هو أشد رعباً. إنه يفرغهم من الحياة وهم أحياء، يتركهم مجرد أجساد خاوية، مشلولة، غارقة في صمت أبدي. توقيعه الوحيد؟ قصاصة ورق يتركها بين أيديهم.

بعد سقوط ثلاث ضحايا، تتوقف عمليات الاختطاف فجأة. هل ملّ القاتل من لعبته السادية؟ هكذا ظن الجميع.

في تلك الأثناء، ووسط الثلوج المتراكمة أمام مصحة نفسية نخبوية معزولة، يُعثر على رجل بلا ذاكرة. لا يعرف من هو، ولا كيف وصل إلى هنا. وحين عجزت الشرطة عن تحديد هويته، أطلق عليه الطاقم الطبي اسم "كاسبر".

وبينما يصارع "كاسبر" لاستعادة شظايا ماضيه المجهول، تثور الطبيعة وتضرب عاصفة ثلجية هوجاء المكان، لتعزل المصحة تماماً عن العالم الخارجي.

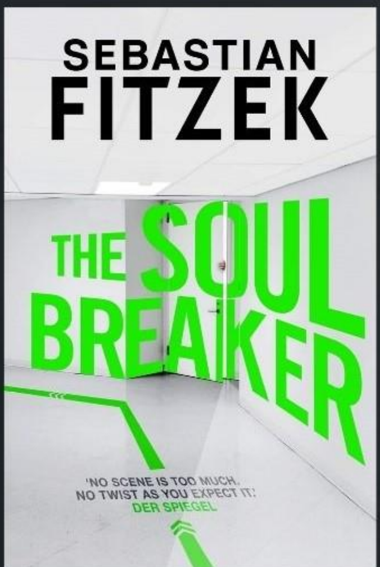
لا مفر.. لا دخول ولا خروج.

وفي قلب هذه العزلة المرعبة، تقع الكارثة: يُعثر على الطبيبة النفسية الرئيسية في حالة من الرعب والانهيار، ترتجف، وبيدها تلك العلامة المشؤومة.. قصاصة الورق.

لقد عاد "محطم الروح"..

والأسوأ من ذلك.. يبدو أنه محاصر معهم الآن داخل المصحة!

ترجمات مكتبة الوادي
t.me/wadistreambooks



ترجمة / قناة wadistreambooks

@t.me/wadistreambooks